

ولم أخبر أُمِّي

أُم داود

... ولم أخبر أُمِّي

أُم داود

اسم الكتاب: ولم أخبر أمي

اسم المؤلف: أم داود

Copyright © 2007 Um Daoud
All rights reserved

جدول المحتويات

6	الفصل الأول
9	الفصل الثاني
14	الفصل الثالث
22	الفصل الرابع
30	الفصل السادس
36	الفصل السابع
41	الفصل الثامن
46	الفصل التاسع
51	الفصل العاشر
58	الفصل الحادي عشر
67	الفصل الثاني عشر
71	الفصل الثالث عشر
78	الفصل الرابع عشر
84	الفصل الخامس عشر
98	الفصل السادس عشر
106	الفصل السابع عشر
110	الفصل الثامن عشر
116	الفصل التاسع عشر
123	الفصل العشرون
128	الفصل الحادي والعشرون

136	الفصل الثاني والعشرون
144	الفصل الثالث والعشرون
149	الفصل الرابع والعشرون
159	الفصل الخامس والعشرون
166	الفصل السادس والعشرون
171	الفصل السابع والعشرون
181	الفصل الثامن والعشرون
185	الفصل التاسع والعشرون
193	الفصل الثلاثون
200	الفصل الحادي والثلاثون
209	الفصل الثاني والثلاثون
215	الفصل الثالث والثلاثون
227	الفصل الرابع والثلاثون
233	الفصل الخامس والثلاثون
241	الفصل السادس والثلاثون
248	الفصل السابع والثلاثون
255	الفصل الثامن والثلاثون
263	الفصل التاسع والثلاثون
274	الفصل الأربعون
280	الفصل الحادي والأربعون
286	الفصل الثاني والأربعون

292	الفصل الثالث والأربعون
304	الفصل الرابع والأربعون
311	الفصل الخامس والأربعون
320	الفصل السادس والأربعون
330	الفصل السابع والأربعون

الفصل الأول

كل الحكايات القديمة، تلك الأساطير التي انتشرت في العصور قديما وتناقلها الناس من جيل إلى جيل، كان بها بعض من الصدق والحقيقة. لكن، في كل مرة سمعنا فيها الحكاية بطريقة شفوية، أضيفت إليها أجزاء جديدة، مما أحدث اختلافاً شاسعاً بين الواقع والحكاية. والآن، وبالرغم من أننا نعيش في عصر الكلمة المكتوبة، كان لابد أن أرى لكم قصة. لقد اخترت أن أكتب هذه الحكاية حتى لا يتغير الواقع أولاً الحقيقة. لابد أن تصدق هذه الكلمات التي تقرأها. لقد أسماني والداي "إيمان"، ولم أفهم سبب اختيارهما لهذا الاسم. وفي طفولتي لم أر ما يمكن أن يعكس الإيمان في أسرتي. كنا مسلمون حقاً، بقدر اهتمامي بالأمر، لم يكن لاسمي أي معنى. كان والدي رجلاً متحرراً، وكان رجل أعمال صميماً، وكان اهتمامه الوحيد في الحياة هو تكوين ثروة. وعلى قدر ما أتذكر، نجح في تحقيق هدفه الوحيد. لم أتذكر أبداً أنني كنت في حاجة إلى أي شيء. لقد أحبني بطريقته الخاصة، وأظهر حبه لي بصورة أساسية في أنه حقق لي كل مطالبي. لم أتذكر قط أنه استخدم كلماته أو مشاعره ليعبر لي عن حبه.

لكن والدي كان يهتم بأخي خالد، أكثر مما كان يهتم بي، ذلك لأن أخي كان مهماً جداً بالنسبة لوالدي حيث إنه كان الوريث لعمل الأسرة. وكان والدي كان ملزماً أن يصب كل عواطفه ومشاعره على خالد ويجعله دائماً قريباً منه وإلى جواره حتى يتدرب ليصبح رجل أعمال في المستقبل. أما بالنسبة لي فلم أشعر إلا أنني حقيبة سفر أو قطعة أثاث في المنزل. لم

يكن لي أية قيمة حقيقية في عيون والدي. إنه لم يشغل نفسه بما أفعله ولا بما لم أفعله. أعتقد أن هذا ساعدني كثيراً في أن أنجو وأُقلت من العقاب على ما فعلته. الآن، حان الوقت للحديث عن أمي، فقد كانت موضوعاً آخر، فبينما لم يهتم أبي مطلقاً بي، اهتمت هي بي بشدة واستغرق الأمر مني وقتاً طويلاً لأفهم سبب اهتمامها بي. لقد غمرتني بحبها منذ البداية، فلم تجبرني على شيء أو تقهرني بالقوة لأنها أحببتي وأرادت لي أن أكبر وأصبح فتاة لطيفة. لقد أوشكت أن أصدق أنها كانت مجبرة على ذلك حتى لا أفسد أو أدمر صورتها.

كانت أمي تدعى "مدام فوزية" وكانت سيدة جميلة. كانت جميلة حينما كنت فتاة صغيرة وما زالت جميلة حتى الآن، حتى في أيامها الأخيرة. لم تكن جذابة فقط، بل كانت أنيقة ومهذبة جداً. لقد أنهت دراستها الجامعية وبدأت عملها الخاص، كما كان كل شيء يسيراً تماماً بالنسبة لها. بعد ذلك تقابلت مع أبي. بالطبع، لم يكن والدي منجذباً إلى جمالها فقط، لكن أيضاً إلى دهائها وذكاؤها. لقد نظر إليها بطريقة طبيعية على أنها مصدر قوة لعمله.

أثق أنه إذا لم يوجد أطفال، لاستمر والدي كأعظم زوجين وأكثر غنى. لكن للأسف الشديد، أحدث الأبناء تغييراً في حياة أمي. كان عليها أن تتنازل عن كل ما كانت تعمل جاهدة من أجله، وكل ما كانت مشهورة به. لقد دارت في رأسها فكرة أنها ستفقد هويتها وأنها ستصبح مجرد أم أخرى، وهذا ما أصابها بالدوار. لذلك كان عليها أن تجد طريقة من خلالها يكون لديها أطفال وفي نفس الوقت تحتفظ بعملها. لم يكن ذلك سهلاً في ثقافتنا، لكن بذلت أمي كل جهدها لتحقيقه. عندما كنا صغاراً، أحضرت أمي مربية

لتعتني بنا وترعانا. مازلت أتذكر القليل عن أمي في تلك السنوات الأولى من عمري، لكنني أتذكر كثيراً المربية حيث أنها أحببتنا كثيراً ومنحتنا كل شيء يجعلنا سعداء. بالطبع هذا لم يؤد إلّا أننا أصبحنا مدللين أكثر.

عندما بلغت الثالثة عشرة من عمري، دخلت أمي مرة أخرى إلى حياتي بشدة. كل ما أدركته أمي فجأة هو أنني أصبحت فتاة ولم أعد طفلة. لا يمكن أن أتوقف عن ذلك لكنني أقول أيضاً أنها أدركت أنني بدأت أتطور وأنمو لأصبح فتاة جميلة. كنت أحمل كل ملامحها الجميلة، علاوة على بعض الملامح القليلة الخاصة بي. كل هذا أخضع وأذل أمي. لن أنسى أبداً اليوم الذي بدأت فيه غيرتها تظهر تجاهي.

الفصل الثاني

أقامت أمي حفل عشاء لبعض رفقاء وزملاء أبي في عمله، وطلبت مني أن أساعدها في تقديم الطعام، لأنها كانت مشغولة مع الضيوف. لقد حملت طبقاً من السلاطة ودخلت إلى حجرة الطعام، وفجأة شعرت أن كل العيون موجهة إليّ، فظننت إنه ربما كان هناك شيء ما في فستاني أو وجهي. توقفت عن مسيري وبدأت أنظر. بعد ذلك، صرخ أحد الضيوف المحترمين بأعلى صوته بينما كان جالساً على منضدة الطعام قائلاً: "عزيزتي فاري (فوزية)، لم تخبريني قط أن لديك ابنة جميلة بهذه الصورة، أين كنت تخبئنها. أجاب والدي بطريقة مميزة وكريمة، وكان يمتاز بها في مثل هذه المناسبات. أما أمي فقد نظرت إلي بعيون يملؤها الرعب ثم خرجت: "إيمان، ألم أخبرك بأن تتركي الطباخ ليحضر الطعام بنفسه إلى المنضدة؟ ارجعي إلى حجرتك!". لقد شعرت بالصدمة. لم يكن لديّ أية فكرة عن سبب رد فعل أمي هذا. وعدت بسرعة إلى المطبخ، وأعطيت الطبق للطباخ، ثم اختبأت بحجرتي باقي الليلة. لم تأت أمي أبداً لتفسر لي سبب تصرفها. وبدأت محاولة كشف السر بنفسي، بذهني الجاهل وعقل فتاة في سن المراهقة. لقد أقرت أخيراً أنها كانت تحاول حمايتي مما رآته يصدر لأول مرة من رجل متزوج. لقد صفحت عنها وحاولت أن أضع هذا في ذهني منذ تلك اللحظة.

لكن، كان هذا بالنسبة لأمي يمثل حاجة عاجلة وضرورية لتدخل في حياتي وتتشغل بها أكثر. رحبت بكل سرور ببعض من هذا الاهتمام، لأنني كنت أتوق جداً إلى أن يحبني والداي وأن يظهرها حبهما ورعايتهما لي. لكن أصبح اهتمام أمي بي أكثر من أن أحتمله. لقد بدأ اهتمامها بي بطرق رقيقة وذكية، لكنه بدأ ينمو بقوة وبشدة وبمشاعر سلبية. لقد رأيت تغيراً كثيراً يحدث بعد ليلة حفلة العشاء.

في أيامي العادية، كنت استيقظ من نومي، وارتي ملابس، وأتناول إفطاري مع أخي. في ذلك الوقت يكون والداي قد ذهبا بالفعل إلى عملهما. كنا نجد رعايتنا موزعة بين المربية والطباخ، كما كنا نعتقد أن هذا ما يحدث مع الكل. لكن، ذات يوم بعينه، وبينما كنت أرتدي ملابس، اندفعت أمي إلى حجرتي، وقالت:

"صباح الخير يا إيمان، هل استمتعت بنوم هادي؟"

وأجبتها ببرودة وفتور: "نعم، يا أمي، أشكرك".

"إيمان" استمرت أمي في الحديث دون أن تسمع لي: "لابد أن نفعل شيئاً ما بخصوص دولاب ملابسك، لا أعتقد أنه يليق بفتاة في سنك أن تذهب إلى المدرسة بمثل هذه الملابس المزخرفة. دعيني أحاول أن أجد لك بعض الأشياء التي تناسبك أكثر. لا نريد أن نواجه أية مشاكل الآن، أليس كذلك؟"

لم يكن لدي أية فكرة عما تتحدث عنه أمي، فلم يتجاوز عمري الثالثة عشرة، وبالرغم من أنني سمعت صديقات تتحدثن عن أولاد وما إلى ذلك، إلا أنني كنت جاهلة تماماً بالجنس الآخر. لقد استمتعت بدراستي وكانت

هي الشيء الوحيد الذي كنت أجده، وكنت أنجز فيها إنجازاً عظيماً. وبينما كانت أُمِّي تفتش في دولابي، بدأت تحدثني عن أهمية الاحتشام والالتزام وتغطية أجسادنا حتى نصبح سيدات مسلمات صالحات.

قالت أُمِّي: "الرجال دائماً لهم أفكار شريرة، ولا يمكنك أن تكوني حريصة بما يكفي". لم أفعل شيئاً سوى أن تمتمت بعدة كلمات: "نعم يا أُمِّي"، بينما تقدمت أُمِّي لتلبسني بلوزة تبدو قبيحة جداً، ذات أكمام طويلة، قاتمة اللون. كانت تلك البلوزة بها أزار مغلقة حتى قمة رقبتني، كما كانت واسعة جداً وتصل إلى أسفل أردافي بقصد تغطية الجزء الأسفل بالكامل. وبينما كانت تنظر إلي، وقفت خلفي وقالت: "الآن أنت أفضل بكثير. أريدك أن تحرصي كل يوم على ارتداء ملابس محتشمة. إن شاهدت - فيما بعد - في دولابك ملابس متبرجة سوف أخبر والدك بهذا الموضوع، وبالتأكيد لن ترغب في ذلك الآن، أليس كذلك؟". وبدون انتظار إجابتي خرجت من حجرتي بطريقة مفاجئة وحادة.

ونظرت إلى نفسي في المرأة وبدأت أصرخ. كيف أستطيع أن أذهب إلى المدرسة بمثل هذه الملابس. سوف يسخر مني أصدقاؤني مما يجعلني أخرج من الفصل. وبسرعة غطيت نفسي بالزي المدرسي، الذي لم يلبسه أحد بصورة حقيقية مع أمنيّتي ورغبتني في أن يغطي جزءاً كبيراً مما كنت أرتديه. وما زلت لا أفهم أعمال وتصرفات أُمِّي معي.

نزلت ببطء إلى الشارع حتى أنتظر الأتوبيس. عندما رأيت صديقتي ليلى قادمة، أردت الاختباء منها خلف الناس. وبالرغم من ذلك رأيتني وجاءت إلي.

بينما كانت تقبلني قالت لي : "ماذا حدث لك؟" لماذا ترتدين الزي المدرسي اليوم؟". "آه، يا عزيزتي ليلي، إنني اليوم بأئسة جداً. انظري ما جعلتني أُمي أرتديه اليوم!"

وقفت ليلي خلفي بينما كنت أفتح أزرار الجاكت، وقالت لي: "أعتقد أن أفضل شيء ترتدينه هو الجاكت. ماذا أصاب أمك؟ ألم تعرف أنه لم يعد هناك من يرتدي مثل هذه الملابس؟". وبسرعة بدأت أعيد إغلاق الزي المدرسي مرة أخرى، وقلت: "لا أعلم ماذا حدث لها. ربما تخشى أن يؤذيني شخص ما إن لم أكن حريصة جداً".

"نعم، لكن حينما ترتدين مثل هذه الملابس، لن تتزوجي أبداً!" أجابت ليلي بإبتسامة.

"آه ليئك تتوقفي عن هذا الكلام يا ليلي. إنني في مسيس الحاجة إلى مساعدتك. كل الزملاء في المدرسة سوف يسخرون مني لو أنني ارتديت ملابس كهذه كل يوم. ماذا أفعل؟". قلت هذا بسخط شديد. لقد وصل الأتوبيس، وكان مزدحماً كالعادة. حاولنا أن نندفع بين الناس بمجهود شاق عبر الباب. وقالت ليلي بصوت منخفض: "الآن استندي علي من الخلف، ربما يمكنك أن ترتدي ملابسك في طيقات" ثم أضافت قائلة. "بمجرد خروجك إلى المدرسة، يمكنك أن تخلعي قميصك ذا الأكمام الطويلة وتضعيه في حقيبة ظهرك، ولن تراك أمك وأنت في المدرسة ثم ترتدين قميصك ذا الأكمام الطويلة عند عودتك من المدرسة. لن يبدو هذا صعباً". وأجبتها: "هذه فكرة جيدة".

كانت هذه هي الخطوة الأولى تجاه حياة مليئة بالخداع والكذب في معاملتي مع أمي. في نفس الوقت بدت لي هذه الحياة أنها هي الصواب، كما أنها حياة بريئة أيضاً زرعت بذرة تجاه مبدأ جديد، وبدأت هذه البذرة تنمو. كان ذلك المبدأ الجديد هو إنني على حق وصواب أما أمي فهي المخطئة.

الفصل الثالث

وُضعت خطة تغيير الملابس في المدرسة بصورة فعالة وبطريقة سليمة، وفي اليوم التالي قمت بارتداء ثوب ذي أكمام قصيرة وفوقه قميص ذو أكمام طويلة كان يغطي معظم جسدي. بينما كنت أفعل ذلك، فكرت في كيف أن بلدنا تختلف عن جميع الدول الإسلامية الأخرى. فبالرغم من أن 99% من سكانها مسلمون إلا أنها غير مقيدة بنمط ملابس وتقاليد معينة، كذلك لم تسجن نفسها في قواعد أخلاقية معينة في بعض النواحي التقليدية.

إن رئيسنا الأول العزيز رأى النور وسعى إلى تحقيق الدولة المتحررة من مثل هذه الطرق المتخلفة الرجعية. والآن أصبح للسيدات حق التصويت، وحق الطلاق وحقوق أكثر مما تحصل عليه السيدات في دول أخرى، وربما حتى في أمريكا. معظم النساء كن أحراراً في أن يرتدين ما يحلو لهن من ملابس. كان الجو حاراً جداً في شهور الربيع والصيف. لماذا يجب على المرأة أن ترتدي ملابس ذات أكمام طويلة بينما الرجل حر يمكنه أن يرتدي تي شيرت بنصف كم ويتجول وهو يرتدي الشورت؟ حسناً، لن نستطيع أمة أن تجعلني أعاني.

لقد استعدت نفسي من استغراقه عندما جاءت أمة ودخلت إلى حجرتي قائلة: "صباح الخير يا ابنتي الجميلة"، ثم أكملت بابتسامة عريضة: "إنني سعيدة أنك تذكرت هذه القواعد والقوانين". قالت هذا بينما كانت متجهة

نحوي وهي تظهر إعجاباً بقميصي القبيح. "إنه شيء مهم جداً أن تكون لك صورة محتشمة. أتمنى لك يوماً سعيداً".

"مع السلامة يا أمي"، قلت لها هذه الكلمات وهي تخرج مندفعة من حجرتي. ونظرت مرة أخرى إلى نفس المرأة، وتتهددت وسئمت من فكرة أن الناس سوف ترائني بالفعل في مثل هذه الملابس، وبهذه الطريقة. بالرغم من ذلك، فقد هيات نفسي على هذا الواقع الجديد وتوجهت إلى المدرسة.

كان الجو داخل الأتوبيس حاراً جداً والزحام شديد في ذلك اليوم مع إننا كنا في شهر أبريل. حاولت أن أفك أزرار قميصي في الأتوبيس. فحملق في رجلان وابتسامة تعلو وجهيهما. بسرعة أدركت ليلي نظرتيهما وتقدمت بخطوة سريعة ووقفت أمامي. قالت ليلي: "هل من الممكن أن تنتظري حتى نصل إلى المدرسة، أنا لا أحب نظرات هؤلاء الأشخاص لك".

فأجبتها بضيق شديد: "وهو كذلك، إنني سأحترق هنا". بمجرد أن نزلنا من الأتوبيس، وقفت خلف شجرة وخلعت قميصي، ثم وضعته داخل حقيبة ظهري. سررت جداً لأنني استطعت أن أدخل المدرسة وأشعر بأنني طبيعية في ذلك اليوم. شعرت وكأنني نجحت في هزيمة أمي في مباراتنا الخاصة.

هذا النموذج من الملابس التي ارتديها تحت القميص مناسبة جداً لسني وللمدرسة الثانوية. بالطبع، في بعض الأيام كان على أن أتذكر أن أرتدي قميصي مرة أخرى، لأن أمي كانت تأتي إلى المدرسة بالسيارة لتأخذني إلى الطبيب أو لعمل شيء ما معاً. كان عليّ أيضاً أن أكون حريصة جداً عند

خروجي إلى الشارع للنزهة، لأن أُمي أحياناً كانت تراقبني من سيارتها لتعرف ما إذا كنت موجودة بالمدرسة أم لا. كان لأُمي عقل مملوء بالشك، لكن فقدانها الثقة بي كان يدفعني إلى التمرد الشديد. ووجدت نفسي أبحث عن طرق حتى أخدعها.

من المذهل أن يكون أمام الفتاة المراهقة الفرص الكثيرة لتخدع الآخرين، إذا أرادت ذلك. كان أول شيء يمكن فيه الخداع هو الملابس. أما ثاني شيء فهو المذاكرة مع الأصدقاء. أتذكر يوماً ما حينما بلغت سن السابعة عشرة، أخبرت أُمي بأنني سأستذكر دروسي مع صديقتي ليلي استعداداً لامتحان اللغة الفرنسية. لقد ناديت عليها في المطبخ قائلة: "ماما، سأذهب مباشرة إلى ليلي للاستنكار!"

فأجابت بصوتها العذب الرقيق: "انتظري يا إيمان، متى ستعودين؟". فأجبتها: "أتمنى أن أكون هنا نحو الساعة التاسعة".

فقالت: "هذا رائع، سأكون بالخارج لفترة ما، لذلك تأكدي أن مفتاحك معك".

فقلت: "حسناً يا أُمي إلى اللقاء". ثم خرجت، وبالرغم من ذهابي إلى منزل ليلي، إلا أنني لم أمكث هناك. وسألت ليلي بينما كنا نسير على جانب الطريق أمام منزلها وأنا أضع ذراعي في ذراعها: "كم معك من نقود يا ليلي؟".

- "معي ما يقرب من خمسة دينارَات، لكن - لماذا؟".

- "حسناً، أنا معي عشرة دينارَات، ولدي فكرة عظيمة".

- "ما هذه الفكرة العظيمة؟"، سألتني بشيء من الخوف.

- "دعينا نأخذ تاكسي ونذهب إلى لامس بالاس! أنا أحب التجول هناك. من يعلم ربما نتقابل مع أحد هناك!"

- "إيمان، هل ستسمح لك أمك بالذهاب إلى هناك بمفردك؟"

- "لن تعرف أمي.. المفروض أنني أذاكر معك الآن في منزلك استعداداً لامتحان اللغة الفرنسية، وسوف نظل حتى الساعة التاسعة! على أية حال لقد خرجت هي أيضاً، لذلك فعامل الوقت ليس مهماً، هيا بنا!"

وبالرغم من أن ليلى حقاً تفهم الأمور أفضل مني، إلا أنها وافقتني، فأخذنا تاكسي إلى مكان تجمع جميل يطل على بحيرة. كان على شكل شبه دائرة من الخرسانة، محاطاً بالمقاهي والمطاعم. إنه مكان رائع وساحة عامة كبيرة تستمتع فيها بهواء المساء الرطب. كان مكاناً مفضلاً لأفراد الطبقة العالية. وبالنسبة لفتاتين في المدرسة الثانوية لهما هرمونات نشيطة لا يوجد مكان أكثر إثارة منه.

تجولنا بين المقاهي وألقينا نظرة على الناس وهم جلوس على المقاهي. كان البعض منهم يجرون من حولنا على الأقدام. كان مكاناً عظيماً ومناسباً للعب الأطفال وسلامتهم. بعد تعبنا من السير، قررنا الجلوس في مكان ما لنتناول شيئاً ما لنشربه. لم يكن معنا ما يكفي لشراء ما نأكله، لكن هذا لم يزعجنا. كنا فتاتين بعيدتين عن مدينتنا وعن عيون والدينا. حقاً كان شعوراً مذهلاً.

جلسنا على منضدة في أحد المحلات وطلبنا قهوة أمريكية، لكن مذاقها بدا غريباً كما كانت باردة. جلسنا حيث كانت مجموعة من الشباب ذوي مظهر حسن أطالوا النظر إلينا. حاولنا أن نتجاهلهم بطريقة فيها نوع من الخجل، ثم طلبنا المشروب. كانت ليلي هي السبابة في تحويل رأسها تجاههم لتعرف ما إذا كانوا يراقبوننا أم لا.

- "ما زالوا" صرخت ليلي بصوت مرتفع.

- "اصمتي يا ليلي، لا تظهرني وكأنك حمقاء أو متساهلة"، انتهرتها وكأنني أعلم ما أفعله.

- "لنتركهم بمفردهم يا إيمان. لا نريد المتاعب".

- "إن نظراتهم إلينا لن تصيبنا شيئاً يا ليلي". هذا ما قلته ليلي، وبطريقة عفوية دون قصد حولت رأسي تجاههم. بينما كنت أفعل ذلك وقعت عيناى على شخص من بينهم لم أر مثله في الأناقة من قبل. ابتسم لي ابتسامة مهذبة رقيقة جعلت قلبي يذوب بداخلي. لم أستطع أن أمنع نفسي عن التفرس فيه. ثم رأيته ينهض من مكانه، فحولت رأسي ثانية بسرعة إلى ليلي.

- "من فضلك يا ليلي، أخبريني بأنه ذاهب إلى التواليت!"; هذا ما التمسست سماعه من ليلي.

- "لن أنظر إليه! هذا سيجعل الموقف أسوأ"، كانت هذه إجابة ليلي. وعدنا - أنا وليلي - إلى مشروبنا وفجأة وجدنا صوتا يكسر صمتنا وتركيزنا.

- "مساء الخير . هل تسمحا، لي بالجلوس؟"

- "مرحباً بك"، أجبته دون أن أعرف ما قلته.

- "أشكرك. اسمي طارق. ما أسماكما؟"

- "أنا إيمان، وهذه ليلي"، أجبته بصوت كأنه لم يكن صوتي.

- "هل تأخذان أيس كريم؟"

قالت ليلي بصعوبة:

- "شكراً، لا نستطيع حقاً أن نمكث أكثر من هذا".

أجاب طارق:

- "فهمت" ثم سألت: "هل لديكما مانع أن أقدم أصدقائي إليكما؟". ثم جاء أربعة أشخاص آخرين إلينا بسرعة. بعد ذلك سمعت صوتاً يرتفع فوق كل ضوضاء في المكان. لقد كان صوت أمي! فنهضت واقفة بسرعة، فاندھش الشباب الذين أحاطوا بنا. حاولت أن أنظر في اتجاه مصدر الصوت. "ماذا تفعلين؟"، سألتني ليلي وهي في حالة ارتباك.

فأجبته:

- "ألم تسمعي هذا الصوت؟"

- "أي صوت؟".

- "يبدو تماماً أنه صوت أمي! يا إلهي! من أين يأتي؟"

بدأ الأولاد يلتفتون حولهم وهم يسمعون ما كنا نقوله. وقبل أن ينتهزوا الفرصة وينفركوا، رأيت أمي ورأيتي هي أيضاً.

وقلت بصوت منخفض: "إنها هناك". وفجأة ذاب الشباب واختفوا تماماً.

بدأت أمي تتحرك تجاهي وتملأ عينيها نظرات مميتة، ثم قالت: "ماذا تفعلين هنا يا إيمان؟"، سألتني بصوت هادئ وناغم.

- "كنا تأخذ مجرد راحة من الاستنكار يا أمي". حاولت جاهدة أن أرد عليها.

- "لا أعتقد أنك ستؤدين جيداً في امتحانك بهذه الطريقة".

- "لا أعتقد ذلك يا أمي".

- "سوف أناقش معك هذا في المنزل، سأكون هناك بعد ساعة بالضبط، حتماً سنتناقش، هل هذا واضح؟".

- "نعم يا أمي".

- "ليلي....، من فضلك لا تتوقعي الخروج مع ابنتي مرة أخرى".

- "لا يا مدام فوزية"، أجابت ليلي وعيناها تنتظران لأسفل في محاولة لتجنب المشهد بالكامل

- "أرجعي الآن إلى المنزل يا إيمان".

- "وهو كذلك، يا أمي".

بينما تحركت أُمِّي راجعة إلى أصدقائها، نهضت بسرعة مع ليلى وقمنا بدفع فانتورة الحساب وأسرعنا إلى الشارع. لكن، بمجرد وصولنا إلى السلم الذي يقودنا من الساحة إلى الممر الجانبي للطريق، كان طارق منتظراً في مواجهة السور الخارجي.

- "آسف". قال بهدوء.

- "شكراً". كان ذلك ردي عليه.

- "إنني أندب حظي العاثر لما حدث بالفعل، فهذا شيء مخيب للآمال". أضاف طارق. فأجبتّه: "وأنا أيضاً". ثم استدرت بسرعة وساعدت ليلى لنوقف تاكسي. وبعد أن ركبنا أخذت نفساً عميقاً ، ثم انكأَت على كتفها، وقلت: "حسناً، أعتقد أنها لم تكن فكرة عظيمة، أليس كذلك؟"

- "كانت مغامرة"، أجابت ليلى. "إنني حزينة لأنك ستواجهين بعض المتاعب".

- "اعتذر لك إذ وضعتك في موقف حرج وخلقت لك المتاعب، سوف أحاول أن أجعل أُمِّي تفهم أنني طلبت منك أن تذهبي معي. على أية حال، ما الذي يمكن أن تفعله معي؟".

وقالت ليلى بضجر: "سوف تتذكرين طارق دائماً!"

- " طارق"، وبدأ صوتي في الانحدار وبدأ يتحشر بداخلي. كانت أول مرة بالنسبة لي يعلن فيها شخص عن اهتمامه بي. أول مرة أيضاً أفكر بهذا بصورة حقيقية وأرى نفسي كفتاة جذابة لشخص ما. يا له من شعور فوق الرائع.

الفصل الرابع

كيف تتجاسري وتخزليني بهذه الطريقة! اندلع الصوت بينما سمعت صوت الباب يدوى. لقد وصلت أمي إلى المنزل تماماً في الساعة التي وعدتني بها. لقد كانت دائماً دقيقة في مواعيدها. لم يكن الوقت مناسباً للتفكير في سمات أمي بل في العقاب الذي قد يقع على. لقد جلست في سريري منكسة الرأس لما حدث.

"إيمان! ألم أكون أم مثالية وجيدة؟" هذا ما بدأت به أمي. "ألم أعطيك كل شيء تريدينه؟ لماذا؟ كيف فعلت هذا بي؟" استمرت أمي في الحديث دون أن تلتقط أنفاسها. "لحسن الحظ أن أصدقائي لم يتقابلوا معك أبداً، لذلك أخبرتهم بأنك ابنة زميلة دراسة لي. ما الذي كان سيعتقدونه إذا عرفوا أن ابنتي بمفردها في مثل هذا المكان ويحيط بها مجموعة من الشباب! كيف فعلت ذلك يا إيمان؟"

"آسفة يا أمي"، كان هو ردى بصوت منخفض ورأسي ما زالت منكسة.

"آسفة، آسفة! هل هذا كل ما تستطيعين أن تقولينه؟" هكذا صرخت أمي. "سوف أريك الأسف الذي ينبغي أن تشعرى به! لن ترى ليلي مرة أخرى سوى في المدرسة. لن تذهبي إلى منزل أي صديقة من صديقاتك لمدة

شهرين. سوف تمكثي في هذا المنزل وتقومين بالدراسة والاستذكار بمفردك باقي العام الدراسي، وأريد أن أراك مرة أخرى مع شباب ، هل هذا واضح؟".
"نعم يا ماما" قلت لها بهدوء .

"لا أستطيع أن أسمعك!" كان رد أمي على كلامي.

"نعم يا ماما"، أجبت مرة أخرى بصوت مرتفع وحاولت أن أرفع رأسي وأنظر إلى عيناها. عندما فعلت ذلك صدمت من النظرة الغاضبة والمملوءة كراهية التي نظرت بها إليّ ليس هناك طريق لوصف هذه النظرة لقد كرهتني أمي. إنني أخزلتها، وجعلتها تبدو وكأنها إنسانة سيئة. لقد فقدت شعوري بتأنيب الضمير في تلك اللحظة. لم تبالي هل سوء تصرفاتي وأفعالي قد تؤذيني. أيضاً لم تبذل أي جهد حتى تتأكد هل فهمت واستوعبت الخطأ الذي ارتكبته أو هل أدركت حقاً خطورة ما قمت به. لقد اهتمت فقط بنفسها، بصورتها ووصفها أمام الناس، أما أنا فلم أكن أسأى شيئاً بالنسبة لها.

خرجت أمي من الحجرة وأغلقت خلفها الباب بصوت شديد كان صوت الباب مزعجاً جداً. في النهاية، أدركت أن هناك عملية انفصال قد حدثت بيننا. لم أعد أناضل من أجل كسب حبها أو رعايتها لي. لم أخطأ بهما وهذا ما عرفته الآن. لا بد أن أهتم بنفسي فأنا حقا مسئولة عن نفسي، كنت وحيدة في هذا العالم.

أردت أن أصرخ من أعماقي، لكني لم أستطيع. يبدو أن كل مشاعري ذابت وجرفت أوج الحياة والضغط من داخلي. كان هذا كل

تفكيرى بينما كنت جالسة فى سريرى وأفكر فى حياتى . لماذا ينجب الناس أولاداً، إذا لم يحبونهم ويعتنون بهم؟ ثم بدأت أفكر فى الله. لم يكن هذا شيء ما أميل إلى فعله؛ لأنه لم يتجرأ أحد على تشجيعنا دينياً، هل كان نفس الموضوع بالنسبة لله؟ هل يهتم ويرعى خليقته وخاصة أنا، بكل وضوح "لا"، هذا ما استنتجته، لأنه لو كان يهتم ويرعى خليقته ويرعاني أو يهتم بي لما وضعني في مثل هذه الأسرة. لقد أخرجت الله من ذهني كما فعلت مع أمي. لابد أن أعيش معتمدة على نفسي فقط.

كانت أحداث هذه الليلة علامة لبداية مرحلة جديدة فى حياتى. لقد تحولت من فتاة هادئة متحفظة إلى فتاة معتمدة على نفسها وتقرر مصيرها بنفسها. إن عمري لم يتغير خلال ليلة، ولكن اتجاهي وأفعالي هي التي تغيرت بالتحديد. لقد وضعت هدفاً جديداً في ذهني وهو أن أترك هذا المنزل بسرعة بقدر الإمكان. لم أرغب أو أتمنى شيئاً أكثر من أن أكون بعيدة عن عيون أمي. ذهبت إلى النوم مدركة أن غداً سوف يكون كل شيء مختلفاً تماماً.

الفصل الخامس

استيقظت مبكراً عن العادة صباح اليوم التالي، وأخذت وقتي في ارتداء ملابسني. ارتديت ما كنت أريده تحت الزي الذي كان مطلوباً مني أن أرتديه بناءً على رغبة أمي. عندما دخلت أمي إلى حجرتي أخيراً، كعادتها لتفحص كل شيء يتعلق بي، قدمت لها تحيتي قائلة: "صباح الخير يا أمي. هل استمتعت بنومك بعد أحداث الليلة الماضية". بدأت أمي بصورة عطوفة في التحدث معي فأجابتي قائلة: "نعم، شكراً يا إيمان. هل أنت بخير؟".

"أنا بخير يا أمي. هل هذا اللبس مناسب يا أمي؟"

"نعم يا عزيزتي. هذا جيد. يجب أن أتوجه إلى عملي الآن". تركت أمي الحجرة في عجلة. كانت أمي تخشى أن تظهر لي الراحة والقبول، وفضلت أن تحمل الضغائن والأحقاد لي فترة طويلة حتى تجعل الجميع يشعرون باليأس. لقد ضحكت بصوت مرتفع بعد مغادرة أمي المنزل. كنت سعيدة بما أنجزته ومثلته عليها.

لقد افترقت ليلي في الأتوبيس في ذلك الصباح، لكنها لحقت بي أخيراً قبل أن يذق جرس المدرسة.

"هل أنت بخير يا إيمان؟" سألتني ليلي وهي تلهث لأنها كانت تجري مسرعة خلفي. "كنت قلقة جداً بخصوصك الليلة الماضية".

"إنني بخير، يا ليلي. لكنني لست في أفضل حال". أجبتها ببرود.

"كيف تقولين أنك بخير، لا بد أن أمك كانت تشطاط غضباً بعد أحداث الأمس". "كانت كذلك بالفعل، إنني آسفة يا ليلي أن أخبرك بأنها لن تسمح لي بالذهاب إلى منزلك مرة أخرى. لكنني أدركت أن كل ما تقوله لم يعد يهمني حقاً بعد ذلك".

"عن أي شيء تتحدثين يا إيمان؟" سألتني ليلي والقلق يملأ عينيها.

"لقد قررت، إن لم تكن أُمي تهتم بي وترعاني، فسوف أُرعى نفسي".

"ماذا يعني هذا الكلام؟". "أعني أن أُمي لا تفكر في أي شيء آخر سوى نفسها. لقد جن جنونها مني لأنها ارتبكت لما رأيته. لم تكن قلقة عليّ مطلقاً، إذ لم تقل لي إن مثل هذا الحدث يُعد عملاً خطيراً جداً على حياتي. أليس معنى هذا أنها تكرهني؟"

"كيف ترين الأمور هكذا، يا إيمان؟ لا يمكن أن تكرهك أمك".

"إنها تكرهني حقاً، لكن لم يعد هذا مهماً لي الآن. ما يهمني هو أنني مسئولة عن نفسي، وقد قررت أن أترك هذا المنزل على وجه السرعة، هذا أفضل شيء".

"هذا ليس كلامك يا إيمان. ما الذي حدث لك؟"

"أنا لم أغير يا ليلي، لكن أهدافي هي التي تغيرت. لا أستطيع البقاء في مكان أكون فيه إنساناً غير مرغوب فيه".

"ماذا ستفعلين؟" سألتني ليلي ... "إنني حقاً قلقة بشأنك الآن".

"لا أعلم، لكنني سأفكر في شيء ما بالفعل"، قلت ذلك وكلّ ثقة.

"من الأفضل أن ندخل فصلنا الآن"، قالت ليلى بتردد.

أجبتها وأنا أمسك يدها: "نعم، هيا بنا ندخل الفصل".

جلست في الفصل ذلك اليوم دون أن أسمع أي شيء مما قاله المعلمون. كان كل ذهني منصباً على موضوع واحد. لا بد أن أجد طريقة للهروب. ولأن أمامي سنة واحدة للانتهاء من دراستي الثانوية أدركت أن فرصتي في الهروب من البيت فرصة ضئيلة جداً، وهذا ما أحبطني إلى حدٍ ما، لكنني فكرت أنه يمكنني أن أوصل خداع أمي دون أية مشاكل. كان السؤال هو: ما الذي يمكن أن يساعدني في الخروج من هذا البيت؟ حقاً، كنت أعرف إجابة واحدة وهي: البحث عن زوج.

بكل أمانة كانت تجربتي مع طارق هي أول مرة أفكر فيها حقاً في الجنس الآخر. كنت أنمو وأكبر وحولي الأولاد في المدرسة طوال حياتي، لكن لأنني من النوع المهتم بالدراسة فقط، لم أسمح أبداً للأولاد بالتدخل في أفكاري أو دراستي. لم أكن مثل الفتيات الأخريات، اللاتي كن يفكرن فقط في الشباب. لقد شاهدت ما كان يحدث لهم من جراء ذلك. كن دائماً يفشلن في الدراسة وكن موضوع همس ولمز الجميع. لم أحب أبداً أن يتكلم الناس عني، لذلك كنت منغلقة على مجموعة معينة من الأصدقاء وملتصقة بكتبي.

لكن، الآن لا بد أن أضع شاباً في الحسبان، إذا أردت الحصول على الحرية المطلقة، لذلك بدأت ألتقت حولي في حجرة الدراسة. شعرت بالإحباط والاكئاب. جاءت عمليات البحث بنتائج ضعيفة جداً لدرجة أنني شعرت بالرغبة في تسليم نفسي لأي فتى ممن هم معي في الفصل. لكن

أدركت أن لدىّ وقتاً، لذلك حاولت إعادة فحص خطواتي وأفكاري وطريقي
مرة أخرى وكلّي أمني أن أجد فارس أحلامي مختبئاً هنا أو هناك.

الفصل السادس

أدركت أنني لابد أن أكون حريصة في عملية البحث عن فارس الأحلام. بدأت أسأل ليلي عما تعتقده بخصوص بعض الشباب. واندعشت عندما عرفت أن لها آراء محددة جداً.

"هل رأيت "وليد"، يا إيمان؟" قالت بإثارة. لقد حوّل إلى هنا العام الماضي من مدرسة أخرى. اعتقد أنه شخص جميل!".

"إنك تعتقدين أنه جميل وفخم لأنه أصبح كبيراً وله شارب!"، قلت ذلك ضاحكة، فأجابت ليلي وهي تضربني بكوعها: "ليس هذا صحيحاً، إنه جميل لأن عيونه خضراء". قلت لها: "حقاً! إنه عيونه ملونة، لقد فهمت الآن".

"لا أحب كل ولد له عيون ملونة"، أجابتي ليلي: "انظري إلى عليّ، وبالمناسبة، منذ متى بدأت تهتمين بالأولاد؟". فأجبتها: "لا أعلم، هل تعتقدين أنه لم يحن وقت هذا؟"

"أعتقد أن أمك لن توافق على هذا ولن تستحسنه".

"ما تقبله أمي أو لا تقبله لا يخصني في شيء، تذكرني، إنني مسئولة عن نفسي".

"آه، نعم، لقد تذكرت"، قالت ليلي والشك يملأ صوتها.

بينما كنا نتحدث سويا، كنا متكأين على سور يحيط بمنزل خارج نطاق المدرسة، حيث كان الأولاد يمرحون أثناء الفسحة. كنا بالقرب من المدرسة، لكن بعيدتين عن مرمى بصر المدرسين. كان هناك شارع صغيراً بعد التقاطع، وكان هذا الشارع يؤدي إلى فيلا يحيط بها سور. كانت هذه الحارة ممتلئة بأشجار السرو الطويلة من جانب واحد، وكان خلفها سور الفيلا. كان لهذه الأشجار هدفان، حيث أعطت ظلاً للمنزل، كما كانت مكاناً رائعاً لكل ولد وبنات حتى يقبلا بعضهما بعيداً عن عيون الآخرين.

تذكرت، حينما كنت أقف مع ليلي، مرات كثيرة أنني كنت أرى في هذه الحارة أو العطفة ذراعاً أو ساقاً تشير وتكشف عن وجود شخص ما يختبئ وهو يقبل شخصاً آخر. كان معظمنا يعرف أن هناك أولاداً وبنات يأتون قبل المدرسة بساعة ليستمتعوا خلف هذه الأشجار مغامرين بأنفسهم قبل بدء وصول باقي الطلبة إلى المدرسة.

بينما كنت أفكر في كل هذا، انتابني شعور عارم غريب. وسألت نفسي، ماذا كنت سأفعل لو جئت ذات مرة خلف إحدى هذه الأشجار؟ واجتذبتني ليلي من أفكاري.

"أين أنت؟" سألتني ليلي.

"إنني خلف هذه الأشجار." أجبتها دون تفكير.

"يجب أن نحترس يا إيمان"، قالت ليلي بعنف، "إذا كنت تفكرين في ذلك، فقد يحدث".

"ربما سوف يحدث"، قلت ذلك بينما لم أزل انظر إلى الأشجار.

"إِذَا مع من؟" سألتني ليلي وهي تبتسم.

"الآن، هذا سؤال آخر!" أجبتها وأنا أنظر إليها. إنني أتساءل من سيكون هذا الشخص؟"

"لقد جعلتك أمك حقاً مجنونة! من الأفضل أن نعود إلى الفصل قبل أن تراك أمك هنا!" ثم جذبت زراعي.

لم أكتشف أي شيء غريب، لكن فيما بعد اكتشفت أن شخصاً ما كان يستمع إلى هذه المحادثة. كان هذا الشخص يُدعى سفيان ويكبرني بعام واحد بالرغم من اشتراكنا معاً في دراسة بعض المواد. لم يكن هذا شيئاً غير عادي حيث إننا في عالم فيه اختيار واحد يجعلك تعيد العام الدراسي بالكامل. كان سفيان معروفاً بسمعته الطيبة، وأنه شخص رقيق، وأنه كان لطيفاً مع النبات. لم أكن في قائمته من قبل، خاصة أنني لم أعط فرصة لأي شخص أبداً أن يكون له علاقة بي. وبالرغم من ذلك، أعتقد أنه عندما سمع محادثتنا، أدرك أنني أصبحت ناضجة وجاهزة للحصاد. لقد بدأ يتحرك بعد هذا اليوم محاولاً إنشاء علاقة معي.

كنا في حصة البيولوجي، عندما طلب منا معلم الفصل أن يشترك كل اثنان من الطلاب في عمل تجربة ما. كانت دائماً ليلي هي شريكتي في تجاربي، لكن هذه المرة تحرك سفيان بسرعة تجاهي وسألني بصوته الرقيق: "هل تمانعين أن أكون شريكاً لك في التجربة؟".

"حسناً، عادة أعمل مع ليلي، لكنني أعتقد أنه لا مانع. أجبته بكل ثقة.

"شكراً. درجاتي ومستواي لم يكونا عظيمين في مادة البيولوجي، وأعرف أنك ممتازة في هذه المادة؛ لذلك تستطيعين أن تساعديني".

"حسناً كل ما نحتاجه هو قليل من الاستدكار"، أجبت به بذلك لأنني كنت أعلم أن هذا ينقصه. بدأنا العمل على العينة الخاصة بنا وكانت هذه العينة ضفدعة. بينما قمت بتدبيس أرجلها الخلفية، شعرت بالهواء الخارج من زفير سفيان على رقبتني. ثم حركت رأسي بضجر. فقال لي: "آسف، كنت أحاول أن أنظر إلى العينة لأراها بطريقة أفضل"، لكن أضاف بعد ذلك، "بالمناسبة، تبدو رائحتك جميلة ورائعة".

"إنني متأسف. هل كنت متقدماً إلى الأمام كثيراً؟"

"إلى حدٍ ما"، قلت هذا بإثارة. ثم نظرت إلى وجهه فابتسم لي. لقد أسرني بعينه فظلت أحملق فيه. هل أحب ما أنا فيه؟ لم أكن متأكدة. لقد رجعت إلى خلف، إلى العينة، وحاولت التفكير فيما أفعله أو أقوله.

"أهم شيء في مادة البيولوجي هو أن تأخذ الأمور ببطء وسهولة، كل خطوة في التجربة مهمة جداً. يجب ألا تندفع وإلا ستفقد كل شيء".

"فهمت ما تقصدين، لنحاول مرة أخرى".

"دعنا نحاول مرة أخرى". أجبت به برقة ونعومة.

أمضينا 45 دقيقة من العمل الجاد على الضفدعة. وكان تشريحنا لها دقيقاً وسليماً. لم يحاول سفيان أن يلمسني مرة أخرى. وبينما كنا نغسل أيدينا وننظف الأدوات، سألتني سفيان: "هل من الممكن أن نتمشى سوياً بالخارج؟"

"لماذا؟" سألته بسلامة نية.

"لأنني أرى أنك فتاة لطيفة. إنك مختلفة، أريدك أن تصدقي هذه الكلمات". ولم أعرف هل سأكون مختلفة عن باقي البنات إذا سرت معك بالخارج أم لا، أجبته مبتسمة.

"مجرد قول هذا يثبت صحة رأيي".

"إنني بحاجة إلى مقابلة ليلي". قلت هذا لأنني رأيته قد خرجت بالفعل من الباب.

"هل يمكنك مساعدتي في العثور عليها؟ إننا سنأخذ الأتوبيس معاً إلى البيت".

"يسرني أن أفعل هذا".

بينما كنا نسير خارج المبنى متجهين نحو البوابة، شعرت أن كل الرأس تلتف يمينا ويساراً خلفاً وأماماً لترى من هي الصيد الجديد الذي أمسك به سفيان، لكنه قال: "لا تعيرهم أي اهتمام". وبدأت أشعر بعدم راحة. "إنهن غيورات منك، لأنهن لسن جميلات مثلك".

"إذا كان الأمر هكذا ففيما يتفكرون يا ترى"، قلت ذلك بصوت تملؤه السخرية.

"تقي بي".

فأجبته: "الثقة شيء لا يوجد فيما بيننا حتى الآن". عندما نظرت إلى ليلي ورأيته حولت عيني ونظرت إلى وجهه.

"أشكرك لأنك سرت معي. أحتاج أن أمضى".

لقد مد سفيان يده ولمس يدي.

أتمنى ألا تكون هذه آخر مرة أعمل معك فيها. إنك شريكة عمل عظيمة".

"سوف أرى ذلك، هل تأذن لي أن آخذ حقيبتني؟".

"آسف، إنني أقصد ما أقوله". ثم سلمني حقيبتني

"ما نقوله عن أي شيء؟"

"عن كونك أجمل فتاة".

"لذلك لست أعظم شريكة عمل؟" قالت ذلك ضاحكة.

"إنك شريكة عمل أيضاً عظيمة وأقصد كل شيء قلته بأمانة".

"إلى اللقاء"، كنت أنادي ليلي بينما أجرى إليها، وجذبتها من ذراعها
وقلت: "لنخرج من هنا بسرعة!"

"وهو كذلك، لكنك ستروي لي كل شيء!". قالت هذا بينما كانت تحاول
تسرع مع خطواتي للأمام نحو الشارع.

الفصل السابع

كان شعوراً رائعاً أن أجد شخصاً يحبني. تمددت في فراشي تلك الليلة وعيناي مفتوحتان أفكر في كل ما حدث بيني وبين سفيان. بالرغم من أنني عرفت أنه يجب أن أرفض هذه المشاعر، كان من الصعب ألا أتخذه صديقاً مخلصاً. كانت تصرفاته تتم عن أنه شخص طيب. ما الذي تطلبه أي فتاة غير ذلك؟ لكن ليلي لم تؤيد ذلك، لأنها كانت تصدق كل القصص التي شاعت عنه وكانت خائفة عليّ. ما الذي عرفته ليلي؟ ربما تغيّر. قلت لنفسني إنني سأكون حريصة، لكنني كنت مقتنعة بأن نواياه كانت حسنة. لقد كنت مأسورة به.

لقد أذهلني حينما كان في انتظاري صباح اليوم التالي وأنا أسير مع ليلي خارج بوابة المدرسة.

"صباح الخير"، كانت هذه تحيته لنا المصحوبة بابتسامة رقيقة.

"صباح الخير يا سفيان".

"هل يمكن أن أتكلم معك، يا إيمان، قبل أن تبدأ المدرسة؟" سألني وفي عينيه نظرة عذبة وجميلة. "سأنتظر بالداخل"، قالت ليلي بعد أن تركتنا. لقد نظرت إليها وهي تختفي بعد البوابة. شعرت أن سفيان أخذ بيدي، وقال لي بينما كان يقودني تجاه الأشجار: "لنذهب إلى هناك للحظة واحدة".

"لا ... لا أستطيع يا سفيان".

"إنني أريد أن أتكلم معك، هذا كل ما أريده".

"إذاً يمكنك أن تتكلم معي هنا"، قلت له في محاولة مني أن أجعله يتوقف.

"من الأفضل أن نكون في مكان خاص، من فضلك". واستسلمت لعينيه.

وقفنا خلف شجرة، واتكأت عليها، خشية أن يُعْمى علىَّ من الخوف. ومد زراعته بجوار رأسي واستند على الشجرة بيده، وانحنى بالقرب من وجهي.

"إيمان لم أستطع النوم الليلة الماضية بسببك"، كانت هذه بداية كلامه.

"لا أصدق ذلك"، قلت له، محاولة أن أظهار بأنني واثقة.

"إنني أقول الصدق".

"لا بد أن ترجع إلى الفصل الآن"، قلت له هذا بصوت خافت جداً.

"لم يبق الجرس بعد، وبجانب ذلك، أريد أن أخبرك بشيء ما".

"ماذا؟"

"أريد أن أقبلك ووجهه يقترب من وجهي أكثر فأكثر.

" لا يمكن ذلك".

"من فضلك"، لقد توسل إليّ، "لن أهدأ إن لم أفعل هذا اليوم".

"لن أشعر بارتياح اليوم لو أنك فعلت هذا"، قلت له ذلك وحولت رأسي جانباً حتى أتجنب شفتيه. فجأة شعرت بنفسه وشفتيه على رقبتني. كان شعوراً مذهلاً وعجيباً. لقد حاول أن يقترب مني ويحتضنني، لكنني كنت أمسك حقيقتي بيني وبينه.

"توقف من فضلك يا سفيان! لا أستطيع! ليس الآن، لا تفعل هذا". دفعته بحقيقتي، وقد نجحت في إبعاد جسده عن جسدي. لقد أسرعت جرياً إلى البوابة دون النظر خلفي. كان الطلاب والمعلمون يسرون في الشارع الرئيسي متجهين إلى المدرسة. لقد عرفوا ما حدث معي، عندما رأوني أجرى. لقد بدأ القيل والقال وانتشار الشائعات.

كانت ليلي في انتظاري أمام باب المبنى الرئيسي. "ماذا حدث؟ أين كنت؟ لقد تأخرنا عن الحصة!"

"لقد أخذني وراء الأشجار!"، وانفجرت وفاضت عيني بالدموع.

"يا إلهي! لنذهب إلى الحمام لتغسلي عينيك".

"ذهبنا إلى الحمام وغسلت وجهي ورقبتي بالماء. لقد شعرت بالفقارة. كانت أول مرة يلمسني فيها ولد ليس من أسرتي. كنت أخشى أن يعرف الجميع ما حدث عندما ينظرون إليّ. حاولت أن أروى لصديقتي ليلي مال حدث، لكن لم استطع أن أحكي لها الكثير بسبب البنات الأخريات اللاتي كن يدخلن إلى الحمام. أخذت نفساً عميقاً، وجففت وجهي، ثم خرجت إلى الطرقة. ثم اتجهت إلى فصلي ومقعدي دون أن يواجهني أحد بما حدث. وبينما كنت أجلس منتظرة أستاذي حتى يبدأ، أدركت أن خيالي نشيط جداً، مما جعلني أبالغ في رد فعلي. بدأت أسيطر على نفسي. كنت سعيدة جداً

حيث أن أول حصة في هذا اليوم كانت حصة تاريخ ولم يكن سفيان يدرس التاريخ فلن يتواجد فيها. الآن أصبح لدي وقت لأسترد أنفاسي.

بينما كان المدرس يشرح الدرس بدأت أتجول بعقلي وأتذكر ما حدث. من الواضح أن سفيان قد أحبني وإلا ما كان يرغب في أن يقبلني. إنك لن تقبل شخصاً ما لم تكن تحبه، أليس هذا صواباً؟

لماذا خفت لهذه الدرجة؟ ألم أرد زوجاً حتى أهرب من أمي؟ نعم أريد، لكن ليس لدي أية فكرة عن كيفية الحصول على هذا الزوج. لم أعرف ما يجب أن تفعله الفتاة وما لا يجب أن تفعله قبل الزواج لم يعلمني أحد أي شيء من هذا. لم أعرف حتى ما يقوله لنا ديننا. عرفت أن بعض البنات لديهن أزواج لأنهن حملن. وعرفت أيضاً أن بعض الأولاد أقوياء جنسياً بينما البعض الآخر ينتظر أن تكون زوجاتهم عذاري. أيضاً عرفت أن بعض الناس المتدينين يجعلون زوجاتهم ترتدين حجاباً بعد الزواج. لم أستطع التعامل مع هذا! إنني أفضل أن يكون زوجي منحلاً أخلاقياً، حتى بعد الزواج لكي أضمن أنه لن يضع قيوداً صارمة علي. لدي الكثير الآن ولست في حاجة إلى المزيد بعد الزواج.

كان علي أن أبحث عن شخص مناسب لي حتى أجده، ويكون لي أنا بمفردي. لقد عرفت أنني أحببت شفثيه على رقبتي، يا له من شعور وإحساس عظيم. بدأت أتساءل عن طعم القبلية؟ وما الضرر الذي سينتج عنها؟ قبلية صغيرة، لن نمارس أعمالاً جنسية بين تلك الأشجار. لقد قررت أن أعرف ما إذا كان يرغب في تقبيلي بعد هذا الصباح. إذا كان الأمر

كذلك فعليه أن يثبت بذلك أنه يحبني. حاولت أن اركز مع أستاذي. إن لم
أجتز شهادة البكالوريا، فلن أستطيع أن أترك بيتي.

الفصل الثامن

لم أستطع رؤية سفيان حتى الغداء. كان معي في حصة المثلثات لكنه جلس خلفي. لم أستطع الالتفات إليه خشية أن يراني أحد، لذلك ظللت منتظرة. كنت أسير مع ليلي إلى محل البقالة الصغير القريب من المدرسة، عندما مررنا أمامه مع صديق له وكان متكئاً على السور. كان ظهر سفيان لي، وبمجرد مرورنا قال سفيان: "إيمان" هل ستكونين شريكتي في حصة البيولوجي بعد الظهر؟"

التفتت إليه وابتسمت وقلت له: "إذا كنت تريد ذلك".

"أريد ذلك" قال وهو يغمز بعينه.

نظرت إلى ليلي وكانت تحملق إليّ بنفس نظرة أُمي لي، وقالت ضاحكة: "هل ستكونين شريكتي يا إيمان".

"توقفي عن هذا يا ليلي"، قلت هذا بلهجة احتجاج.

"إنك تبحثين عن المتاعب".

"لا أظن ذلك".

واصلنا مسيرتنا في صمت إلى محل البقالة وقمنا بشراء مشروب وبعض الأشياء الخفيفة للغداء. وبعد أن انتهينا من طعامنا، اتجهنا إلى المدرسة. ما زال سفيان موجوداً هناك، لكنه كان بمفرده هذه المرة. بمجرد

أن وصلنا إليه ابتسم لنا. أدركت ليلي ما يريد، فقالت لي بهدوء: "سأذهب إلى الفصل، يا إيمان، لكن لا تتأخري".

"وهو كذلك، ماما". كانت هذه إجابتي لها، ثم أضفت قائلة: "شكراً يا ليلي، فأنت صديقة ممتازة".

"أعرف هذا جيداً"، قالت ليلي بينما كانت تسير دون أن تنتظر إلى سفيان. استندت على الحائط بجانب سفيان. "إنني آسف بخصوص ما حدث في الصباح"، هذا ما بدأ به سفيان. أعتقد أنني تجاوزت حدودي معك إلى حد ما".

"لقد فاجأتني بالتأكيد". وحاولت أن أكون هادئة بخصوص ما حدث. "لقد شعرت أن الكثير من الناس حولنا".

"ربما تكونين على حق"، أجابني بتفهم لموقفي. "لقد انجرفت وراء عواطفني".

"على أي حال لا تقلق".

"هل يمكنني أن أمسك يدك؟". واقترب مني حتى تلامست أيدينا معاً فشعرت بشيء مثير يسرى في جسدي.

"نعم"، قلت هذا وأنا لا أستطيع أن أتنفس.

"ثم أخذ يدي برقة وقال: "هذا شيء لطيف".

"لطيف"، هذا كل ما استطعت أن أقوله. وقفنا هناك بهدوء لدقائق عديدة، وشعر كل منا بحضور الآخر. كان الناس يمرون بجوارنا ونحن لا نتحرك من مكاننا. ثم كسر سفيان لحظات الصمت.

"أعتقد أنه من الأفضل أن ندخل الفصل، سأراك في حصة البيولوجي".

"نعم، من الأفضل لي أيضاً أن ألق بليلى، أراك فيما بعد". لم أنتظر حتى أسير معه في الشارع. اتخذ سفيان اتجاهًا مختصراً في الشارع وكنت أتمنى أن تكون ليلى منتظرة. ولحسن الحظ وجدتتها بالفعل منتظرة عند عودتي.

"ماذا قال لك؟"، سألتني ليلى بعد أن أخذت أنفاسي.

"لا شيء، أمسك بيدي فقط".

"أمسك بيدك؟ أليس هذا شيئاً مثيراً؟"، ثم قالت مبتسمة: "يبدو أنني خسرت شريكتي في حصة البيولوجي".

"آسفة، ياليلي"، قلت وكأني أرثي لها.

"لا عليك، ليتك تتسين كل هذا، ربما أجد شخصاً لطيفاً ليشاركني!"

"فكرة رائعة، ليتنا نبدأ الآن في البحث ونرى من قد يكون هذا الشخص! ثم دخلنا بسرعة من البوابة إلى دخل المبنى.

كنت سعيدة جداً بتطور الأحداث منذ فترة الغداء، وكنت أتطلع إلى مقابلة سفيان في حصة البيولوجي. طلب منا المدرس أن نعود إلى العينات والنماذج التي كنا نعمل عليها في اليوم السابق، لذلك كنت بجانبه مرة

أخرى. هذه المرة حينما اتجهت إلى المنضدة أخذ سفيان بيدي وبدأ يضغط عليها.

"مرحباً بعودتك"، قال سفيان ناظراً في عيني.

"مرحباً بك" أجبته وأنا أضغط على يده. ثم بدأ المعلم يتكلم، فبدأنا ننتبه له. كما بدأنا نركز في عملنا ونحن نشق الضفدعة، لكن سفيان بدأ يتحدث في أمور أخرى: "هل تعودين إلى البيت مباشرة بعد المدرسة؟".

"نعم، في معظم الأوقات، لقد أخبرتك، إنني أخذ الأتوبيس مع ليلي".

"هل يكون والدك والدتك في المنزل عند عودتك؟"

"كلا، أنهما يكونان في عملهما، لكن عادة ما تقدم الخادمة تقريراً لأمي عندما أتاخر عند عودتي. لماذا تسألني هذا السؤال؟".

"ربما نتستطيع يوماً ما أن نتمشى سوياً بعد المدرسة. أريد أن أعرفك أكثر. من الصعب عمل ذلك والناس كثيرون من حولنا ولا يوجد مكان معزول هنا".

"هذا أمر حقيقي، لكني سأفكر كيف أدبر هذا الأمر. لقد واجهت بعض المتاعب مؤخراً مع أمي فطلبت مني أن أكون في المنزل بعد المدرسة مباشرة".

"ما رأيك في أن تخبريها بأنك تحتاجين أن تذهبي إلى مكتبة لشراء بعض الأدوات؟ لن نحتاج إلى وقت طويل. سوف تكونين في البيت قبل رجوعهما من العمل".

"سوف أرى ما الذي يمكن أن أفعله. سأخبرك بكل شيء صباح الغد".

"إنني أتطلع إلى ذلك". ثم لمسني مرة أخرى بذراعه.

أخذت نفساً عميقاً وقلت له: "من الأفضل أن نركز في تجربتنا".

"إننا نتحدث عن تجربتنا، تجربة معرفة كل منا للآخر".

لم أجب به بشيء، لأن الكلمات كانت قد ضاعت مني. كانت هناك مشاعر وأحاسيس تتدفق داخلي. ولأول مرة شعرت أنني لا أستطيع السيطرة على نفسي. لم يكن لدي أية فكرة عن المكان الذي يمكن الذهاب إليه معه، لكنني أحببت ما شعرت به، ورجعت إلى البيت وحاولت اختراع قصة ورسمت خطة حتى أتأخر في اليوم التالي. عندما رجعت إلى البيت أدركت وعرفت ما الذي كنت سأفعله.

الفصل التاسع

بعد مغادرة أمي صباح اليوم التالي، تأكدت أنني كنت جميلة المنظر، وارتديت ما كنت أريده تحت الزي المدرسي والقميص ذي الكم الطويل. ثم وجدت بعض العطور فقامت بوضعها على رقبتى حتى أجعل من يقترب من رقبتى يشعر بالسرور. كانت كل أفكاري تنصب على سفيان.

دخلت إلى المطبخ لأشرب بعضاً من العصير، وكانت مربيتى فاطمة في المطبخ تغسل الأطباق. هي الآن تعمل كخادمة وطباخة لنا، وقلت لها:

"فاطمة، سأتأخر قليلاً بعد المدرسة اليوم".

"لماذا ستتأخرين يا آنستي؟".

"إنني بحاجة لشراء كأس لمادة العلوم، وهذا هو الوقت الوحيد الذي يمكنني أن أذهب فيه. لن أتأخر كثيراً، ربما لمدة ساعة واحدة".

"وهو كذلك، لكنك تعرفين أن أمك لن تكون سعيدة لو تأخرت كثيراً".

"سأحاول ألا أذهب بمفردي يا فاطمة"، قلت هذا حتى أثبت لها أنني فهمت ما تقصده.

"سأحاول أن أذهب مع صديقتي".

"أتمنى لك يوماً سعيداً، يا فاطمة"، قلت لها هذا بينما تركت حجرتي
مبتسمة.

"ولك أيضاً يا سيدتي".

كنت تقريباً متأكدة أن فاطمة لن تخبر أُمي عن تأخيري هذا. لقد كانت
تشعر بالولاء لي أكثر من ولائها لأُمي حيث أن أُمي كانت تصرخ فيها
دائماً على كل شيء، لكنني كنت أشفق عليها. منذ صغري وأنا أحاول
مساعدها عن طريق ترتيب فراشي وملابسي بنفسني. من ناحية أخرى،
كانت حجرة أُمي دائماً غير منظمة، وكان يسعد أُمي أن تجعل فاطمة
تعمل دائماً. كنت أعرف أن فاطمة تحبني لهذا السبب. أتمني أن تثبت
ولاءها لي الآن.

تقابلت مع ليلي على محطة الأتوبيس. كان الأتوبيس مزدحماً في
ذلك اليوم، وعندما تكدسنا في داخل الأتوبيس القديم، شعرت بأنني لا
أستطيع الحركة. كانت الجموع تدفع ليلي نحوي. لقد وقفنا وجها لوجه.

"ليلى ... لن أركب الأتوبيس معك اليوم بعد المدرسة"، قلت لها هذا
بلامبالاة.

فأجابتي بشك: "لماذا؟ أعتقد أن هناك شيئاً ما".

"نعم، أحتاج إلى القيام بعمل ما وقد أخبرت فاطمة بذلك التأخير".

"إيمان، ماذا ستفعلن؟"

"لا شيء يا ليلي كفي عن القيام بدور أُمي".

وكنت أتمنى أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، لكن لم يحدث ذلك.

هل ستتقابلين مع سفيان، يا إيمان؟"

"أصمتي يا ليلي، هل تريدين أن اسمعي الجميع هنا؟ لم أقل إنني سأراه، هل قلت ذلك؟"

"كلا، لكنك لم تخبريني بما ستفعلينه".

"دعينا ننسى هذا الموضوع"، رجوتها، غاضبة: "لن أستطيع أن أرجع معك اليوم".

"وهو كذلك، من فضلك احترسي يا إيمان".

أخيراً وصل الأتوبيس إلى محطة المدرسة بعد رحلة طويلة من الحشر والدفع من الناس. لقد شعرت بالتعب من المحادثة وازدحام الأتوبيس.

بينما كنت أسير مع ليلي إلى داخل المدرسة لم أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور بأنني عاملتها بسوء اليوم.

"إنني آسفة يا ليلي، لقد أزعجتك وضايقتك. إنني احتاج إلى صداقتك. من فضلك لا تقلقي بشأنني".

"أريد فقط أن تتذكري ما حدث في "لاس بالاس" هذا كل ما أجابتني به. وكنت على وشك أن أخبرها بشيء آخر لكنني رأيته قادماً. كان واقفاً مستنداً على الحائط أمام البوابة، وكان واضحاً أنه يرقب طريقي. رأيته ليلي أيضاً وقالت: "إن روميو ينتظرك، أراك في الفصل".

"مع السلامة، يا ليلي". هذا كل ما استطعت أن أنطقه، وبينما كنت أتطلع نحو سفيان. جاء إلي بمجرد أن رحلت ليلي وبدأ يسير بجانبني إلى طرقات المدرسة.

"صباح الخير، يا إيمان، قال هذا بصوته العذب: "كيف حالك اليوم؟".

"إنني بخير، كيف حالك أنت؟"

"أشعر بأنني أفضل طالما أنني بجوارك"، قال ذلك وهو يبتسم.

"لقد قمت بعمل الترتيبات من أجل خروجنا سوياً بعد الظهيرة". لقد اندفعت الكلمات من فمي قبل أن أفكر فيما أقوله. لقد تحول وجهي إلى اللون الأحمر من الخجل.

"حقاً؟" قال في دهشة: "هذا عظيم. سأقابلك بعد المدرسة، وسوف نسير سوياً لفترة ما. أليس هذا رائعاً؟"

"إنه رائع"، أجبته وأنا أظهر له توقي وشغفي لذلك. وصلنا إلى مبنى المدرسة، واستندرت إليه قائلة: "أراك فيما بعد".

وسمعتة يقول: "أتمنى أن تستمتعي بيوم سعيد"، بينما كنت أجري لأصعد السلم إلى فصلي. لم أتذكر الكثير مما حدث في المدرسة في ذلك اليوم. كان ذهني مشغولاً بما سيحدث لي وأنا مع سفيان مرة أخرى. من المذهل أن تفكر في شيء وتتطلع إليه. كان اليوم يمر ببطء شديد. لقد تجنبنا رؤية سفيان أثناء الفسحة حتى لا يلاحظ أحد علاقتنا الجديدة، وحاولت جاهدة قضاء وقتي في الحديث مع ليلي، لكنها كانت تعرف أن عقلي في مكان آخر. أخيراً دق جرس نهاية اليوم وسرت ببطء حتى

ينصرف معظم الطلبة قبل أن أقابل سفيان. لقد وجدته بجوار السور تحت الأشجار في مكانه المعتاد.

الفصل العاشر

عندما اقتربت منه قال لي: "لنقف هنا للحظة واحدة". من الأفضل أن يذهب الجميع قبل أن نتحرك أمامهم".

"أفهم هذا"، وبينما أحبيه، أظهر صوت خوفي وقلقي.

"لا تخافي يا إيمان" قال لي سفيان برقّة: "سنمشي فقط ليعرف كل منا الآخر. لن أفعل شيئاً يؤذيك".

"لم أفعل أي شيء مثل هذا من قبل"، أجبته بصوت منخفض: "ولابد أن تعترف بأن سمعتك تسبقك".

"لا تسمعي إلى كل ما يقوله الناس. أعلم أنني فعلت بعض الأشياء الغبية في الماضي، لكن معك، الموضوع يختلف تماماً. لن أسبب لك أذى". وقال مرة أخرى: "هيا بنا، لنتمشى سوياً"

بدأنا السير في المنطقة المحيطة، ثم مكثنا في الشوارع الجانبية الصغيرة في المنطقة المجاورة للمدرسة. تجنبنا الشوارع الكبيرة الرئيسية حيث يمكن أن يرانا العابرون. ثم بدأ سفيان يسألني بعض الأسئلة عن عائلتي، وأين نعيش، والأشياء التي أحبها. وقد حكى لي عن بعض الأشياء عن عائلته أيضاً. لقد طلق والده والدته عندما كان صغيراً، وعاش مع أمه، التي كانت تعمل في إحدى الوزارات. كان له أختان تكبرانه وأخ، وقد تزوجوا جميعاً وخرجوا من بيت الأسرة. لا توجد قيود كثيرة عليه الآن،

لأنه هو الوحيد في البيت، وأمه مشغولة في العمل لساعات طويلة. نادراً ما كان يرى والده، الذي تزوج من امرأة صغيرة منذ سنوات عديدة.

بدأت أشعر بالراحة عندما شاركني بأشياء عن نفسه، وعبرت له عن تعاطفي معه لعدم وجود أي من الوالدين معه في البيت. كنت أعرف أنه ليس من السهل عليه هذا الموضوع. "لا أعرف بما تشعر به، لعدم وجود أب معك. بالرغم من أن والدي كان في البيت، لكنه لم يعرف حقاً أنني كنت موجودة"، شاركنه بهذه الكلمات.

"كيف يحدث هذا؟" سألني سفيان والهم يماً صوته.

"كان كل عقله في عمله، كما أن الشخص الوحيد المهم عنده هو أخي، لأنه سيكون الشخص الذي سيتولى العمل فيما بعد".

"بلا شك هذا جعلك مضطربة"، قال وهو يأخذ يدي ويضعها في يده، وقد شعرت بإحساس يسرى بداخلي. حاولت أن أكون هادئة "نعم، لم أعرف ما هو شعوري تجاه والدي"، قلت له محاولة أن أبقى على الموضوع وأتجنب ما أشعر به: "حقاً، إنه لم يكن جزءاً من حياتي".

"حقاً، إنه شيء مذهل. يوجد أمور كثيرة مشتركة بيننا"، قال سفيان وهو يلف ويدور على الناصية التي قادتنا إلى المدرسة مرة أخرى: "حقاً إننا وحيدان في طرق عديدة، ماذا عن أمك، هل تقضين وقتاً معها؟"

"أمي حالة خاصة في حد ذاتها"، أجبته وأنا مدركة أننا اتجهنا إلى نهاية الشارع: "لأنها تفكر في نفسها فقط. أما قلقها الوحيد مني هو أنني

سوف أدمر سمعتها". لقد رأيت الشارع وعلى جانب واحد من صف الأشجار. لقد حاولت أن أسيطر على سفیان.

"وهو كذلك، يا إيمان"، قال وهو يشعر بمقاومتي: "تعبت من السير، المكان هادئ هنا ويمكننا أن نستريح لبرهة".

"سوف أرحل حالاً على أي حال"، قلت ذلك وحاولت أن أظهر أنني لا أملك وقتاً كافياً.

لقد أخذني تجاه الأشجار من حين إلى آخر في الشارع الرئيسي، لكننا لم نتجه أبداً إلى الشوارع الجانبية. حقاً، كان المكان يسهل فيه الاختباء. لقد وضع سفیان ظهري على شجرة ووقف أمامي وعيونه نحو الشارع ليرى أي شخص قد يأتي. أما أنا فكانت مختبئة تماماً ولا يمكن أن يراني أحد.

"إيمان"، قال برقة وهو يقترب إلى وجهي: "إنك لا تعرفي ماذا يعني بالنسبة لي أن أكون معك الآن. أعلم أنك أعطيتني فرصة عظيمة لأقضي معك بعض الوقت بعد المدرسة. أشكرك". كان من الصعب علي أن أتففس، وأنا أشعر أنه يضغط علي بخصره وأرجله ويحضنني. وكل ما استطعت قوله هو: "وأنا أيضاً قد استمتعت بهذه الفرصة". وقبلني برقة بشفتيه ثم قام بتمرير شفتيه على شفتاي ولم أكن أحمل حقيتي. سقطت يداي بجواري. لم أشعر برغبة عارمة مثل ذلك الوقت. كانت هذه الرغبة تجتاحني. ثم شعرت ببديه على مؤخرتي، ثم بدأت يده تتحركان إلى صدري. لقد تمالكت نفسي ودفعته للخلف. "كلا يا سفیان"، وتوسلت إليه: "لا أستطيع أن أفعل هذا".

"لماذا يا إيمان؟" قالها برقة.

"كلا، أعرف أنك لن تحترمني بعد هذا. أعرف هذا جيداً".

"هذا ليس حقيقي يا إيمان لأنني أحبك".

"ماذا؟".

"إنني أحبك لقد أخبرتك بأنك إنسانه مختلفة. أعلم أننا سنكون في غاية الروعة معاً".

"إنك تتعجل جداً يا سفيان".

"دعيني أهتم بهذا الكنز الموجود بين يدي". وبدون أن يعطيني فرصة بدأ يقبلني مرة أخرى. لقد كانت قبلة قوية لم أستطع أن أقاومها وبدأت يداها تأخذ طريقها إلى جسدي. لقد تهت في أحضانه. ثم سمعنا صوت سيارة فققرت. لقد تركني سفيان وبدأ ينظر ليري ما قد حدث.

"أنها سيارة تصدر كلاكساً للخادم حتى يفتح باب الجراج" هذا ما قاله سفيان. انتهزت الفرصة لألملم أحاسيسي. وقلت وأنا أنتفس بصعوبة: "إنني مضطرة إلى المغادرة الآن يا سفيان، أمني سنقتلني إذا تأخرت في العودة". "من فضلك ليتك تبقي قليلاً معي"، رد على وقد بدأ يتحرك مرة أخرى.

"كلا ... لا أستطيع، لابد أن أرحل الآن"، وانحنيت لالتقط حقيبتني من على الأرض.

"متى سنتقابل ثانية". سألني وهو يلعب بيده في شعري.

"لا أعرف. ليس من السهل تحديد موعد الآن. لا أعرف".

"سوف تقوديني إلى الجنون، أعرف ذلك يقيناً".

"لا أقصد شيئاً. أحتاج إلى وقت للتفكير". ثم بدأت أدير رأسي حتى أرى أن الطريق خالٍ فأستطيع الخروج من بين الأشجار. بينما رأسي تتحرك اتكأ سفيان مرة أخرى وقبلني في عنقي. لقد انتابني خوف ورعدة كبيرة في جسدي.

"كلا... يا سفيان". حاولت أن أعيد ترتيب أوضاعي من جديد وأرتب قميصي. أدركت أنه على أن أسحب قميصي ذا الأكمام الطويلة من حقيبتني، لذلك وضعتها على الأرض مرة أخرى لأفتحها. بينما كنت أخرج قميصي، بدأت يد سفيان تلعب وتعبث بجسدي. ارتديت القميص بسرعة.

"كفى من فضلك"، حاولت أن أستوقفه.

"إنك تمتلكين أفضل جسد"، أجباني مبتسماً.

"لا بد أن أعود الآن إلى المنزل". قلت هذا بعد أن أغلقت كل أزرار قميصي، ثم أخذت حقيبتني. "لا بد أن أرحل الآن، أراك غداً".

"كنت أتمنى ألا تذهبي الآن"، قالها وهو متكئاً على شجرة بجواري ناظراً إليّ.

أعلم ذلك جيداً لكن ينبغي أن أمضي". أجبته في اندفاع، ثم سرت إليه وقبلته في خده. لقد ابتسم ثم ابتسمت له وقلت "إلى اللقاء".

"سوف تؤدي بي إلى الجنون"، قالها بينما رحلت عنه وأخذت طريقي إلى المنزل.

"دائماً تقول هذا"، قلت هذه الكلمات بعد أن التقت خلفي واتجهت
مسرعة إلى الشارع الرئيسي.

بمجرد أن ابتعد عن مرمى نظري، أبطأت خطواتي وحاولت أن ألتقط
أنفاسي وأعيد ترتيب نفسي مرة أخرى. كان من السهل جداً أن استسلم له
بالكامل. لقد كان أعظم شعور ينتابني في تلك اللحظات التي قضيتها معه.

اتجهت إلى محطة الأتوبيس، ولم أضطر إلى الانتظار طويلاً. جاء
الأتوبيس وركبت ووقفت بجوار عمود حديدي في مؤخرة الأتوبيس. كل ما
شعرت به فجأة هو أن هناك جسد شخص ما يصدم بي. كان الأتوبيس
مزدهماً لكن ليس لهذه الدرجة. نظرت خلفي فوجدته سفيان!

"ماذا تفعل هنا؟"، قلت له بسرعة بينما كنت أسحب جسدي منه.
"فكرت أن أفاجنك"، قال ذلك بمكر: "بجانب أنني أردت أن أتأكد أنك
رجعت إلى المنزل بسلام، لأنك بمفردك. إنك لا تعلمين ماذا يحدث في
الأتوبيس في هذه المدينة".

"ألا تعلم يا سفيان، أنه من الممكن أن تسبب لي مشاكل ومتاعب
كثيرة!"; كنت أتحدث إليه لكن دون أن أحاول أن أنظر إليه.
"إن نواياي سليمة وشريفة بالتمام. أؤكد لك هذا".

"ليتك تهدي، أنا هنا لحمايتك"، ثم أضاف: "وسوف أعرف أيضاً
محطتك!"

لم أستطع أن أقول له شيئاً آخر. ولم أعرف ما يجب أن أفكر فيه
الآن. لقد حاول أن يهدي أفكاره بعباراته التالية.

"إيمان قلت لك ما أشعر به ناحيتك. يجب أن تصدقي كلماتي. لن أدعك تذهبين من بين يدي بسهولة. تذكرني أننا نقوم بتجربة معاً. حتى الآن، أحصل منك على بعض القراءات الجيدة. إنني أرغب في تحسين مستوانا ودرجاتنا حتى نحقق نتائج طيبة. إن لدينا الكثير من الأمور المشتركة بيننا. أعتقد أنه يمكننا الاستفادة من هذا لصالحنا".

"الجو حار هنا اليوم"، قلت هذا في محاولة مني لتجاهل ما كان قاله.

كنت ساخناً قبل دخولي إلى الأتوبيس". قال مبتسماً.

"لقد ازداد وجهي احمراراً، سفيان، تأدب" هذا كل ما استطعت قوله.

أخيراً وصل الأتوبيس إلى محطتي. "لابد أن أهبط. من فضلك لا تتبعني".

"سوف أتبعك إلى أقاصي الأرض، لكن ليس اليوم، لذلك أرجعي إلى بيتك بسلام. سوف أراك غداً".

"غداً". ثم اندفعت وسط الزحام لأهبط من الأتوبيس. ثم رأيت الأتوبيس يرحل، ويرحل فيه سفيان. لقد نظرت إلى ساعتني فأسرعت إلى البيت.

الفصل الحادي عشر

"فاطمة، لقد وصلت"، ناديت عليها بينما كنت أفتح الباب ثم أسرعت إلى حجرتي.

"مرحبا بك يا آنستي"، وصلتني أجابتها من المطبخ.

أغلقت باب حجرتي وألقيت بحقيبتني على سريري. لقد كنت مرهقة وأردت أن أمدد جسدي فقط؛ لكن جاءتني فكرة أفضل. أخذت روب من دولاب ملابسي ومنشفة ثم اتجهت إلى الحمام حتى آخذ حماماً. إنني أشم رائحة سفيان تنبعث من جسدي كله. اتجهت إلى الماء ثم وضعت كل ملابسي جانباً ووقفت تحت المياه الدافئة المتدفقة. بينما كانت المياه تتدفق فوق جسدي بدأت أتذكر يدي سفيان، لقد أحببت الطريقة التي بها جعلني أشعر بذلك.

دعكت جسدي جيداً وتمنيت أن رائحة الصابون تستطيع أن تطرد رائحة سفيان وصورته من ذاكرتي وأفعالي. كانت الصابونة ذات رائحة جيدة لكنها لم تنجح في طرد هذه التجربة من ذهني وأنا ألبس روب الحمام الخاص بي. خرجت من الحمام إلى الصالة وعلى رأسي منشفة وضعتها حول شعري المبتل.

"إنك تأخذين حماماً مبكراً اليوم، يا إيمان، أليس كذلك؟"، قالت أمي.

"كان الجو حاراً اليوم في المدرسة، يا ماما، وأظن أن الحمام سيساعدني على الشعور الأفضل حتى أستطيع الاستذكار".

"فكرة جيدة"، قالت أمي مؤيدة لكلماتي، ثم أضافت قائلة: "لقد وصلت هنا منذ لحظة وسوف أفعل نفس الشيء قبل أن أذهب مع والدك لأشاركه في عشاء مع بعض العملاء في وسط المدينة". فقلت لها بارتياح إذ أدركت أنها وصلت حالاً: "هذا رائع". دخلت حجرتي وتمددت على سريري ناظرة إلى السقف. لقد هربت ونجوت من عقاب أمي على تأخيري مع سفيان. ابتسمت بعد أن فكرت أنني نجحت في مقابلة شاب دون أن تعرف أمي أي شيء. وقد تساءلت: هل أستطيع أن أفعل ذلك ثانية؟

لكن كان السؤال المهم هو: هل يجب أن أفعل ذلك ثانية؟ وهل يمكنني السيطرة على تطور علاقتي بسفيان؟ لقد استطعت التحكم في الأمر اليوم. ثم جاءت فكرة أخرى إلى ذهني. هل أردت ذلك حقاً؟ لقد استمتعت بجسده كما استمتع هو بجسدي، كذلك استمتعت بشفتيه ويديه. كل ما حاولت القيام به هو أن أثبت له أنني لست مثل باقي البنات اللاتي يسهل الحصول عليهن. إنني استحق أن ينتظرنني. كان علي أن أتعلم أن أكون المسؤولة عن السيطرة عليه. وكان لابد أن أضع في اعتباري أن أكون المسيطرة على الأولاد إذا أردت أن أكون المسؤولة عن نفسي. كان كل ما ينقصني هو الثقة. طالما لن أسمح له أن يتماذى في تصرفاته أكثر من اللازم، فإنني سأستمتع به كما يستمتع هو أيضاً بي. لقد شاهدت مشاهد حب في السينما ويمكنني أن أقوم بأعمال مثلها.

أغلقت باب حجرتي ووقفت أمام مرآتي. قمت بفتح الروب الذي أرتديه ثم نظرت إلى جسدي. لقد أخبرني سفيان بأن لي جسد رائع. حقاً، لقد رأيت جسدي لأول مرة، لأن شخصاً ما قد لاحظ ذلك. ثم قمت بتمرير يداي على كل البروز والمنحنيات التي بجسدي. كان جسدي هو كل ما أملكه،

وسوف استخدمه لفائدتي الخاصة. هذا الجسد سيكون المجال الذي لا تستطيع أُمي أن تتدخل فيه، لأنها لن تعرف أبداً ماذا أفعل به.

في صباح اليوم التالي، وعندما ركبت الأتوبيس، أدركت ليلى أن هناك شيئاً جديداً مختلفاً قد حدث. "لابد أن تروي لي كل ما حدث بالأمس، أعلم أن شيئاً ما قد حدث لأنك تبدين مختلفة".

"لم يحدث أي شيء"، قلت هذا في محاولة منى لأجعلها تهدأ.

"لا يمكنك أن تجعليني أصدق هذا"، قالت ليلى بصورة ملحة.

"وهو كذلك، سأخبرك"، أجبتها بصوت منخفض: "ذهبنا للتمشي معاً".

"لقد ذهبنا إلى ما هو أبعد من التمشي. هل قبلك؟"

"هذه أمور شخصية".

"أكلمي وتقدمي في الحديث يا إيمان"، قالت متوسلة: "لابد أن تخبريني. إنني تنازلت عنك كشريكة في حصة البيولوجي وأعطيتك له".

"نعم، لديك كل الحق، إنك ضحيت كثيراً. نعم، قبلنى".

"وبعد ذلك؟".

"ماذا تقصدين؟"

"أعنى ما الشيء الآخر الذي حدث بعد ذلك؟".

"وبعد ذلك..."، ثم خفضت صوتي لأهمس في أذنها، "استمتع كل منا بجسد الآخر".

"كيف؟" أرادت أن أقص لها ما حدث بالتفصيل.

"هذا كل ما ستحصلين عليه مني. لن أحكي لك أكثر من ذلك"، قلت ذلك وأنا أبتمسم.

"لن أصدقك".

"صدقي ما تصدقينه".

"هل ستقابلينه مرة أخرى؟"، سألتني بإحساس مرتفع جداً من الفضول.

"لم أخطط لهذا ولم أضعه في ذهني بعد".

"منذ متى أصبحت واثقة جداً هكذا؟" سألتني ليلي وهي تتعجب من لهجة كلامي المتسلطة. "ولمعلوماتك الخاصة، قررت أن أكون المسئولة عن نفسي وعن حياتي. لا أحد يريد أن يساعدني، لذلك سوف أتعامل مع كل شيء بنفسني. لا يمكن أن أتساهل مع الأولاد، ولا يجب أن يستغلوني، لذلك غيرت تخطيطاتي. سأبدأ تحركاتي من الآن".

"إنك تلعبين بالنار يا إيمان".

"حسناً، عندما أحترق مرة أو مرتين سأتعلم ما يجب أن أعمله. إنني راغبة في تلك المخاطرة". كانت ليلي هادئة لباقي الرحلة. أعتقد أنها فكرت أنني أصبحت مجنونة منذ البارحة. كانت دائماً صديقتي المثالية وأحسن صديقة لي عرفتھا، لكنني عرفت أن هذا الاتجاه الذي أخذته لنفسي سيخلق فجوة كبيرة بيننا. أخيراً هبطنا من الأنوبيس واتجهنا: إلى المدرسة،

لكن لم يكن سفيان في انتظاري في ذلك الصباح. حاولت أن أخفي خيبة آلمي، وأن أبرر غيابه لنفسي، معتقدة أن هناك سبباً ما وراء عدم حضوره.

حاولت أن أركز كل انتباهي خلال الحصة الأولى والثانية على درستي. ثم خطر ببالي أنه لم يتبق سوى شهر واحد من السنة الدراسية. لم يكن لدي سوى وقت قليل للاستعداد لامتحاناتي، بما في ذلك الإجازات الأسبوعية. حاولت أن أعوض كل وقتي الضائع واستغله لنفسي ونجحت في تركيزي الشديد إلى أن جاءت حصة "حساب المثلثات". بمجرد أن دخلت من الباب، كان سفيان جالساً في مكانه. وتقابلت عيناياه وعيناه، ثم أرسل لي ابتسامة عريضة ملأت وجهه بالكامل. بعد ذلك تمايلت برأسي ونظرت إليه بطريقة مركزة وسمحت لشفتي أن تمنحاه قبلة في الهواء في الخفاء. بدا سفيان مسروراً باستجابتي وتصرفي معه وأومأ برأسه في الحال، محتفظاً بابتسامته. ثم جلست في المقدمة.

لقد فقدت كل تركيزي. إن مجرد وجود سفيان في نفس الفصل جعل القشعريرة تسري في جسدي. كنت أعرف أنني لا أستطيع النظر خلفي لكن وضعت يدي على عنقي وكنت أتمنى أن يلاحظني ويفهم الإشارة. كنت شغوفة لأن أعرف ما إذا كان يرغب في مقابلتي مرة أخرى. كنت أزداد جوعاً إلى لمساته.

بالتأكيد شعر سفيان بإحساسي ورغيتي، لأنه انتظرني بعد انتهاء الحصة. لقد قدمت له التحية وأنا أحاول النظر في اتجاه حائط الطرقة: "صباح الخير".

"صباح الخير يا جميلتي، هل استمتعي بنومك الليلة الماضية".

"لقد نمت مثل الرضيع، ماذا عنك؟ هل نمت جيداً؟"

"لم أنم على الإطلاق".

"ياه آسفة جداً لذلك، هل كان هناك ما يقلقك ويسرق النوم من عينك؟"

"نعم"، أجاب بينما كان يدعك في كتاب بيده، وكان هذا الكتاب متلامساً مع الكتب التي في يدي.

"هل تعنى أنك تحتاج إلى المزيد؟" قلت له بثقة.

"لن أشبع منك أبداً".

"حسناً، سنضطر للتفكير في هذا، من الأفضل أن أحضر حصتي القادمة. الآن، إلى اللقاء". استدرت ثم ذهبت في طريقي.

"ثم قام وجذب ذراعي، لا بد أن تقابليني على الغداء".

"سأرى ما الذي يمكن أن أعمله، لكن لا أعدك بذلك"، وأسرعت متجهة إلى السلم. وبينما كنت أجلس في مقعدي، ابتسمت لأنني حققت انتصاري الأول. كنت أنا المسؤولة عن تلك المحادثة، وكان هو الذي بدأ. لقد كان شعوري بأنني القائدة شعوراً رائعاً. حاولت أن أجد طريقة لمقابلته في فترة الغداء دون أن يراني أحد من زملائنا بالمدرسة. لم يكن هذا سهلاً. لم أستطع تحقيق أي شيء حيث إنني لم أعرف المنطقة جيداً حتى أجد مكاناً جيداً للاختباء فيه مع سفيان.

سرت خارجاً حتى أنقابل مع سفيان في الفسحة، وكنا لا نعرف إلى أين نذهب لتتحدث. وأدركت، رغم ذلك، عندما قابلته بأنه وجد حلاً لهذه

المشكلة. كان يقف معه خمسة من أصدقائه، وكان يتكلم معهم بينما كنت سائرة في طريقي. "هاى إيمان! أود أن أعرفك ببعض من أصدقائي". ثم اقترب مني ليقدمني إلى أصدقائه. "سوف يكونون سائراً لنا اليوم".

"معذرة، لم أفهمك".

"نحن ستة أصدقاء ودائماً نراقب ونحرس بعضنا البعض في مثل هذه الظروف. نعلم أنه من الصعب جداً أن يتكلم أي شخص منا مع فتاة دون أن يزعجه الآخرون. لقد وضعنا نظاماً لحل هذه المشكلة منذ فترة طويلة. إذا كان هناك شخص منا يريد أن يكون مع صديقه لفترة ما فإن الخمسة الباقين يقفون وظهورهم لهذا الصديق الذي مع صديقه إلى أن ينتهي من كلامه معها، ويشكلون ما يشبه السور".

"نعم، نعم، لقد فهمت"، أجبته دون أن أعرف كم سأحب هذه الفكرة. "تعالى معي". ثم قادني إلى آخر شجرة في الصف، نفس الشجرة التي تقابلنا خلفها في لقائنا السابق. وبمجرد وصولنا إليها وقف الأصدقاء الخمسة يتحدثون كأن لا شيء يحدث خلفهم لكنهم شكلوا صفاً واحداً بحيث لا يستطيع أحد أن يرانا.

"لم أكن مستريحة لهذه الخطة أبداً. "سفيان هل أنت متأكد أن هذا الوضع آمن؟ سألته بعد مشاهدة التكوين الذي تم.

"إنها خطة جيدة. لا تقلقي"، ثم اقترب مني وانحنى قائلاً: "لقد افقدتك".

"كانت الأمور ممتازة البارحة، أليس كذلك؟ قلت بينما لمست وجهه بيدي.

"كان الأمس رائعاً جداً. هل يمكنني أن أقبلك؟"

قلت له بثقة: "نعم، لكن يجب ألا تتماذى أكثر من ذلك، لا نريد أية متاعب". لم ينطق بأية كلمة أخرى، لكنه وبسرعة قبلني بقوة في شفتاي. بدلاً من السماح له بالسيطرة على الموقف وضعت يداي على رأسه وقمت بتقبيله. لقد أعجبه هذا الفعل فوضع ذراعيه حول وسطي. لقد تعلمنا كيف يستمتع كل منا بالآخر، وفعلنا هذا لدقائق عديدة. لقد اقترب جسداً أكثر وأكثر مما أثار أحاسيسه جداً، وأنا أيضاً كنت في قمة إثارتي ونشوتي، لكن كان عليّ أن أكون أكثر حرصاً. ثم أنزلت يداي من فوق رأسه إلى كتفيه ودفعتة للخلف برقة.

"يكفى هذا اليوم"، قلت هذا وأنا أرتب بلوزتي وأقوم بتسوية شعري.

فقال وهو في حالة هياج: "ما الذي تقولينه، لا يزال أماننا وقت كافٍ".

"ليس جيداً أن تجعل أصدقاءك يقفون هكذا، دون أن يتناولوا غذاءهم. إنني جائعة أيضاً وعلىّ أن أسرع لشراء شيء ما قبل الحصة القادمة".

فقال بشيء من اليأس: "هذا ليس معقولاً يا إيمان".

"الأشياء الجميلة تأتي لمن ينتظرها".

"لم يحن وقت هذه الأشياء بعد، علينا أن نكون عقلانيين ونتصرف بتعقل". ثم بدأت أخرج من خلف الشجرة.

"إيمان من فضلك إنني محتاج إلى قبلة أخرى". كان وجهه يبدو جميلاً، فاتجهت إليه وقبلته بشدة.

"هذه القبلة ستشبعك لفترة ما". قلت له هذا ثم سرت بعيداً. وعندما اجتزت أصدقاءه قلت لهم: "شكراً أيها الأصدقاء". حقاً، كانوا ترساً ودرعاً بشرياً. لقد نظروا إلي في دهشة وبدأوا ينظرون إلى سفيان ليعرفوا ما حدث له. لقد واصلت السير إلى محل البقالة، وحاولت أن أتجاهل القشعريرة التي كانت تنتاب جسدي. لقد انتصرت في المواجهة الثانية. لكنني لم أستطع الانتظار للمرة القادمة.

الفصل الثاني عشر

واصلت اللقاءات مع سفيان طوال الشهر التالي. وبدلاً من أن ندرك أن هذه الأشياء قبيحة، بدأت تنمو داخلنا الرغبة الشرسة وحاجة الواحد منا للآخر وملامسته، تلك الحاجة التي لم تشبع أبداً. بدأ سفيان، ولأنه أكبر مني بعام، كانت علامات الرجولة تظهر عليه بصورة متزايدة يوماً بعد يوم. لقد أدرك أنه إذا حصل على البكالوريا، ربما يستطيع أن يبدأ العمل ويدخل مرحلة النضوج وحياة الشباب. لقد بدأ يتكلم عن المستقبل، وعن حاجته إلى زوجة. كذلك كانت مشاعره تنمو بصورة متزايدة تجاهي. لم أكن على يقين من هذه الخطوة الكبيرة الآن. لكنني كنت استمتع كثيراً بسيطرتي عليه.

أيضاً نضجت جداً في طرق خداعي حتى أكون مع سفيان. ثم توقفت عن أن أخبر فاطمة بأنني سأتأخر بعد المدرسة أو لن أتأخر. لقد كنت واثقة من أنها ستكون غطاءً لي أمام أمي. وتقابلت أنا وسفيان مرات كثيرة أثناء فترة الغداء، وبدأنا نقضي ثلاثة أيام معاً أسبوعياً في فترة الغداء وكانت هذه الفترات دائماً خلف الأشجار. لكنه وفي يوم ما عرض عليّ فكرة أخرى.

قال لي في يوم أن نسير بعد المدرسة: "هل تعرفين يا إيمان أنه يوجد حصن قديم في نهاية ذلك الشارع الطويل. هل سبق لك الذهاب إليه؟".

"كلا لم أذهب أبداً، ترى ما شكله؟"

لماذا لا نسير إلى هناك ثم يمكننا أن نريه على الواقع؟"

"وهو كذلك، سأذهب معك إذا كانت الرحلة لا تحتاج لوقت طويل".

"لن نستغرق وقتاً. إنه في نهاية الشارع. سنسير بسرعة". واتجهنا إلى مبنى حجري قديم. لم أعرف حقاً هل كان بالفعل حصناً أم لا، لكن هذا ما كان يقوله الجميع منذ سنوات. كان هذا الحصن يقع في حقل على الطريق السريع إلى المطار، كما كان هناك موقع إنشاء وبناء بجواره، وكنت متأكدة أنه لم يكن من فترة طويلة في هذه المنطقة".

قال لي سفيان عندما بدأنا نتجول حول المبنى القديم: "أعتقد أنه يوجد مدخل وطريق إلى الداخل".

"لا أعلم، لم أتجول أبداً في مثل هذه الأماكن الرديئة. لقد تجاهل سفيان ترددي وجذبي عبر باب صغير جداً لم نستطع العبور منه سوى زاحفين، وبعد أن دخلنا استطعنا الوقوف ثانية. لم يوجد سطح وكانت الأرضية متسخة وعليها تراب وقاذورات سنوات كثيرة. لكن لاحظت أن أحد الأركان كان نظيفاً، وكانت به كرتونة. ثم قادني سفيان إلى الجزء النظيف ثم قام بفتح الكرتونة.

"سفيان لا بد أن تحترس، أنك لا تعرف ما بداخلها".

"أنني أعرف يقيناً ما بداخلها،" قال لي هذا وهو يخرج بطانية وزجاجة كوكاكولا.

"هل ترغب في الشرب يا مدام؟"

"ماذا تفعل يا سفيان". قلت له في دهشة.

"لقد أعددت جلسة خاصة ونزهة خاصة بنا اليوم. إنها ليست في الواقع نزهة، لأنني لم أحضر إلا زجاجة الكوكاكولا فقط، لكن ربما يمكننا أن نجد طريقة ما لنستمع كل منا بالآخر". أعطاني زجاجة الكوكاكولا وبدأ يفترش البطانية على الأرض ثم خلع حذائه وتقدم إلى البطانية. بعد ذلك سلمته زجاجة الكوكاكولا وجلست بجواره. وقال بهيام شديد: "مشروب جمالك"، ثم أخذ رشفة طويلة من الزجاجة وأعطاني إياها. أحبته وأنا أشرب: "مشروب أفكارك الخلاقة والمبدعة". أخذ الزجاجة من يدي ووضع غطاءها مرة أخرى ووضعها بجانبه ثم أقترب مني أكثر. "إنني انتظرت هذه اللحظة منذ فترة طويلة يا إيمان، يبدو أننا لن نملك أبداً وقتاً كافياً معاً. لم نكن أبداً بمفردنا تماماً. أما الآن فلدينا الوقت والخصوصية. أريد فقط أن أمسكك". وسمحت له بأن يأخذني في أحضانه، ليشعر ويحس بي، ويقبطني. وأنا أيضاً فعلت نفس الشيء. وضعني برقة على البطانية واستلقيت بجواري. كل ما رأيته هو أن الشمس كانت تغرب من فوقنا، والسماء لونها أزرق ساطع. كان كل شيء سليماً وجميلاً. لقد سمحت له بأن يعتليني بجسده، وأطلقنا العنان لأنفسنا حتى نستمتع سوياً. لقد ضاع الحب بين الشهوات. كل ما كان ظاهراً فقط هو "الشهوة".

"لم أعرف طول الوقت الذي قضيناه سوياً، لكنني أدركت أنه كان وقتاً طويلاً عندما رأيت الظلام يدخل الحصن. لقد غابت الشمس ونهضت جالسة بسرعة. "يا إلهي! قلت فجأة. "كم الساعة الآن يا سفيان؟"

"تقريباً الخامسة يا إيمان" أجابني دون أن يعي بالمشكلة وحاول أن يجذبني إليه ثانية. "كلا يا سفيان، لا بد أن أرحل الآن! إذا عادت أمني إلى البيت قبل عودتي، فسأموت!"، وحاولت أن استجمع كل قواي والنقط

أنفاسي واسحب قميصي إلى أسفل. كان يبدو من المستحيل أن أنحدر بنفسي لهذه الدرجة. سوف يعلم الجميع بما كنت أفعله. لقد اندلعت مني رائحة الجنس. فتحت حقيبتني وأخرجت منها قميصي ذا الأكمام الطويلة وارتيديته، ووقفت وحاولت أن أرتبه. وبسرعة لبست حذائي واستدردت إلى سفيان وهو لا يزال راقداً على البطانية ينظر إلي فقط.

"أراك غداً"، قلت هذا بينما اتخذت طريقي للخروج.

"إيمان". قال برقة. ثم استدردت برأسي وتوقفت. "كان هذا شيئاً رائعاً، أشكرك".

"حقاً، كان. إلى اللقاء". ثم اندفعت في طريقي للخروج واتجهت إلى اقرب محطة أتوبيس دون النظر خلفي.

كان الأتوبيس متأخراً، وكنت أيضاً أنا متأخرة. ثم طلبت من الله ألا تصل أُمي إلى المنزل قبلي بل تمنيت أن تتأخر. لكن لم يحدث ما تمنيته.

الفصل الثالث عشر

كانت فاطمة أول إنسانة تراني وأنا أدخل من الباب. "إن والدتك في الصالون"، قالت بهدوء. "أعتقد إنها تريد مقابلتك".

"شكراً يا فاطمة، هل هي هنا منذ فترة طويلة؟"

"منذ حوالي 45 دقيقة".

وضعت حقيبتني بجوار الباب ودخلت إلى الصالون، حيث كانت أمي جالسة على أريكة تحتسي فنجاناً من القهوة واستقبلتني بحملة صعبة عندما دخلت إليها. "أين كنت؟"

"لقد تأخر الأتوبيس"، قلت بصوت منخفض.

"كيف يتأخر الأتوبيس لمدة ثلاث ساعات، يا إيمان؟"

"أسفة جداً، يا أمي. لقد كان الأتوبيس متأخراً جداً لذلك أتيت الآن. لقد اضطررت إلى الذهاب إلى المكتبة بعد المدرسة وذلك لأن أستاذ التاريخ أعطانا واجباً إضافياً، ولم يكن أمامنا سوى أسبوع واحد لكي نقوم به ولم تكن لدي أية وسيلة لأبلغك بذلك".

"يا إيمان، حقاً إنني أشعر بخيبة أمل لما حدث وأعتقد أنه ينبغي أن أصدقك، لكنني لا أستطيع، لذلك سأحاول أن أجد حلاً لهذه المشكلة".

"أمي ماذا تقصدين؟"

"أعني أنه إن لم ترجعي إلى المنزل في الميعاد بالضبط، فلا بد أن أضحي ببعض من الوقت وأذهب إلى المدرسة حتى تعودتي معي كل يوم".

"لن نحتاجين إلى عمل هذا، يا أمي. لن يحدث هذا مرة أخرى، أعدك بذلك".

"كيف تعدينني ومعلمك يفاجئكم بالواجبات التي يطلبها منكم؟ سوف أكون في المدرسة بعد انتهائها حتى أرى الجدول الخاص بك. لن نتكلم ثانية عن هذا الموضوع. لقد قررت ذلك الأمر. اذهبي إلى حجرتك الآن لأنني أعاني من صداع شديد".

"وهو كذلك، يا أمي". ثم استدرت لأتجه إلى حجرتي لكنها نادتنني ثانية.

"إيمان ألم تكوي القميص قبل ارتدائه؟"

"ماذا؟".

"شكل قميصك يبدو مزعجاً".

"ياه، آسفة يا ماما. كان الجو حاراً في المدرسة اليوم، فأصبح جسدي مبتلاً من العرق ثم من حمل حقييتي، لذلك حدثت كل هذه اللخبطة".

"حسناً، حاولي أن تهتمي بنفسك جيداً"

"وهو كذلك، يا أمي"، أجبتها ثم أسرعرت إلى حجرتي.

ألقيت بنفسي على سريري واسترحت لفترة. ما الذي حدث في العالم كله؟ ألم أحصل على أعظم وأفضل تجربة في حياتي، بنومي بجوار

سفيان، أشعر به وهو يحتضنني ويحبني؟ الآن.....ماذا حدث؟ لقد تسقلت أُمي ثانية إلى حياتي، حتى تثير الفوضى بها. لن تكون هناك فرصة لأتقابل فيها مع سفيان بمفردنا قبل انتهاء المدرسة إذا جاءت أُمي لتأخذني كل يوم. لقد سحبت روبي من دولاب ملابسي ومعه منشفة وقررت أذهب إلى الحمام لأتخلص من ملابسي ومن رائحتي القبيحة. لقد كانت رائحة جديدة وقبيحة بالنسبة لي لكنني استمتعت بها جداً. لقد كرهت أن آخذ حماماً لكنني كنت مضطرة إلى ذلك. فتحت صنبور المياه وبدأت عملية التنظيف. كنت أتذكر الوقت الممتع الذي قضيته مع سفيان، ثم خطرت ببالي فكرة جديدة، يا ترى ماذا سيحدث إذا حبلت؟ لم أفكر في ذلك من قبل. كانت تلك أول مرة أمارس فيها الجنس، بالتأكيد لن أحبل من المرة الأولى. لكن، كيف أعرف صحة هذا من عدمه؟ ومتى سأعرف؟ أنا لا أعرف أي شيء عن هذه المسألة، لكنني قررت أن أبحث عن هذا. لقد انتهيت من حمامي بسرعة ثم رجعت إلى حجرتي.

في ذلك اليوم، وفي المساء دخلت مكتب والدي. وأُمي خارج المنزل كالعادة، فكان لدي الحرية الكاملة لاستخدام شبكة الإنترنت. بالفعل بدأت أبحث عن هذا الموضوع من خلال شبكة الإنترنت. لقد استغرقت وقتاً حتى أدخل إلى مواقع عن الحمل لأنني كنت مبتدئة في الكمبيوتر. اكتشفت أن أول علامة تدل على الحمل هي انقطاع الدورة الشهرية. لذلك حاولت جاهدة أن أتذكر موعد آخر دورة لي. ثلاثة أسابيع، لذا سأبدأ في الأسبوع الرابع. أيضاً نظرت إلى بعض المقالات التي تخص موضوع الحمل، لكنني بسرعة أغلقت الكمبيوتر. كانت يداي تتزفان عرقاً بمجرد التفكير في احتمالية الحمل وما يترتب على ذلك من نتائج، ورجعت إلى حجرتي.

عندما رأي سفيان في المدرسة اليوم التالي، عرف أن شيئاً ما حدث معي. لقد تجنبته في عدة مواقف. لكنه أخيراً أخذني على انفراد في وقت الغداء. وصرنا عبر بوابة المدرسة.

"ماذا حدث يا إيمان؟ هل أنت بخير؟"

"لقد دخلت في مشكلة كبيرة مع أُمي بالأمس"، كان هذا ردي عليه، دون أن أحاول النظر إليه.

"هل علمت أمك كل شيء عن علاقتنا؟". سألني وعيناه تمتلئان بالقلق الذي كانت علاماته تغطي ملامح وجهه بالكامل.

"كلا، كلا، الحمد لله ، لكنها كانت حقاً ستجن لسبب تأخري لهذه الدرجة. الآن تريد أن تحضر إلى المدرسة لتأخذني يومياً".

"إنك تمزحين!" قال سفيان وهو يصرخ. "كيف تفعل هذا معنا قبل نهاية الدراسة بأسبوع؟ ألم تعرف أنني لابد أن أقابلك ثانية؟".

"إنها لا تعرف شيئاً، قلت لك ذلك من قبل! أرجو ألا يحدث منها هذا". كنا نقف في ركن بعيد ولكن بمجرد أن استدرت إلى الأشجار، رأيت سيارة حمراء تقف عبر الشارع فصرخت: "يا إلهي!"، واتجهت فجأة عائدة إلى المدرسة. "إنها أُمي!" لم يستطع سفيان أن يمنع نفسه بل استدار هو الآخر وأخذ ينظر. "هل أنت متأكدة من ذلك؟ لماذا جاءت إلى هنا الآن؟" بمجرد أن وضحت رؤيتها لنا قلت له: "ألم تراها بعد؟" لقد شكت أن هناك شيئاً ما فجاءت لتحقيق من شكوكها. ستكون حياتي تعيش من اليوم فصاعداً".

لقد نظرت إليه نظرة حادة وجديدة قائلة له: "ابتعد عني الآن يا سفيان.
سأخرج بطريقة عادية وسأتكلم معها عندما أشاهد وألاحظ سيارتها".

"وهو كذلك، لكن حاولي أن تتخلصي منها. لا بد أن نقضي بعض
الوقت سوياً".

"أعلم ذلك جيداً"، قلت له وحاولت أن أستجمع نفسي، "سوف أحاول.
من فضلك عليك فقط الانتظار هنا".

"وخرجت عائدة واتجهت إلى التقاطع بدونه وتظاهرت بأنني أقوم
بالسير والتجول بطريقة عادية وكأنني ذاهبة إلى محل البقالة. وبمجرد أن
استدرت ووجدت أُمي حاولت أن أتظاهر بالمفاجأة لرؤيتي سيارتها. لقد
اتجهت إليها قائلة: "ماما، ماذا تفعلين هنا؟"

"كنت في مكان قريب من هنا، يا إيمان"، أجابتي برقة وعذوبة. "لذلك
اعتقدت أنه يمكنني مقابلتك أثناء فسحة الغداء".

"وها قد وجدنتي بالفعل"، أجبتها دون الشعور بأي شيء: "أين كنت
ذهابة؟"

"كنت ذاهبة لمحل البقالة". لقد تلعثم لساني في الكلام حيث أدركت
أنني لم أكن مرتدية قميصي ذا الأكمام الطويلة الذي أرتديه في الصباح.

"إيمان أين قميصك الآخر؟" سألتني أُمي بعد أن شاهدت ذراعي
عاريتين.

"آسفة يا أمي، كان الجو حاراً جداً داخل الفصل ولم يلبس أي من الطلبة أقمصاة بأكمام طويلة من شدة الحر لذلك بدا شكلي غريباً".

"إيمان، لقد خاب أمني فيك. سأضطر إلى الحديث مع والدك في هذا الموضوع".

"لكن يا ماما،" حاولت أن أتكلم لكنها قاطعتني.

"لا تقولي كلمة لكن مرة ثانية، أخشى أن تدخلني في مشاكل كبيرة خاصة وأنتك لست صغيرة الآن".

"لا يا أمي. سأقابلك الليلة". قلت ذلك وأنا أرجو أن ترحل عن المدرسة.

"إيمان أنني جادة. أحضري قميصك الآن وارتيه في هذه اللحظة!".

"لكن يا أمي سيكون الجو حاراً وسأبدو غريبة الشكل".

"هذا لا يهمني. لابد أن تفعلي ما أقوله لك، وإلا ستعودي معي إلى البيت الآن".

"وهو كذلك". وأخرجت القميص من حقيبتني ثم هزته بقدر ما يمكن ثم ارتديته. لقد شعرت وكأن عيون الجميع تراقبني.

"هذا أفضل. لا أريد أن أعرف فيما بعد أنك لم ترتديه مرة أخرى. غداً لابد أن أتأكد أنك لا ترتدين قميص آخر تحت ملابسك. لو علمت أنك فعلت هذا، فسوف أفتشك منذ البداية. سأراك بعد اليوم الدراسي". قادت أمي سيارتها دون أن تنتظر أي رد مني. لقد خلعت قميصي في الحال

وحاولت أن أعلن لأولئك الذين شاهدوا كل شيء بأنني لا أبا لي فيما تعتقده أمي وتفكر فيه. ورجعت مرة أخرى إلى ركن بعيد وكان سفيان مستنداً إلى السور وقد شاهد المواجهة بالكامل.

"لقد كان وقتاً عصيباً، أليس كذلك؟" سألني بينما أسير متجهة إليه.

"إنك رأيته بعينيك". أجبت بارتباك. لا أعتقد أنني سأفقد من مخالبتها أبداً".

"ستفقتين، لا تقلقي"، قال سفيان بينما كان يضع ذراعه حول كتفي. ثم أخذت يده وأبعدتها عن ظهري، ولم أنتظر حتى يرانا كل شخص ونحن ملتصقين معاً بهذه الصورة.

"إنني ظمآنة جداً، هل تريد السير معي إلى محل البقال؟" سألته، لأغير الموضوع.

"بالتأكيد سأشترى لك مشروباً" وبدأنا السير معاً.

الفصل الرابع عشر

كان الأسبوع الأخير من الدراسة هو أصعب الأوقات في حياتي، إذ كان يبدأ كل صباح بتفتيش من أمي علىّ حتى تتأكد أنني لا أرتدي قميصاً آخر تحت قميصي الطويل الأكمام. بعد سماحي ببساطة بحدوث هذا في اليوم الأول، وبعد أن عانيت طوال اليوم في المدرسة من جراء ملابس الاعتقال، بدأت أضع في حقيبتني تي شيرت وأقوم بارتدائه في حمام المدرسة بعد وصولي. أعطاني هذا بعض الراحة والهرب من هجمات أمي.

بالرغم من ذلك، كان على أن أحمل قميصي معي أثناء الفسحة لأنني قد أجد أمي أمامي في أي وقت تأتي فيه لتتجسس على ابنتها العنيدة. لقد تركت عملها مرات كثيرة لا أعرف عددها بالضبط. وبهذه الطريقة، كانت تعتقد أن هذه حالة طارئة وتحتاج إلى التوضيح.

لم أستطع قضاء أي وقت مع سفيان بسبب زياراتها المفاجئة وحضورها المتوقع في أي لحظة. بدأ سفيان يعلن ضجره وشعرت بأنه ينسحب تدريجياً ليبحث عن فرص أخرى. كان ذلك شيئاً صعباً بالنسبة لي. كانت هذه المرة الأولى لي التي اختبرت فيها الحب وذقت طعم الجنس، وأصبحت لا احتاج سوى أن أشبع من الجنس، لكن كل مرة كنت احتاج إلى المزيد. لكن ليس هذا فقط ما وضع نفسي في عذاب، لكن لم تأت الدورة الشهرية في موعدها. كنت أعرف موعد بدايتها لكنها لم تحدث. لذا بدأ ينتابني القلق وكنت أخشى أن أكون قد حبلت.

كنت أعلم أنه إن لم أقل شيئاً ما لسفيان فلن أراه لمدة أسبوعين، عندما تبدأ الامتحانات. لكنني كنت خائفة جداً من رد فعله لو أخبرته بذلك، فلم أخبره. امتلأت غضباً عندما رأيته في ذلك اليوم الأخير وهو يسير مع فتاة أخرى. لقد سرت إلى جوارها بينما هما يسيران معاً وقلت لها برفق: "احترسي من هذا الشخص. سيكسر قلبك فقط ويدمر سمعتك".

لقد بدأت تسمع لصوتي، ثم سمعت سفيان يقول لها "لا تسمعي إليها، إنها مجرد غيرة". لقد طلب من الفتاة أن تنتظره لحظة ثم تقدم وجاء إلي، فتراجعت خشية أن يؤذيني، لكنه قال برقة: "لا تخافي يا إيمان، ولا شعري بالجنون بسببي. كان لابد أن أتقدم للأمام وإن لم أفعل ذلك لانكسر قلبي من طول انتظارك. سأعود إليك حينما تصبحين حرة. لا تتزعجي من تلك الفتيات. إنهن لا يمثلن شيئاً بالنسبة لي. أتمنى أن تؤدي جيداً في الامتحان". وذهب عائداً بسرعة كما جاء.

وقفت في مكاني في صدمة، لست متأكدة كيف أفهم كلماته. هل كانت هذه مجرد محاولة منه. ليلقي بي خلف ظهره؟ لو كان حقاً يحبني لما انتقل بهذه السرعة إلى فتاة أخرى. على أية حال كيف يحدث هذا من الأولاد؟ أليس لديهم القدرة على ضبط أنفسهم؟

سرت في الشارع وهذه الأفكار تدور بذهني عندما رأيت أمني تنتظر في مكانها المعتاد. سيارتها الحمراء هي التي ردتني إلى الواقع.

"إنه اليوم الأخير لك في المدرسة"، قالت لي بمجرد أن وصلت أمامها، "لديك الكثير من الاستنكار لكي تستعدي لامتحانات".

"نعم، لابد أن افعل هكذا"، كانت هذه إجابتي الأمانة.

لم أأغار منزلنا لمدة أسبوعين. وهذا حال طلاب المرحلة الثانوية كلهم بسبب ضرورة الاستنكار والاستعداد للامتحانات. كان من السائد في بلدي أن الذين يستعدون لامتحاناتهم لا يعملون أي شيء آخر. حتى تناول الطعام كان شيئاً قابلاً للجدل.

كان الضغط الواقع على الطلاب ضخماً. سمعت بعض الأخبار عن انتحروا بسبب حصولهم على نتائج ضعيفة أو أقل من المتوقع.

شعرت بأن الضغط علي شديد، وذلك ليس لرغبتني في الالتحاق بكلية مرموقة، بل لرغبتني في التحرر من قبضة أمي. لم احتملها في هذين الأسبوعين، حيث كانت تتصل من عملها كل ساعتين كي تطمئن من أنني أواصل مذاكرتي. شعرت أنني لا أستطيع أن أتفلسف دون أن يكون لديها علم بذلك. الحياة داخل الكلية أكثر مرونة وستتيح لي وقتاً كافياً يكون خاصاً بي. لن يكون هناك ما هو أروع من ذلك.

كان الأسبوع الأول في استنكاري صعباً جداً، بسبب التأخر الذي حدث للدورة الشهرية. لقد بدأ ذهني يفكر في سفيان أكثر مما كنت أتصور. لكن، وبعد ثلاثة أيام قلق، بدأت مخاوفي ترحل عني أخيراً عندما بدأت الدورة الشهرية في النزول. سعدت جداً، وهدأت أعصابي تماماً. ثم بدأت أضحك ساخرة من نفسي وقلقي، وقلت في نفسي: كان عليّ ألا أقلق لأنه لا يمكن أن يتم الحمل من أول مرة. لقد خلق هذا إحساساً بالأمان يلزموني في المستقبل.

ستستغرق الامتحانات النهائية أسبوعين، وسيكون عليّ أداء سبعة امتحانات في تلك الفترة. ولحسن حظي كان هناك يوم وأحياناً يومان بين

كل امتحان والذي يليه. كان كم المعلومات التي اكتظت بها رأسي كثيراً. وكانت الامتحانات غاية في الصعوبة، لأنها تشمل كل شيء درسته خلال المرحلة الثانوية. لم أحب هذا النظام مطلقاً، لكن علي أن أقبله. كان علي أن اجتاز امتحانين مع سفيان، ومع ذلك لم أعرف هل سأراه خلال الأسبوعين أم لا. في الواقع كنت أتمنى أن أراه، لكنني كنت أعرف أن كلاً منا سيكون منهمكاً ومشغولاً في دراسته وامتحاناته أكثر من التفكير في نفسه الآن. حاولت أن أطرح التفكير فيه جانباً.

جاءت الامتحانات وانتهت بمشاكلها ومتاعبها. شعرت بأنني أبلت حسناً على الأقل في معظم هذه الامتحانات. تبقى شهر على إعلان نتائج الامتحان، وكان هذا الشهر عبارة عن وقت من العذاب للكثيرين. لم أقلق بخصوص الامتحانات، لكن شعرت بأنني قمت بعمل ما استطعت عمله. قلت لنفسني لا بد ألا أفكر في شيء وليحدث ما يحدث. لقد رأيت سفيان أثناء الامتحانات وتمنى لي حظاً سعيداً أثناء دخولنا حجرة الامتحان وضغط على يدي بقوة. لكن، لم أجده في انتظاري بعد ذلك. سوف يبدأ الصيف دون أية لقاءات بيننا.

لم أكن أعرف ما سيحدث في الصيف، وكنت شديدة التركيز على دراستي ثم على سفيان. سألت والذي عن خططهما للصيف حيث كان لدينا منزل في مدينة على الساحل الجنوبي، وهو ليس بالمنزل الكبير، لكنه يطل على الشاطئ، ويُعتبر مكاناً رائعاً للاسترخاء. عادة يقضي والداي شهراً إجازة في هذا المكان في الصيف. لذلك فجميعنا نذهب إلى هناك. ووجدت أُمي في حجرة المعيشة ذات مساء فسألتها.

"أمي، هل سنذهب إلى الشاطئ هذا الصيف؟"

"والدك يرغب أن يذهب في أول أغسطس"، أجابتي، وهي تنظر إلي بعد أن كانت تقرأ كتاباً في يدها.

"ما الذي يمكن أن نفعله إلى أن يحين هذا الوقت؟ ما زال هناك أكثر من أسبوعين!".

"إذا وعدت أن تسلكي جيداً، فيمكنك أن تخرجي مع ليلى مرة أخرى، لكن دون الذهاب إلى "لاس بالاس!".

"هذا جميل يا أمي، أشكرك"، وأسرعت إلى الصالة لأتصل بليلى.

كان من الرائع أن أجدد علاقتي بليلى بعد شهر من الانفصال التام، بسبب أمي التي منعتني وبسبب وقتي مع سفيان. أعلم أنها شعرت بأنها مرفوضة مني، مما سبب لها جرحاً. لقد كنا أحسن وأفضل صديقتين منذ دراستنا في المدرسة الابتدائية. دعوتها لتزورني، وعندما جاءت ذهبنا سوياً إلى حجرتي للاستماع إلى الموسيقى والحديث معاً.

"إنني سعيدة جداً لأن والدتك سمحت لنا أن نتقابل مرة أخرى"، قالت ليلى هذه العبارة بمجرد أن أغلق باب الحجرة، "لن أدري ماذا كنت سأفعل هذا الصيف بدونك، لقد افتقدتك جداً. هل ستذهبين إلى أي مكان أثناء العطلة؟"

"كلا، كل من أبي وأمي لديهم عمل في شهر أغسطس وليس لدينا مكان نزوره على أي حال. كل عائلتي في تونس".

"إذا، لماذا لا تأتي معنا إلى الشاطئ؟ إنني واثقة أن والديك سيسمحان لك بذلك".

"تحدثي مع أمك أولاً، قبل أن أقدمي لي مثل هذه الدعوة".

"وهو كذلك سوف أفعل ذلك بالتأكيد، لكنني واثقة أن أمي ستكون سعيدة بمجيئك معنا، إنها تحبك. بجانب إنني واثقة أنها ستكون سعيدة لوجود أحد معي لنستمتع معاً، لذلك سوف نستطيع أن نفعل ما نريد".

"على أية حال عليك أن تسألها أولاً، قبل أن أخبر والدي"، أجابت ليلى بحرص شديد.

الفصل الخامس عشر

سارت الأمور في صالح ليلي لترافقنا في رحلتنا إلى موناستر. كنت غاية في السعادة لوجود شخص ما معي يشاركني ما أقوم به. كان يفصلنا عن الشاطئ مساحة منزل آخر. اعتاد والدي الاستيقاظ متأخراً في هذه الإجازات وزيارة الأصدقاء الذين لهم منازل في منطقة المصيف. كان تعبير "مصيف العائلة" في الواقع تعبيراً مغلوطاً، لأنه قلما فعلنا شيئاً ما سويّاً. كنت أنا وأخي دائماً نقضي وقتنا على الشاطئ، أما أبي وأمي فكانا يقضيان الوقت مع أصدقائهما. هذا نظام شهرنا في المصيف. كنت سعيدة بهذا، لكن لأن ليلي معي الآن فساكون حرة لنستمتع بمشاهدة المدينة والشاطئ. أُمي لن تتحرى أعمالنا في هذا الجو، فهي لا تدرك أنها تتعامل مع فتاتين من جيل مختلف تماماً عن جيلها.

لقد قضينا الأيام الثلاثة الأولى في اللاوعي لكننا كنا ننام حتى وقت متأخر مثل والدي، ولم نخرج سوى مرتين إلى الشاطئ. في اليوم الرابع قررنا أن نخرج مبكراً إلى الشاطئ حتى نجلس في منطقة جيدة نستمتع فيها بالبحر قبل أن تشتد حرارة الشمس. ذهب معنا أخي خالد في ذلك اليوم وساعدنا في وضع المظلة الخاصة بنا ثم تركنا وذهب لمقابلة بعض من أصدقائه على الشاطئ في منطقة بعيدة جداً عنا.

بدأت ليلي تتظر حولنا لتستكشف كل ما يحيط بنا. كانت بالقرب منا مجموعة من الأشخاص يلعبون الكرة. كان منظرهم رائعاً يدل على كل شخص منهم، فقد تمتعوا بوسامة وكانوا يكبروننا قليلاً. حاولنا ألا نظهر

لهم إننا ننظر إليهم، بينما وضعت كل منا الكريم للأخرى لحماية البشرة من الشمس. وفجأة طارت الكرة فوق رؤسنا، فجاء أحد الشباب وراءها جرياً.

"معذرة، إنني متأسف على ذلك"، قال هذا وهو يمر من أمام مقاعدنا.

"ليست هناك أية مشكلة على الإطلاق". وابتسم ونظر إلي وهو يأخذ الكرة ثم عاد إلى المجموعة، أما أنا فظللت أبتسم. كان شخصاً جديراً بالاهتمام.

نظرت إلي ليلي ثم ابتسمت قائلة: "نحن هنا، أين ذهبت مرة أخرى؟، هذه المرة لن أكون متروكة أو مُهْملة، فإذا تعرفت على شاب فسأتعرف أنا أيضاً على آخر!".

"آه يا ليلي، ليتك تكونين جادة، أنت تعرفين أن هؤلاء الأشخاص كبار جداً عنا. وغالباً كلهم لديهم صديقاتهم بالفعل. ماذا نكون نحن بالنسبة لهم؟"

"يا إيمان إنك تقللي من نفسك".

"عن أي شيء تتكلمين؟"، سألتها وأنا أجذبها إلى جوارِي لأنظر إليها وأجعلها في مواجهتي: "ألا تعلمين أنك فاتتة؟"

"شكراً يا ليلي، إنك تقولين هذا فقط لأننا صديقتين".

"كلا! إنني لا أجاملك يا إيمان، هل تعلمين لماذا ظللت صديقتك كل هذه السنوات؟"

"لأنني فاتنة؟"، أجبتها وأنا أضحك.

"لابد أن تكوني جادة"، قالت بنظرة صارمة: "إنني صديقتك لأنه بالرغم من أنك جميلة فلن تسمح لي لهذا الجمال أن يتدخل في علاقتنا، لم تجعلني مظهرك أهم شيء وتجعليه يتدخل مع ما هو بداخلك".

"لقد تعمقت في داخلي يا ليلي"، قلت لها في محاولة مني لعدم الخوض فيما تقوله.

"أنصتي يا إيمان، كلما كبرت، وجب أن تعرفي أن الشباب سوف يلاحظونك. إنهم لن يستطيعوا الامتناع عن هذا. الشيء المهم هو أن تجعلني هؤلاء الشباب يشعرون ويعرفون أن مظهرك ليس هو الذي يشكل شخصيتك. لا أريدك أن تُجرحي مرة أخرى من الشباب كما حدث مع سفيان".

"إنني احبك، يا ليلي"، وانهنيت عليها وقبلتها في خدها: "إنك أحسن صديقة. لم أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك؟ لكن لا تقلقي بشأنني الآن. سفيان لم يؤذني". قلت لها هذه الكلمات لكنني كنت أعلم أن هناك ألماً بداخلي. "لم يكن هناك طريقة لاستمرار هذا. عندما أكون مستعدة لاستسلام جاد، فسوف أعرف. لكن في نفس الوقت، أريد أن أحصل على بعض المتعة. ما اخترته مع سفيان كان مجرد بادرة سيئة. كذلك تعلمت كثيراً من هذه التجربة. أعتقد أنني تعلمت الآن كيف أتعامل مع الشباب بطريقة جيدة".

"أتمنى أن يكون هذا حقيقياً، لأن الموضوع قد يتكرر هنا ثانية!". بينما كنا نتكلم سوياً، أنهى الشباب لعبهم. لم أستطع رؤيتهم حيث لم أكن أنظر

في اتجاههم. لكن ليلي كانت تراقبهم، كما لاحظت أن اثنين منهم كانا يناقشان شيئاً ما وينظران إلينا. ثم جاء هذان الشابان إلى حيث كنا نجلس.

"مرحباً، يا بنات"، قال أحدهما وهو ذو شعر أسود قصير ويرتدي نظارة شمسية: "هل من الممكن أن نجلس تحت الظل لبرهة".

"بالتأكيد"، كانت إجابة ليلي ومعها ابتسامة عريضة: "لدينا ظلاً كافياً مرحباً بكما".

"شكراً، أنا عوض وهذا مجدي".

"أنا إيمان، وهذه ليلي".

"هل أنتما بمفردكما هنا؟" سأل مجدي.

"حسناً، أساساً. أخي قريب من هنا لكنه يتجول مع بعض أصدقائه في مكان ما لكننا لا نراه كثيراً".

"ياه"، كان ذلك رده العميق على كلامي.

"من أين أنتما؟" سألته بسرعة، في محاولة مني لتغيير الموضوع.

"نحن من تونس. وماذا عنكما؟"

"نحن من هناك أيضاً".

"هل أنتما هنا منذ فترة طويلة؟"، سأل عوض وهو ناظرٌ إلى ليلي نظرة ذات معنى.

"كلا، مجرد أيام قليلة"، أجابت ليلي ثم أضافت بسرعة: "لكننا سوف نكون هنا طوال الشهر".

"هذا عظيم! قال عوض مبتسماً لها: "ربما نستطيع أن نستمتع معاً".

"ماذا تقصد؟ وما الذي تريد أن نستمتع به؟" سألت ليلي وفي عينيها نظرة شاردة.

"ما رأيك في السباحة الآن؟"، هذا ما عرضه عوض.

"وهو كذلك، هيا بنا!" أجابت ليلي بكل شوق.

خلع كل من عوض وليلي ملابسهما الخارجية ونزلا إلى البحر معاً. أما أنا فلم أتحرك، لكنني كنت أراقبهما. لكن صديق عوض أفاقني من غيبوبتي وذهولي وهو يقول: "كان ذلك سريعاً، أليس كذلك؟"، قال هذا وهو لا يزال جالساً عند قدمي.

نظرت إليه وهزرت أكتافي قائلة: "نعم، يمكنك قول هذا بالتأكيد".

"ما رأيك في السباحة". ولم أعرف لماذا لم استطع السيطرة على نفسي في الحوار معه.

"هل تحبين أن تسبحي الآن؟".

بالتأكيد، لم لا؟".

ثم نهضنا من مكاننا واتجهنا إلى البحر. كان البحر هائجاً في ذلك اليوم، لكنني حاولت أن أحتفظ بتوازني بينما كنا ننتجه إلى العمق. استطعت أن أرى ليلي وعوض وهما يمرحان في الأمواج. كذلك كنا نحن

أيضاً نمرح ونتحرك بسرعة. كان مجدي يحاول أن يتحدث معي ونحن نشق طريقنا إلى الداخل. لقد بدأ يصبح أكثر شجاعة في كلماته فقال:

"هل تعلمين أنك جميلة؟"

"حسناً، في الحقيقة، شخص ما قال لي نفس الشيء". حاولت أن أقول هذا وأنا أضحك حتى أجعل الأمور يسيرة وسهلة.

فقال وهو يقترب مني أكثر فأكثر في الماء: "إنه على حق".

قلت له وأنا أمرح في إحدى الأمواج: "لا تتحرك أسرع من اللازم، لدينا قدر من الوقت".

"معك كل الحق، أعلم ذلك، أود أن أقول لك إنني لا أعتقد أنني سأرى فتاة أخرى مثلك".

"أشكرك"، قلت له هذا ثم استدرت ونظرت إلى ليلي وعوض على بُعد حتى أرى كم دخلنا من العمق في البحر. لقد ابتعدنا عن الشاطئ بمسافة كبيرة. لم يكن هناك أناس كثيرون لأننا كنا في منتصف النهار ولم يخرج الناس بعد إلى الشاطئ. تقريباً لم يوجد أي شخص بالقرب منا في الماء. وبينما كنت مستغرقة في المشهد جاءت موجة شديدة رفعتني إلى أعلى فسقطت في الماء. عند ذلك شعرت بيدي مجدي تصل إلى وتحيط بوسطي وتشدني إلى أعلى. كدت أختنق لأنني ابتلعت كمية من الماء. لقد جذبني بقوة إليه ثم وقفنا على أقدامنا مرة أخرى.

"هل أنت بخير؟" سألني والاهتمام في عينيه.

"أعتقد ذلك، شكراً"، قلت ذلك وأنا أدعك في عيني وأحاول أن أهدئ من روع نفسي.

"لا بأس". ثم بدأ برقة يزيج شعري عن وجهي، سامحاً لأصابع يده أن تلاطف جبيني: "هل تريدان أن نخرج قليلاً؟".
"نعم".

"كانت هذه مجرد موجة".

"هذه هي السباحة، أليس كذلك؟"، أجبته، محاولة أن أثبت له أن هذه اللمسة لم يكن لها تأثير على ولم تقلقني.

استمرت معاركنا مع الأمواج إلى أن اقتربنا من مكان ليلي وعوض وهما يسبحان. من الواضح أنهما كانا يستمتعان معاً، ويقفزان مع الأمواج ويغوصان تحت سطح الماء، ويظهران معاً وهما يضحكان. كانت المياه عميقة حتى الأكتاف على هذه المسافة من الشاطئ. لقد كان جسدهما متلاصقين تحت المياه. حقا كان كل منهما يستمتع بالآخر.

"هاى، يا إيمان"، صاحت ليلي، ونحن نقترّب منهما.

"لقد أستغرقتما وقتاً طويلاً حتى تصلا إلى هنا".

"أعلم ذلك، قلت لها محاولة أن أتصرف بحرص شديد، "لكن المياه صعبة اليوم".

"هذا ما جعل اليوم ممتعاً"، قالت ليلي مبتسمة. وجاءت موجة أخرى تجاهنا فغاصت هي وعوض تحت رغوتها، وظهرت مرة أخرى بعيداً عن مدى سمعنا.

وبينما كنت أفرح مع موجة جديدة، كان مجدي ينظر إلي، وشعرت بذراعيه مرة أخرى وقد بدأ في الالتفاف حول وسطي. لم أقاومه، فاقتربت مني وجذبني إلى جسده. لقد شعرت بكل جزء في جسده بينما كنا نقف والمياه تندفع حولنا. كنت أتنفس بصعوبة وكان صدري يندفع إلى أعلى وأسفل وأنا أستند عليه وهو في مواجهتي. لقد أعطاني قبلة حارة وقوية، ليست بشفتيه فقط بل بكل جزء في جسده، بينما كنا نتلامس. كان هذا شيئاً جميلاً ذكرني بما كنت أشعر به مع سفيان. لذلك سمحت باستمرارية هذه الأمور. ثم جاءت موجة أخرى لتجبرنا على الفكاك الواحد عن الآخر. لقد قفزنا فوق الموجة ونحن نلهث ونتنفس بصعوبة.

"إنك مذهلة"، قال لي، بينما كان يحاول أن يلتقط أنفاسه.

فقلت وأنا أبتسم: "أعتقد أنك استمتعت بذلك".

"إنك على صواب"، أجابني بينما جذبني بذراعيه واحتضنني. في ذلك الوقت بدأت أشعر بيديه وهما تتحركان نحو جسدي.

"إنك تمتلكين أعظم جسد".

وضع يديه حول وسطي وبدأ يتسلل من تحت المايوه البكيني، خاصة القطعة السفلية، ولم يعطيني فرصة لإيقافه.

"أعتقد أنك تجرأت كثيراً"، قلت له مبتسمة.

"لكنك لم تتركي إنني أحتاج إليك"، قال وعيناه مملوءتان بالشوق والألم.

"هل تريدني ليوم آخر؟".

"ولن أستطع الانتظار إلى يوم آخر".

"سوف نقضى كل الشهر هنا"، قلت ذلك بينما تركت يديه تستمتعان بجسدي.

"نعم، لكن يمكننا أن نستمتع كل يوم، وليس لفترات قليلة".

"دعني أفكر في ذلك"، أجبته، ثم جاءت موجة أخرى أخذتنا على غرة فبدأت أسبح تحت الماء، محاولة الابتعاد عنه حتى تبرد مشاعره قليلاً. لقد شعرت وكأنني أغرق في أحاسيسي. لقد جدد مجدي ذلك الجوع الذي اختبرته مع سفيان. ثم اقتربت من الشاطئ دون أن أتأكد أين كنت. لم أر مجدي في البداية، لذلك أخذت وقتاً. لأستجمع قواي وألنقط أنفاسي. كانت ليلى وعوض يستمتعان أكثر وأكثر بعيداً عنا. فجأة وجدت مجدي يشد أرجلي ويخرج بجسدي خارج المياه كنت أرتعش وهو يلمس كل جزء في جسدي بيديه ووجه وجسده. كان ينطلق خارجاً من المياه مثل الدolfن.

"يا لها من أمواج عنيفة"، قال ذلك بينما كان يقفز إلى أعلى ثم يهبط مرة أخرى تحت المياه. كان يهز رأسه ويلنقط أنفاسه.

"اعتقدت إنني فقدتك للحظة"، قلت له محاولة أن أتناسى ما حدث.

"لن تفقديني بهذه السهولة"، أجبني وهو ما زال يلهث، ثم بدأت الأمواج تأتي بصورة أسرع، وقضينا الدقائق التالية نحاول البقاء والاحتفاظ بتوازننا في المياه.

وقال مجدي بعد برهة: "لنذهب قليلاً إلى هناك، أعتقد أن هذا سيكون أكثر هدوء لنا".

"لا أريد الذهاب إلى الأماكن الأكثر عمقاً".

"ليست عميقة، لا تقلقي، سوف أحميك". ثم أمسك بيدي وأخذ يقودني للداخل، لقد اقترب والمياه كانت تغطي أعناقنا الآن، وكانت المياه أكثر دفئاً إلى حد ما.

"أريد أن أقبلك مرة أخرى يا إيمان،، قالها وهو يجذبني إليه. لم تكن لدي فرصة للرد حيث جذبني إليه واحتضنني فوجدت نفسي بين ذراعيه. كانت قبلة رائعة أخرى، إنها قبلة طويلة وساخنة، قبلة كلها أشواق ولهفة ورغبات دفينه، ثم رأينا موجة أخرى قادمة، فقال: "استعدي واكتمي نفسك". وبينما مازلنا تحت المياه شعرت بيدي مجدي وهو يفك القطعة العلوية من مايوهي البيكيني. لم أستطع أن ارتديه مرة أخرى لأنني كنت أحاول السباحة. لقد شعرت أنه إنفك من فوق صدري وبدأ يطفو فوق المياه. وبمجرد أن جاءت رأسي إلى سطح المياه جذبته بيدي . "مجدي" صرخت إليه، بينما حاولت أن ألتقط أنفاسي: "ما هذا الذي فعلته؟".

"لا تقلقي يا إيمان، لن يراك أحد".

ثم نظرت حولي وأدركت أن لا أحد قريب منا. لقد كانت كلماته حقيقية، لكن ما زلت خائفة مما سيحدث فيما بعد. حاولت أن أرتمي القطعة العلوية من البيكيني بينما كنت تحت المياه، لكن أيدي مجدي تسللت وأخذت طريقها إلى جسدي وخاصة إلى صدري.

"يبدو إنك ممتازة" وبقيت يدها تعبتان في كل جسدي.

"مجدي ستتسبب في مشاكل كثيرة".

"من الذي يستطيع أن يرانا؟ هل تعلمين أن ليلي وعوض يفعلان ما نفعله الآن؟"، ثم نظرت إلى إتجاههما ورأيت أنهما متلاصقان معاً بقوة، ويقبلان بعضهما البعض. لم أر أربطة الجزء العلوي من مايوه ليلي على أكتافها.

"مجدي، سندخل في مشاكل"، ولم أكن مقتنعة بكلامي.

"أليس من الأفضل أن نستمتع كل يوم في أجازتنا؟"، قال مبتسماً بمكر.

"وهو كذلك، كل يوم، تم استسلمت له بكل سهولة. ثم بدأ يقبلني في شفتي وعنقي. لقد غاص تحت المياه وبدأ يقبل جسدي. لقد شعرت به وهو يزيل عني الجزء السفلي من مايوهي البيكيني ثم يضعه في يدي التي تحت المياه بينما كان يستمتع بي كما يحلو له. كلما كان يصعد من تحت المياه ليلتقط مزيداً من الهواء كنت أغوص وأستمتع بجسده وقمت بإزالة المايوه الخاص به. لقد كان جسده عظيماً ورائعاً ، ثم صعدت فوق المياه فجذبني

بشدة إليه. وعندما جاءت موجة أخرى شعرت أنه دخل بي وكأنني في ليلة زفافي. حقاً كنا في قمة النشوة.

عندما هدأت الأمواج، كنا نهذاً نحن أيضاً. ثم بدأت أدرك أن البلّاج ازدحم. "مجدي"، يجب أن نتوقف الآن، يوجد أناس كثيرون الآن"

"أعتقد أنك على حق، يا إيمان"، قال لي وهو يحتضني بشدة: "لقد كان شيئاً رائعاً".

"لنستمتع كل يوم بذلك".

"وهو كذلك"

لقد ارتدى كل منا المايوه الخاص به ثم سبحنا إلى ليلي وعوض بعد أن استجمعنا أنفاسنا وحاولنا أن نظهر وكأن شيئاً لم يكن. لكن يبدو أن ليلي وعوض لم يدركا أو يشعرا بأن هناك آخرين في هذا العالم غيرهما. ثم بدأنا جميعاً نقفز ونتصارع مع الأمواج بسعادة لمدة دقائق، ثم بدأنا نأخذ طريقنا للخروج إلى الشاطئ. لقد عدنا إلى المظلة التي كنا نجلس تحتها وأخذنا كل واحد منشفته ثم اتكأنا مرة أخرى كل على كرسيه.

قال عوض: "سوف نراكما بعد قليل".

فقال مجدي وهو يبتسم: "نعم، لابد أن نذهب الآن لنغتسل من هذه السباحة".

"شيء رائع ولطيف أن أراك"، قلت له وكأن شيئاً لم يحدث.

"شيء رائع جداً أنني تقابلت معك، باي باي"، أجابني مجدي .

"باي عوض"، قالتها ليلي وهي تغني وكأنها عصفورة الكاناريا.

"باي ليلي"، قال عوض هو يلوح لها بيديه.

كانت هذه بداية شهرنا في موناستير. لقد كان شهراً ملوئاً بأكثر شخصين نمارس معهما الجنس الذي لم نمارسه مع أحد أكثر من هذا من قبل. لكننا استمتعنا بالفعل بكل لحظة في هذا الشهر لأن كل واحدة منا أصبحت لها صديقتها، فكنا سعيدتين للغاية. لم أر ليلي من قبل تغرق في الحب من باطن قدمها حتى شعر رأسها كما كانت مع عوض. وكان من الصعب على أن أفصلهما.

كان مجدي مختلفاً عن سفيان، لسبب واحد حيث أنه كان أكبر. لقد أمضى ثلاث سنوات في الجامعة، وكان يأمل في أن يبدأ في التدريس قريباً. يبدو أنه أصبح رجلاً في هذا العالم يفهم المرأة جيداً. لقد عرف بالفعل ما يجعلني أنجذب إليه أكثر. لقد أمطرني بوابل من الهدايا لم تكن كلها غالية، لكن بعضها يدل على أنه دائم التفكير في، وكلماً، رحلنا، كان دائماً يظهر أن ذلك صعب عليه. لقد شعرت أنه تعلق بي. لقد علمت أنني قد خلقت من أجله.

لم تكن تدرك أمني ما حدث مطلقاً، حيث كانت تكره البقاء في الشمس، مما جعلها تتجنب الذهاب أو الجلوس على الشاطئ. وطالما كنت أرجع إلى أسرتي في موعد النقاء الأسرة وتجمعها معاً، كانت أمني تتركني أتحرك بحرية. اعتقد أنها مازالت لا تدرك أنني أنمو وأكبر وأدخل في مرحلة الشباب، لقد أحدث ذلك الشهر تغييراً كاملاً في. كذلك تغيرت ليلي أيضاً وأدركنا أننا سنعود لنبدأ الدراسة في السنة الأخيرة بالمرحلة الثانوية. لقد

تعلمنا كثيراً كيف نستمتع بالجنس وكيف نكون في أمان أو على الأقل هذا ما كنا نعتقد.

عندما أوشك الشهر في موناستير على الانتهاء، بدأت أتساءل كيف سأعيش بدون مجدي. لقد تعلقنا ببعضنا بالرغم من أن كلينا تجنب أن ينطق بأية كلمة من كلمات الحب، كنا نتكلم معاً باستخدام أساليب حديث محترمة وتبادلنا العناوين وأرقام التليفونات، ورحلنا على أمل اللقاء ثانية مع علمنا بأن فرصة تحقيق هذا ستكون نادرة. إن الحياة في تونس ليست مثل الحياة على الشاطئ.

الفصل السادس عشر

ليس لدي الكثير لأقوله عن عامي الأخير في المدرسة الثانوية. لقد أديت كل ما عليّ وذاكرت جيداً قبل الامتحانات، وكان لدي قليل من المواد لأنتهي منها حتى أخرج. كانت ساعاتي في المدرسة محدودة بسبب إصرار أمي على عودتي إلى المنزل مباشرة بعد المدرسة. كانت تقسو كثيراً على فاطمة حينما لا تخبرها بأنني تأخرت عن العودة، لذلك حاولت أن ألتزم بالمواعيد وأنفذ قوانين أمي. إنني لا أحب أن أتسبب في مشاكل للآخرين أو أن يلحق بأي شخص آخر متاعب بسببي.

لم أر سفيان بالمدرسة حيث لم يكن يدرس أية مادة من المواد التي أدرسها. لقد سألت ليلي بعضاً من أصدقاء سفيان عن أخباره حتى تخبرني بها. ثم عرفنا أنه اجتاز امتحاناته لذلك أنهى الدراسة الثانوية. واعتقدت أنه ربما يأتي ليقابل أصدقاءه القدامى، لكنه لم يفعل هذا. لم أدع هذا يتغلغل بداخلي مرة أخرى. كان من الواضح أنه انتقل إلى فتاة أخرى كما فعلت أنا.

ألم استمتع بشهر عظيم مع مجدي؟ لا أستطيع أن ألوم سفيان على عدم إخلاصه لي. هذا ما دفعني ألا أنطق بكلمة حب واحدة لمجدي. كنت أعلم أن الكلمات جوفاء بالنسبة لكثيرين. لذلك لم أسمح لهذه الكلمات بأن تخرج من فمي. لكن بطريقة ما كنت أعلم في قلبي أن الجنس دون حب لا يعني أي شيء. لقد أصبحت مشاعري الخاصة باردة جداً.

لقد حاولت أن أنفض كل هذه الأفكار عني وأهتم بدراستي في السنة الأخيرة من دراستي الثانوية. كنت أنا وليلى نقضي وقتاً رائعاً، كلما جلسنا لمدة ساعات قليلة في حجرتي نتحدث عن الشهر الذي قضيناه في موناستيتر حينما كنا منفصلتين في رومانسيتنا ولم نجد وقتاً كافياً لنتكلم. الآن أصبح لدينا الوقت الكافي لمناقشة كل شيء بالتفصيل. لقد ذهبنا بعيداً، لكننا قد نضحك كثيراً بخصوص بعض هذه الأمور. بالرغم من أننا كنا نعلم أن مجدي وعوض قد اتخذا حذرهما جيداً لكننا لم نهذاً إلا بعد أن جاء موعد الدورة الشهرية. وكانت الأمور طبيعية ولم يحدث ما يزعجنا. حاولنا التفكير في طريقة ما عسى أن نقابل هذين الشخصين مرة أخرى.

لأن كل تركيزنا على ما اختبرناه وعاشناه في الصيف، لم يكن لدينا استعداد أن ندخل تجارب جديدة في المدرسة. كنا ننظر إلى الأولاد الذين كانوا يدرسون معنا على أنهم ما زالوا صغاراً غير ناضجين. لقد عايشنا رجالاً أكبر منهم وهذا جعلنا بعيداً عن المتاعب في ذلك العام. وساعدنا بالفعل على التركيز في دراستنا والإجابة الجيدة في الامتحانات، لقد فرحنا جداً عندما عرفنا أننا نجحنا وتخرجنا من المدرسة الثانوية. الآن يمكننا التفكير في الجامعة. لكن قبل ذلك، كنا نفكر في موناستيتر.

مرة أخرى، اتجهنا جنوباً كما كانت عادات عائلتي. وسمحت أُمي بكرمها بأن تأتي ليلى معنا، بالرغم من أن والديها لم يكونا شغوفين لذلك. لقد لاحظت أسرة ليلى تغييراً طرأ على حياتها منذ الصيف الماضي، لكن توسلت ليلى لهما بدموعها فوافقا على ذهابها. قمنا برحلة إلى منطقة سوق أريانا لشراء بعض الملابس المزركشة قبل التوجه إلى موناستيتر. في هذا السوق المقام في الهواء الطلق وجدنا بعض الملابس المستعملة والمستوردة

من أوروبا. لقد كانت ملابس رخيصة، وعرفنا أننا لم نأخذ وقتاً كافياً، لكننا سنجد بعض الأشياء الرائعة. إن ملابس النساء غالية جداً في تونس، لذلك كان الناس يقومون بالشراء من أسواق الملابس المستعملة. كنا نبحث عن بعض ملابس البحر والسباحة. كنا نريد أن نجعل أصدقاءنا سعداء، إذا جاءوا هذا العام.

قضينا أسبوعاً على الشاطئ دون أن نتقابل معهما. تجولنا بطول الشاطئ عسى أن نجدهما في مكان ما. وبعد أيام عديدة من البحث، هيأنا أنفسنا على غيابهما ثم عُدنا إلى مكاننا السابق الذي اعتدنا عليه. كانت ليلى مكسورة القلب لعدم مجيء عوض. لقد قل وزنها خلال العام الماضي، أعتقد أن السبب كان لأنها افتقدته كثيراً. الآن، وهي ترتدي المايوه البكيني الجديد، أصبحت جذابة للرجال الذين على الشاطئ". كان من الصعب علينا أن نمنع الشباب من إزعاجنا.

في أحد الأيام، بعد وصولنا بعشرة أيام، جاء شابان في منتصف العشرينات من العمر وصمما على الحديث معنا. لم نشجعهما لأنهما كانا أكبر منا وقد يسببان لنا المشاكل لكنهما أصرّا على الحديث معنا فجاء واحد منهما إلي وقال:

لماذا لا نذهب سوياً للسباحة؟

وجاء الآخر إلى ليلى وطلب منها نفس الشيء، ولكن كان رد ليلى عليه:

"لن أسيح معك حتى ولو بعد مليون عام".

فجأة جذب هذا الشاب ليلي من ذراعها وأصر على النزول بها إلى المياه ثم جاء صوت من الخلف قائلاً:

معذرة أيها الشاب، أعتقد أن هاتين الجميلتين لا تريدان السباحة معكما ولا ترغبان في صحبتكما. فقال الشاب الذي كان بجواري:

"من أنت؟".

"إنني صديقهما".

"عوض ...!"، صاحت ليلي عندما سمعت صوت حبيبها.

"هاي ليلي"، قال عوض وهو يمنع ذراع الشاب الآخر من حجزها: "هل يمكنك أن تتركها الآن أم تريدني أن أمنعك من ذلك؟".

"وهو كذلك، سنذهب ونتركهما"، قال الشخص الذي كان بجوار ليلي: "إنهن لا تستحقان أن نكون معهما".

"نعم هذا صحيح"، صدر هذا الصوت من الشخص الآخر.

"أوه ... مجدي". قفزت من مكاني بينما ذهب الثوران من أمامنا فرأيت كلاً من مجدي وعوض، فقلت لمجدي مبتسمة: "لم أسعد بعودة أي شخص آخر مثل سعادتي الآن".

قفزت ليلي ووضعت ذراعيها حول عوض واحتضنته بشدة.

"ليلي ... إهدئي"، قلت لها في حذر: "لا ينبغي أن تعلي هذا على الشاطئ، فتوقفت لكنها لم تتوقف عن الابتسام.

"منذ متى جئتما إلى هنا؟"، سأل مجدي.

"منذ حوالي عشرة أيام". أجبته.

"عشرة أيام بمفردكما بين تلك الحيوانات التي تحيط بكما، كيف لا زلتما موجودتين حتى الآن؟".

"لم يكن ذلك سهلاً، لكننا بذلنا جهداً شاقاً حتى يومنا هذا".

"حسناً الآن لديكما حمايتكما ثم غمز بعينه لي.

ثم جلسنا لفترة سوية وأبدى كل منا ذكريات العام الماضي. كم حاول مجدي وعوض محاولتهما الجادة في مقابلتنا في تونس لكنها أدركا أن ذلك كان سيسبب لنا المتاعب، فتجنبنا عمل ذلك. لقد اخبرناهما بأننا انتهينا من المرحلة الثانوية وسوف نلتحق بجامعة منيوبا. لذلك نأمل أن يتيح ذلك لنا مزيداً من الفرص للقاء. لقد كانا مسرورين لسماع هذه الأخبار كما كانا مسرورين لأن عوض أنهى دراسته ومجدي سوف يعمل بالتدريس.

"إيلي...تبدين جميلة!"، قال عوض بعد برهة: "إنني أشعر بالحر. هيا بنا نسيح معاً.

ثم نظر مجدي إلي وقال: "يعجبني هذا المايوه البيكيني يا إيمان، ما أروعه".

أشكرك ... إنه جديد".

هل قمت بشرائه من أجلي؟"

"نعم من أجلك"، أجبته بابتسامة.

"لقد افتقدتك كثيراً"، قالها لي وهو يأخذني من يدي.

"لقد أفتقدتك كثيراً جداً أيضاً". قلت له وأنا أنظر إليه خلسة.

"لماذا نجلس هنا؟ هيا بنا نجرب ملابس السباحة هذه". ثم دخلنا إلى المياه ببطء. كان الشاطئ مزدحماً بالناس، وكنت أعرف أنه من المستحيل أن نتجنب نظراتهم لنا، لكنني لم أعيرهم أي اهتمام. لقد أصبحت مع مجدي مرة أخرى. وبدأت الرغبة والشهوات تغمرني مرة أخرى.

ذهبنا إلى العمق بعيداً عن الناس بقدر الإمكان. كانت الأمواج هادئة واستطعنا أن نقطع جزء من مشوارنا في السباحة. لقد ابتعدنا عن الناس بقدر ما يمكن، ثم رأيت عوض ويلي بعيداً عن الشاطئ أيضاً. لقد عادا إلى نظامهما القديم وكانا سعيدين، لقد لف مجدي ذراعيه حول وسطي ونظر إلى عيني.

"لم أفكر في أي شيء غيرك منذ الصيف الماضي".

"ياه!", حاولت أن أمثل أنني بريئة.

"ألا تعلمين ماذا فعلت بي؟"

"ماذا؟"

جعلتيني أقع في حبك".

"لا تقل هذا".

"لماذا لا أقل هذا".

"لا أريد أن أدمر ما نعمله. لنستمتع معاً فقط، ليس أكثر من هذا.
الحب ليس له أي معنى، هل تعرف ذلك؟"

"إيمان لماذا تقولين هذا؟ الحب هو كل شيء. إنه ما جعلني أتوق
إليك". "كلا ... إنه الجنس الذي جعلك تتوق إلى مقابلتي ثانية". قلت هذا
وأنا أصرخ.

"حسناً، إنني حزين لأنك لا تصدقيني. ربما يكون من الأفضل ألا
نعمل شيئاً هذا الصيف".

"معك حق. لا أريد أن تكون فكرة خاطئة".

"سوف أراك فيما بعد". ثم رحل. لكنني لم أقبل التفكير في أنه سيتركني
في البحر بمفردي، بينما كان جسدي بما فيه من شهوات يصرخ إليه، فقلت
له بعد أن ابتعد بخطوات قليلة: "لا يا مجدي". ثم استدار إلي وقال: "إنني
أحتاج إليك". لقد مددت يدي إليه فسبح عائداً إلي وأخذني في أحضانه
وقبلني بقوة. زلقت أرجلنا من على الأرض وغصنا تحت المياه ونحن
نواصل القبلّة العنيفة التي بدأها مجدي، ثم طفونا على سطح المياه نلهث
ونأخذ أنفاسنا لكني مازلت أصرخ.

وقال لي برقة وهو يمسخ لي دموعي: "لا تصرخي يا إيمان".

"لا أستطيع التوقف عن البكاء".

"إذا كان كلامي سبباً في ذلك، فلن أقول هذا ثانية، لكن ليكن معلوماً
لديك أنني أحتاج إليك".

"وهو كذلك إنك تعرف أيضاً أن هذا ما أريده أيضاً".

ثم حضنني بشدة مرة أخرى. "الآن دعيني ألقى نظرة على هذا المايوه البكيني".

ابتسمت له بينما كان يحتضني بين ذراعيه وينظر إلى جسدي. لقد بدأت اللعبة من جديد.

الفصل السابع عشر

من الصعب جداً وصف كل ما حدث أثناء الأسابيع القليلة التالية. لقد سقطت أنا ويلي في دوامات الحب وكان من المستحيل أن نخبر عائلتنا بأي شيء. لكنني، إلى حد ما، استطعت أن أتجنب أية مشاكل مع والدي. لقد كانا مشغولين مع اصدقائهما وبالحياة الاجتماعية ولم يتدخل كثيراً في شئوني. حاولت أنا ومجدي أن نقضي كل ساعة معاً بقدر الإمكان. لقد اعتدت على رؤيته أكثر من كونه شريكاً معي في رغباتي الجنسية، لأنه انفتح معي وبدأ يروي لي أشياء عن نفسه. بالرغم من أنني كنت حريصة ألا أتورط معه عاطفياً ولم أبادل معه المشاركة بأمر عن نفسي.

في خلال الأسبوع الذي كنا سنغادر فيه ونرجع إلى تونس أستأذن مني حتى يتصل بي تليفونياً. "إيمان، إنك تعرفين أنني لن أستطيع أن أقضى عاماً آخر دون أن أراك. أريد أن أتكلم معكِ".

"قد يسبب اتصالك بي مشكلة كبيرة". أجبتّه وحاولت أن أتجنب طلبه.

"ربما يمكنني أن أقول لوالديك إنني أستاذ من الجامعة أو أي شخص آخر".

"لماذا لا تعطيني أنت رقمك، وسوف أتصل بك حينما يكون ذلك أماناً لي".

"وهو كذلك لكن من أرجوك أن تتصلي".

"سوف أفعل هذا"، أجبته ولم أكن واثقة ما إذا كان هذا حقيقياً أم لا.

لم أكن واثقة من شعوري تجاه مجدي عندما أتركه هذا الصيف. يبدو أنه مخلص جداً في حبه لي. لم أكن متأكدة إن كان يمكنني أن أثق به أم لا بالرغم من أن هناك شيئاً ما بداخلي كان في حاجة إليه.

لاحظت أن ليلي هادئة بينما كنا في طريقنا للعودة إلى تونس. عندما وصلنا إلى منزلها قدمت الشكر لوالدي من أجل الوقت اللطيف ثم نظرت إلي قائلة: من فضلك أتصلي بي في خلال يومين".

"وهو كذلك يا ليلي، هل أنت بخير؟"

"أعتقد ذلك، إنني متعبة فقط. باي باي".

الآن أصبحت قلقة بشأنها. لقد تذكرت كم افقدت عوض العام الماضي. كنت أخشى أن تكون قد تعلقت به أكثر فأكثر وسوف تواجه مشاكل البعد عنه مرة أخرى. قررت أن أذهب إليها في اليوم التالي.

لأنني كنت متعبة من الرحلة، وسعيدة لأنني عدت إلى سريري ومنزلي مرة أخرى فقد استمتعت بالنوم واستيقظت في وقت متأخر في الصباح، لقد تذكرت ليلي، وأخبرت قاطمة بأنني ذاهبة إلى منزل ليلي.

وجدت ليلي في حجرتها تبكي. "ليلي، ماذا حدث؟، هل أنت بخير؟". قالت وهي تعتصر ألماً: "آه يا إيمان، ماذا سأفعل؟".

"ستقابلينه مرة أخرى. إنه يحبك، يمكنني أن أتصل بمجدي إذا كنت ترغبين في أن تتقابلتي مع عوض. لقد أعطاني رقم تليفونه".

جلست ليلى وبدأت تجفف دموعها: "ليس هذا ما ييكيني، يا إيمان".

إذا... ماذا يجعلك تبكين؟" سألتها وأنا مرتبكة.

أعتقد أنني حامل".

"ماذا؟"

لم يكن عوض حريصاً وهو يشاركني رغباتي الجنسية. أعتقد أنه موعد ابتداء الدورة الشهرية الآن، لكنها لم تبدأ بعد".

"هل أنت متأكدة يا ليلي. ربما لا تعرفي متى يجب أن تبدأ".

"لست متأكدة تماماً، لكن هذا ما أخشى منه". وبدأت تبكي من جديد.

"الآن يجب أن تنتظري، لا تقلقي قبل أن يحدث أي شيء. لننتظر الأيام القليلة القادمة لنرى ماذا سيحدث. إنني أثق بأنها ستحدث في أي يوم".

"هل أنت متأكدة؟"

"نعم متأكدة. ستكون كل الأمور على خير ما يرام. لن يتم الحمل بسهولة لأنه يحتاج لممارسة الجنس كثيراً. إنك لم تفعلي هذا كثيراً، أليس كذلك؟"

"لقد فعلنا هذا كل يوم"، أجابت بخجل.

"ما زلنا لا نعرف متى يجب أن تبدأ الدورة بالفعل. لننتظر لبرهة. أنا واثقة من أنك ستكونين بخير".

"ماذا لو لم يحدث ما تتوقعينه يا إيمان؟"، سألت ليلي وكلها رغبة في المعرفة.

واحتضنتها قائلة: "دعينا نتحدث عن ذلك عندما يحين الوقت. ذلك أفضل. أعدك بذلك". وجلسنا معاً في سرير ليلي وظللنا في صمت لفترة طويلة.

بعد فترة قررت العودة إلى منزلي وقد أخبرتها بأنني سأتصل بها فيما بعد. ثم غادرت منزلها.

الفصل الثامن عشر

لم أر ليلي لمدة أسبوع. أعتقد أنني كنت خائفة مما قالت لي، لذلك، ببساطة تجنبتها. لقد انشغلت جداً لأنه لم يتبق سوى أسبوعين على بداية دراستي الجامعية، لذلك انشغلت في شراء ملابس جديدة والطلبات التي احتاجها في دراستي. كذلك كنت أقدم تبريراً لعدم اتصالي بها زاعمة أنه لو حدث شيء ما سيء فسوف تتصل بي. قررت إن لم تتصل بي، فإن كل شيء سيكون على ما يرام. أخيراً، اتصلت بي. كان لديها بعض الأخبار."

"إيمان، أين ذهبت، وأين كنت؟"، سألتني ليلي في الحال بعد أن بدأت أرد على التليفون: "إنني أحاول العثور عليك منذ ثلاثة أيام!"

"أنا آسفة يا ليلي، لأنني كنت أحاول شراء بعض الاحتياجات قبل بداية الدارسة".

"هل تستطيعين الحضور إلي؟"

"متى؟"

"الآن"، أجابت وقالت: "متى سوف تأتي".

"حسناً"، وكنت أحاول إلا أجيبها.

"إيمان، إن الأمر عاجل ومهم. لا بد أن تأتي من فضلك".

"وهو كذلك"، أجبتها بتردد: "سأكون معك في خلال دقائق". حاولت أن أفكر في كل الاحتمالات الكامنة وراء استدعاء ليلى لي على وجه السرعة. كنت لا أرغب في مواجهة ما أخشاه. عندما وصلت إلى منزلها، قابلتني على الباب وأخبرت أمها أننا سنخرج في نزهة في المنطقة المحيطة ثم اتجهنا إلى الخارج.

ماذا يحدث يا ليلى؟ هل أنت بخير؟

"إنني أحتاج إلى مساعدتك يا إيمان"، قالت وهي تتعلق بذراعي.

"لماذا؟".

"إنني حامل، قالت هامسة لي.

"هل أنت متأكدة؟" نظرت إلى عينيها وتوقفت عن المشي.

"نعم، لقد أجريت اختبار حمل منذ أيام قليلة، وكانت النتيجة إيجابية".

"آه يا ليلى"، قلت لها ببطء: "وماذا ستفعلن؟"

"سوف أتزوج من عوض"، أجابت بصوت هادئ.

"ماذا؟"

"لقد سمعت ما قلته يا إيمان. هذه هي الطريقة الوحيدة. لا بد أن يتزوجني عوض".

"هل عوض يعرف هذه الأخبار؟"

"لا يعرف حتى الآن. وهذا سبب احتياجي إليك".

"سوف أخبره"، قلت في وضوح تام.

"كلا، إنني إريدك أن تتصلي بمجدي وتأخذي منه رقم تليفون عوض".

"هل أنت متأكدة من ذلك يا ليلي؟ إنك تعلمين أن هنا طرقاً عديدة. قد يمكنك إجراء عملية إجهاض، ولن يعرف أحد - لا عوض ولا والديك".
"كيف تقولين مثل هذا، يا إيمان؟ إنني أحبه. كما أنني احتاج إلى هذا الطفل. إنني أعرف أنه سيكون سعيداً وسيوافق على الزواج مني".

"لكن، سوف تتنازلين عن حياتك، يا ليلي. لن تستطيعي الالتحاق بالكلية، سوف تمكثين في المنزل مع الطفل، ولن يكون لديك فرصة لتستمعي بالحياة". لقد صدمت بقدرة ليلي على إلقائها حياتها جانباً. كم أصبحت حمقاء لنقول ذلك؟

"إيمان؛ من فضلك لا تتكلمي بمثل هذا الكلام. لن أستطيع أن أطلب شخصاً أفضل من عوض. لن أضيع حياتي هباءً. إنني سأحقق ما كنت أحلم به".

"لكن ماذا سيقول والداك؟" ماذا سيفعلان؟ "هل تعتقدي أنهم سيسمحون لك بالزواج منه؟"

"لا أعلم. سيكون الأمر صعباً، بالتأكيد، لكن بمجرد أن أتكلم مع عوض سوف أكلهمهم في الأمر. من فضلك، يا إيمان، حقاً إنني في حاجة لأن تكلمي مجدي من فضلك".

"وهو كذلك، لدي رقم تليفونه، وسوف أفعل هذا بالتأكيد يا ليلي".

هل ترغبين في أن أتصل به الآن؟.

"نعم، يمكنك أن تفعلي هذا من أية كابينة تليفون بالعملة، وسوف أذهب معك".

أشكرك يا إيمان".

"لا تقلقي يا ليلي"

هل ستجنين بسببي؟"

"كيف أصبح مجنونة أو أغتاظ منك وأنت أحسن صديقة لي، إنني لا أرغب سوى في سعادتك".

"أنا سعيدة بالفعل يا إيمان".

سرنا إلى محل تليفون عام ودخلنا إلى الكابينة، لذلك حققنا نوعاً ما من الخصوصية. كنت خائفة من أن أتصل بمنزل مجدي، لأنني لم أكن واثقة من الشخص الذي سيرد على تليفوني لأنني كنت أعلم أن مجدي مقيم مع أسرته وهو في الكلية. طلبت الرقم بأصابع تقطر عرقاً وانتظرت الرد.

"ألو"، جاءني صوت رجل قوي.

"هل يمكنني أن أتكلم مع مجدي من فضلك؟" قلت هذا وصوتي يرتعد.

"من تتكلم؟"

"صديقة من موناستير".

"إيمان؟"

"مجدي؟!"

"نعم، أنا هو".

"إنني سعيدة لأنك أنت الذي رددت على التليفون"، قلت له بإرتياح.
"كنت أخشى لئلا يرد عليّ شخص آخر".

"لست بمفردي في المنزل الآن. إنني سعيد لسماع صوتك. كيف
حالك؟ لقد افقدك كثيراً".

"إنني بخير أريد أن تصنع لي شيئاً جميلاً وتقدم لي معروفاً".

"بالتأكيد سأفعل ذلك، ماذا؟".

ليلي تحتاج رقم هاتف عوض. هل معك رقمه".

"ماذا تظنين؟".

"ماذا".

"الآن عوض موجود معي. هل ليلي موجودة معك".

"نعم، إنها بجواري. هل ممكن أن تجعلها تكلمه؟"

"بالطبع، لكنني أريد أن أتحدث معك أكثر وأكثر".

"يمكن أن نفعل هذا فيما بعد. الآن ليلي معك".

أعطيت سماعة التليفون إلى ليلي وخرجت إلى خارج الكابينة. لم أرد
أن أسمع ما يقال بينهما. لقد كنت مذهولة لإستمرار مجدي اهتمامه بي.

هل أريد أن يحدث لي ما حدث مع ليلي؟ وأكون مجرد زوجة أو أم؟ لقد أردت أن أهرب من أمي، لكنني أعتقد أنني لم أكن جاهزة لمثل هذه الخطوة الكبيرة. لقد استمرت ليلي في الكلام، لذلك خرجت إلى الهواء الطلق لبرهة. لقد جلست على حافة حاجز الطريق لأنتظرها ولكي أفكر أيضاً. مازال الجو دافئاً، مثل الصيف، لقد تمنيت سقوط الأمطار سريعاً. أخيراً خرجت ليلي وجلست بجواري.

"ماذا قال لك؟"، سألتها لأنني لاحظت أنها هادئة جداً.

"إنه سعيد مثلي"، أجابتنني بإبتسامة.

"يا ترى، ما هي الخطوة التالية؟"

سوف ننتظر هنا إلى أن يأتيان معاً.

"إلى أن يأتي من؟"، سألتها فجأة وأنا مرعوبة.

"عوض ومجدي".

"ماذا؟" قادمان إلى هنا؟

"أنا وعوض في حاجة إلى أن نتكلم معاً، ومجدي أخبرني بأنه سيحضره من أجلي.

"هل تريدان أن تدخلني في مشاكل أكثر يا ليلي؟ ماذا سيحدث إذا شاهدنا أحد ونحن هنا معهما".

"لا تقلقي يا إيمان، سوف نجد مكاناً هادئاً لنجلس فيه ونتحدث".

الفصل التاسع عشر

لم أستطع أن أصدق ما يحدث. كان كل شيء سيئاً لأن ليلي حبلت، لكن كان على أن أواجه مجدي مرة أخرى في منطقة مجاورة لمنطقتي. جلست ووضعت يدي على رأسي. كنت مرتبكة جداً كلما مضى الوقت، لقد حاولت أن أكبح مشاعري تجاهه أما الآن أصبح علي أن أواجه خطوة جديدة في علاقتنا. بينما كنت مستاءة، كانت ليلي تركز نظرها خارجاً على الأشخاص. وبمجرد أن استدار كليهما إلى الشارع رأتهما ليلي.

لقد وصلا، يا إيمان. نهضت وبدأت تسير تجاههما بعيداً عن المحلات إلى حد ما، ونهضت أنا أيضاً وتبعتهما. وعندما اقتربنا عند ناحية هادئة توقفت سيارة وقامت ليلي بدفعي إلى داخل السيارة. قمنا بتحية كل منا الآخر بينما كان مجدي مستمراً في قيادة السيارة. كذلك كان عوض مستديراً بالكامل من المقعد الأمامي ناظراً إلى ليلي في الخلف. "إيمان، هل يمكنك أن نستبدل الأماكن وتأتي مكاني حتى أستطيع الحديث مع ليلي؟

"لماذا لا نتوقف في مكان ما؟ إلى أين سنذهب؟".

سوف نتوقف في مكان ما" أجاب مجدي: "لكنني أريد أن أجد مكاناً هادئاً. الآن، تعالي هنا، يا إيمان. أريد أن أراك أيضاً".

بينما كان عوض يرجع إلى الخلف، اندفعت إلى الأمام بجوار مجدي. ثم استدار إلي ثم ابتسم وأنا أضع حزام مقعدي. لقد وضع عوض ذراعه

حول ليلى. لقد كانت تبكي على كتفه. لقد بدأ حديثهما بالهمس. ولم أحاول أن أسمعهما.

سألني مجدي بعض الأسئلة العامة عما كنت أفعله ما المواد التي درستها وما الذي سأدرسه في الجامعة. وبينما يتحدث اتجه بسيارته بنا إلى متنزه ناهلي، خارج المدينة. لقد ذهبت إلى هذا المكان حينما كنت طفلة مع مدرستي. لم أعتقد أبداً أنه مكان للعاشقين والمحبين. خرجنا من السيارة ودفع مجدي مبلغاً صغيراً كتمن للتذاكر. إن مساحة المتنزه أعطتنا تحذيراً عن الدخول في أي سلوك خاص. لقد ابتسمنا وبدأنا نسير ونرجع إلى مؤخرة المتنزه حيث وجدنا عدداً من المناضد موضوعة تحت أشجار الصنوبر. كانت الشمس الساطعة مختبئة بينما كنا نسير تحت الأشجار. أخذ عوض ليلى وتركانا وذهبا إلى منطقة منعزلة ليتكلما معاً. تعبت من السير لذلك اقترحت الجلوس على منضدة تحت أشجار الصنوبر لفترة ما.

"هل أنت بخير يا إيمان؟ سألني مجدي وهو يجلس بجواري ماسكاً بيدي.

"لقد وضعت عقلي في كل ما تجتاز به ليلى". أجبته محاولة أن أتجنب المسائل الحقيقية.

"نعم هذا مذهل، لكنني أعتقد أن "عوض" سعيداً".
"وأنا أيضاً، أعرف أن ليلى سعيدة أيضاً"

"إذا، فأنا سعيد بما يحدث لهما".

"أعتقد أنني أيضاً يجب أن أكون سعيدة لهما".

"ألا ترى أن هذا شيء جيد؟"

"أعتقد أننا لا يجب الاندفاع في الزواج الآن. يمكنهما الانتظار".

"لكن ماذا عن الجنين؟"

"تقوم النساء بعمليات إجهاض كل يوم في تونس".

"كيف تبدين بهذه المشاعر الباردة إلى هذه الدرجة؟".

"لا أعلم. ربما تكون حياتي جعلت مني إنسانة قاسية". ثم سحبت يدي من يده وبدأت أحركها على شعري.

"أعتقد إنك ستفكرين بطريقة مختلفة لو كنت في مكانها"، قال مجدي وهو يلمس وجهي بانامله.

"لا يمكن أن أخبرك بما أشعر به، كل ما أعرفه هو أنه إن لم ترغب المرأة في أن تصبح أمًا، فيجب ألا يكون لديها أطفال أبدًا. لم أشعر بالراحة في هذه المحادثة. "هيا بنا نتمشى قليلاً ، يا مجدي. إنني مضغوطة جدًا".

"بالطبع، يا إيمان، هذا متنزّه جميل. هل أتيت إلى هنا من قبل؟".

"حينما كنت طفلة، لكن لم آت مرة أخرى إلى هنا بعد ذلك". بدأنا نتعمق في سيرنا إلى داخل الغابة. لم يكن لدي أية فكرة عن مكان عوض وليلى. كنت أتمنى أن نجدهما عندما نحتاج إليهما. لم يكن أحد حولنا بينما كنا نسير في الممرات التي يسير فيها الفرسان بخيولهم. لقد أمسك مجدي بيدي لفترة ولم يكن قانعاً بأن يقول لي أي شيء. استمتعت

بالصمت، وبدأت أشعر بالراحة لسماعي صوت الطيور تغرد من حولنا. من الواضح، بعد أن شعر مجدي بالتححرر من التوتر وضع زراعته من حولي وجذبني إليه. لم أقاومه. لقد قبلني عمداً تم توقف وابتسم.

"لقد وحشني هذا"، قال وهو لا يزال يمسكني بشدة.

"أعرف ذلك". هذا كل ما استطعت قوله. لقد اجتزت بوقت صعب عندما وجدت أن مجدي كان بارداً جداً عندما عرفنا أن حياة عوض وليلى تتغير بطريقة دارمية لسبب قُبلة. عرفت أنه أراد أن يفعل الكثير في ذلك اليوم، لكنني لم أكن في حالتي المزاجية التي تسمح بذلك. لقد أخذت يده وقلت: "يجب أن نبحث عن ليلى وعوض".

"لدينا وقت طويل"، أجاب محاولاً أن يجذبني للخلف.

"كلا يا مجدي"، ونظرت إلى عينيه وقلت: "ألا ترى أنه من المهم أن نتكلم سوياً. هذا يؤثر علينا جميعاً. سوف تكون ليلى في مزيد من المتاعب أكثر مما تدركه وأنا سوف أواجه متاعب مع والديّ. لم يكن لدينا أية فكرة عن إمكانية زواج ليلى وعوض. إنهم سيقتلوننا إذا أرادوا ذلك.

"وهو كذلك يا إيمان. ليتك تهدئي. إنك على حق، إننا في حاجة إلى أن نتحدث معاً".

"تعال، هيا بنا لنذهب لنرى طيور الحب".

بدأنا نسير في التل. أخيراً وجدنا عوض وليلى، يجلسان على الأرض خلف شجرة يعانقان بعضهما كما لو كانا لا يعيران الآخرين أي اهتمام. لقد

قطعنا رومانسيتهما وأخذناهما إلى منضدة. وبعد أن جلسنا بدأنا نتحدث فيما سيفعلانه.

"سنتزوج"، قال عوض.

"لكن، هل تستطيع ذلك؟" سألته.

"سنحاول ذلك، أستطيع أن أعمل".

"لكن ماذا عن دراستك؟"، ما زلت أضغط عليه بأسئلتي.

"إيمان"، قاطعتني ليلي: "ألا يهكم الجنين. نريد أن نتزوج. نريد أن نكون معاً. الدراسة ليست مهمة بأي شكل".

"كيف تقولين هذا؟"، سألتها في غضب: "هل تريدين أن تعيشي فقيرة طوال الحياة؟"

"إيمان"، تكلم مجدي إلي برقة: "ألا ترينهما يحب كل منهما الآخر؟ أنهما سيعيشان. الناس يتزوجون كل يوم دون تعليم جامعي، إلى جانب أنني أرى خريجي جامعات يعملون في وظائف يحصلون منها على مرتبات أقل من بعض من ليس لديهم شهادة جامعية".

"وهو كذلك"، قلت له في سخط: "لذلك فأنت ربما تتزوجين إذا سمح لك والديك بذلك أما أنا فماذا أقول لأمي؟ إنها ستقتلني عندما تعلم أنك أصبحت حاملاً عندما كنا معاً في موناستير".

"فكرنا في ذلك، يا إيمان"، قال عوض: "فكرنا أيضاً في احتمالية أن والدي ليلي لن يقبلنا ولن يوافقنا على الزواج. لذلك، قررنا أن نتزوج سراً ثم

نخبرهما بعد ذلك. أما أخبار الحمل فيمكن أن نعلنها فيما بعد بمجرد أن يستردا وعيهما من صدمة الزواج. أمك لن تعرف كيف قابلت ليلي. سوف تكتشف هذا كأي شخص وسوف تخبرينها بأن ليلي لها علاقة زواج سرية".

"هل أنت واثق من ذلك يا عوض؟"، لم أصدق أنهما سيفعلان مثل هذا ليحيمياني. ثم قالت ليلي: "إيمان، بدونك لم أكن قد تقابلت مع عوض، لذلك فنحن مدينان لك بالكثير. لن نريد لك الأذى بسبب ما حدث معنا".

لم أستطع الرد، ولم أستطيع أن أفهم كيف يخاطران بهذه الطريقة، وكل هذا بسببي. لقد نهضت من مكاني وبدأت أتجول بلا هدف في الغابة تجاه الطريق إلى الخروج، وجاء مجدي خلفي.

"هل أنت بخير؟".

"لا أعلم ... لا أصدق ما سيفعلانه".

"سيكون كل شيء على مايرام ياإيمان. لقد وضعا ذلك في ذهنهما. لن نستطيع أن نوقف ما سيفعلانه".

"أعلم ذلك". ثم واصلت السير، وقادنا مجدي إلى محل التليفون القريب. وبينما كنا نخرج من السيارة، أخذ بيدي. "إيمان، أريد أن أراك مرة أخرى".

"لا أستطيع الآن. لقد حدث الكثير جداً. لابد أن تعطيني وقتاً".

"وهو كذلك، لكن من فضلك اتصلي بي".

"لا أستطيع أن أعدك بذلك".

ثم خرجت من السيارة، وبدأت أسير أنا ولىلى تجاه منزلنا. "لن أخبرك بما سنفعله أنا وعوض. لن نقولي أي شيء ولن نتحاجي إلى ذلك".

"وهو كذلك يا لىلى"، قلت لها بصورة مملوءة باليأس: "هل أنت واثقة من كل هذا؟"

"بكل تأكيد"، أجابت بثقة: "لا تقلقي، يا إيمان. سوف تريننا من خلال الحب".

واستمرينا في الصمت وتركناها بالقرب من منزلها وعدت إلى منزلي. لم أرها طوال الأسبوع الذي تلي ذلك. عندما سألتني أمي عن عدم اتصالي بلىلى أو مقابلتها تعللت بحجة أنني أستعد للدراسة. لقد أوشكت الجامعة على الابتداء فكان كل تركيزي على ذلك. كنت أعتبر الجامعة نقطة هروبي. لم احتمل التفكير فيما قد تجتاز فيه لىلى. لم أكن أعرف ماذا ستفعل أو هل بالفعل تزوجت هي وعوض أم لم يتزوجا بعد. لقد أرعبني الموضوع بأكمله وأخذني بعيداً عن الرومانسية. أيضاًً أرعبني من نفسي، فعندما رأيت أن حب لىلى لعوض أدى إلى هذه النتائج وجدت نفسي غير مستعدة لمثل هذا الحب. نعم لقد استمتعت بوقتي مع مجدي، وكانت علاقتي به مشبعة. لكن التفكير في الزواج ومسئوليته لم أكن أحبه. لم أكن مستعدة لذلك.

الفصل العشرون

كنت أدرس مواد كثيرة في جامعة "مينوبا" في هذا الفصل الدراسي. وكنت أعلم أن هذا سيمنع ذهني من التفكير في حياتي. لقد أحببت أن أركب الأتوبيس وأجتاز في المدينة بعيداً عن عيون أمي وأتجول في حرم الجامعة. كانت محاضراتي في أوقات غريبة أثناء الخمسة أيام، لذلك كان علي التواجد بالجامعة وهذا أعطاني وقت فراغ كافياً للجلوس والدراسة أو لمجرد الراحة.

بعد بداية الدراسة بثلاثة أسابيع، تقابلت مع صديقة من مدرستي الثانوية. سألتها عن موادها الدراسية. وعن مدى حبها لأساتذتها. عندما بدأنا نتحدث عن الزملاء وجدتها تسألني : "هل سمعت عن ليلي؟".

"ماذا حدث لها؟"، سألتها ببراءة.

"لقد تزوجت".

"كيف عرفتِ هذا؟"

"الكل يعرفون ذلك. لقد كانت هناك مشاجرة عنيفة في منزلها منذ أسبوعين، وقد سمع هذه المشاجرة كل الجيران. لقد ذهبت إلى والديها مع زوجها وأعلنا أنهما تزوجاً وأنها سوف تنتقل مع زوجها لتعيش معه".

"إنك تتصرفين بطريقة طفولية، يا ليلي".

"أعتقد نفس الشيء. إنني لا أعتقد أنها فعلت شيئاً قبيحاً، لكن يقول الناس إنها كانت في علاقة سرية منذ فترة طويلة مع زوجها. والإشاعة الآن تقول إنها حامل. وسوف يخبرنا الزمن بكل شيء".

"نعم"، أجبتها وأنا شاردة الذهن: "ماذا فعل والداه؟".

كانت أسرتها غاضبة جداً وهددتها بكل شيء ممكن على حسب ما سمعت. لقد طردها خارجاً أمام كل الجيران وألقوا كل ملابسها خارجاً. كان واضحاً لنا أنها وزوجها جمعا كل الأشياء وذهبا. ولم أعرف من هو هذا الشخص أيضاً. إنني أتساءل أين تقابلت معه".

كنت أعرف إجابة كل هذه الأسئلة، لكنني لم أنطق بكلمة واحدة. لقد شكرت صديقتي على هذه الأخبار ثم تركتها ورحلت. تجولت في حرم الجامعة ما يقرب من الساعة وكنت أفكر فقط في ليلي وعوض وما فعلاه. يا ترى كيف سيكون مستقبلهما؟ كيف سيعيشان؟ لقد فقدت صديقتي، إنني أشعر بالوحدة.

لم أبذل أي مجهود للعثور على ليلي بعد ذلك. كان من الواضح أن أسرتها لم تشك في وقت ذهابها معي إلى موناستير، لأن والدي لم يسمعا أبداً عن علاقتها السرية. عندما كانت أُمِّي تسألني من وقت لآخر عن ليلي كنت أقول لها ربما تدرس مواد أخرى لأنني لم أرها. كما أخبرت أُمِّي بأن هناك مجموعة بنات أخرى جديدة تعرفت عليهن في الجامعة. كانت هذه بالطبع كذبة، لكنني لم أهتم حقاً بما أقوله لأُمِّي. ولم تكن هي مهمة حقاً بي.

بدأت العمل بجد لتحقيق مستويات أفضل في الدراسة. لم أتحدث كثيراً مع الذين يدرسون معي. العلاقات كثيراً ما تؤدي، وأنا لم أحب هذا. كان من الأسهل أن أحتفظ بابتعادي عن الناس. كان هناك عديد من الأشخاص (خلال السنة الأولى والثانية من الدراسة) يبدو أنهم ذوي مظهر حسن ومهتمون بي، لكنني لم أبتسم لهم ولا حدثتهم. لا يوجد شخص مثل مجدي في وسامته وطيبته. لن أتصل به ثانية، لكن لم أستطع أن أخرج من عقلي وقلبي. ما زلت أحتفظ برقم هاتفه في حافظتي.

في السنة الثالثة من دراستي الجامعية ، كان على عاتقي حمل ثقل دراستي المتخصصة في "علوم الحاسب الآلي". كنت دائماً مفتونة بالكمبيوتر ورأيت أهمية الكمبيوتر في جميع أوجه الحياة من محلات النت كافي التي كانت عملاً تجارياً بدأ في النمو في تونس حتى المستشفيات والمطارات. لم يكن الكمبيوتر شيئاً شخصياً ومن السهل التعامل معه. لقد وافق أبي على شراء جهاز لي عندما بدأت دارستي، معتبراً أنه شيء وجيه. كنت واحدة من قليل من الطلاب الذين كانوا يمتلكون أجهزة كمبيوتر في قسمي. قضيت ساعات طويلة أعمل عليه وأبحث على النت.

كنت أدرس عن طرق عمل البرمجة لأول مرة في ذلك العام، وكنا نذهب إلى معمل كمبيوتر ثلاثة أيام في الأسبوع. كما لاحظت أن اسم الأستاذ الذي سيقوم بالتدريس لنا لم يكن مسجلاً في جدول المحاضرات، فأدركت أن الجامعة أحياناً تستعين ببعض المساعدين ليقوموا بالتدريس بينما الأستاذ يحدد الواجبات أثناء فترة المحاضرة. وبمجرد أن دخلت غرفة الدراسة وجلست في مكاني أمام جهاز الكمبيوتر، بدأت أنظر حولي لأرى ما إذا كان هناك أي شخص أعرفه. تعرّفت على وجوه كثيرة من أقسام

أخرى. بينما بدأ الفصل يمتلئ بالطلاب، سُحب الباب وأُغلق وتقدم المساعد للأمام، إنه مجدي!

جلست وفمي مفتوح من الدهشة. كان ينظر إلى صف الكتب الذي كان على مكتبه. بدأ ينادي الأسماء وكان يضع علامة أمام كل من يرد عليه ليثبت حضوره. عندما وصل إلي وجدت أنه توقف قليلاً. لقد نظر إلي.

"حاضرة"، قلت له دون أن ينطق اسمي. لم يبتسم، لكنه ظل ينظر إلي. ثم رجع إلى كتابه مرة أخرى.

بكل تأكيد كان يوماً شاقاً بالنسبة له. لقد بذل كل ما في وسعه حتى لا ينظر إلي بينما كان يعمل داخل الفصل. لم أتذكر كثيراً مما قاله لكنني كنت مضغوطة جداً من حضوره. لقد كان حسن المظهر وذو سلطة داخل الفصل، وله سلطة في حديثه وذا سلوك طيب. يا ترى ما الذي يعتقده في؟ لم استدعه أبداً. لقد عرفته منذ سنتين! أحاول أن أطرد هذه الأفكار من ذهني، ربما يكون قد تزوج الآن. بالتأكيد، لقد نسي كل شيء عني. كان هذا منذ زمن طويل.

بمجرد مشاهدته وهو يتكلم، استرجعت كل ذكرياتي الماضية التي مرت بي خلال العامين الماضيين وخاصة ما تم خلال الصيف في موناستير. لقد اندلع شيء ما بداخلي. بدأت أتذكر كم كانت لمساته لي رائعة وقبلاته جميلة وتذكرت أوقاتنا الذي قضيناه سوياً. يجب على أن أترك كل هذا يضيع بسهولة.

جلست، غارقة في أفكاري، إلى أن أدركت أن الوقت انتهى. رحل الجميع بسرعة وكانت الحجرة تقريباً فارغة. نظرت إلى مجدي، بينما كان يتكلم مع أحد الطلاب. وبينما نهضت من مكاني، رحل الطالب الآخر وأصبحت أنا ومجدي بمفردنا في الحجرة، فنظر إليّ وقال:

"مرحباً يا إيمان."

"هاي مجدي."

"يا لها من مفاجأة أن أراك هنا."

"شعور متبادل"، قلت له مبتسمة.

"لقد افترقنا منذ فترة طويلة. إنك لم تتصلي بي أبداً".
"مجدي..."، بدأت الحديث ولم أكمل.

"وهو كذلك، يا إيمان. كان ذلك ماضياً الآن."

"أليس كذلك؟"، سألته قبل أن أدرك ماذا أقول له.

"إيمان، أنا لا أستطيع أن أفعل ما كنت أفعله في الماضي. أنت تعرفين ماذا فعلت بي"، قال هذا بينما اقترب مني.

"أنا آسفة يا مجدي"، قلت له بإخلاص: "إنك لا تستحق هذا".

"لا بد أن أمضى الآن"، قال بسرعة.

"وهو كذلك"، هذا كل ما استطعت أن أقوله وأنا أراقبه يترك المكان.

الفصل الحادي والعشرون

كانت مشاعري تتوهج بداخلي، بينما وقفت وحيدة بداخل الفصل أفكر فيما قاله مجدي. هل ما يزال يهتم بي؟ هل حقاً تسببت له في أذى؟ شعرت وكأنني شخص متوحش في فيلم سينمائي، شخص شرير وحقيّر. لماذا لم أستجب لحبه؟ ربما استطاع أن يسعدني. ثم بدأت أفكر في عوض وليلي، وتساءلت أين هما الآن. هل هما سعيدان؟ هل يعيشان في فقر ويصارعان الحياة؟ ما الذي منحه لهما الحب؟

لم أعرف كيف سأواجه دراستي في هذا المكان كل يوم. بالتأكيد سيلاحظ الجميع أن هناك شيئاً ما بيننا. أيضاً لم أرغب في أن أسبب لمجدي أذى مرة أخرى، لأنني الآن أدركت كوني قادرة على أن أجرح الآخرين. لم أكن واثقة من أنني أستطيع أن أعطيه الحب الذي يستحقه. إنني لم أجد هذا الحب في نفسي.

أثناء كل محاضرة معاً، كنت أتجنب عينيه بقدر الإمكان. حاولت التركيز على الشاشة التي أمامي وبذلت جهداً زائداً من أجل التركيز على مشاكل البرمجة. لم يدرس مجدي بالفعل، لكن كان موجوداً لمساعد الطلاب وهم يقومون بأعمالهم. كان يجلس على مكتبه، وحينما تظهر مشكلة أمام أي طالب كان يستدعيه للمساعدة. كنت أقوم بعمل جيداً، إلى أن جاء يوم من الأيام، وواجهت مشكلة في برنامجي. لم استعجل وأطلبه بل حاولت كثيراً لكن لم تنجح محاولاتي في حل المشكلة. أخيراً نظرت إلى مجدي في إحباط وقلت له: "هل يمكنك مساعدتي، من فضلك؟"

جاء إلى مقعدي واتكأ على كتفي لينظر إلى الشاشة".

"ما هي المشكلة؟"، سألني بصورة رسمية جداً.

"هذا البرنامج لا يعمل. لقد حاولت كثيراً، لكنه لم يعمل". بدأ يسترجع خطواتي وقال: "لنر ماذا نستطيع أن نفعله الآن".

ونظم البيانات وكان هذا يحتاج وقتاً طويلاً، لذلك جذب مقعداً وجلس بجواري. لقد تحركت حتى أتيح له فراغاً لكن مازلنا نجلس قريباً من بعضنا البعض. لقد سمعته يتنهد ويقول: "إن رائحتك جميلة".

"مجدي، لا"، أجبته، وحاولت أن أسيطر على مشاعري الخاصة.

"لقد ارتكبت خطأ هنا"، قال بنغمته كمعلم: "يجب أن تغيّر هذا وسوف ترين ما سيحدث".

"شكراً"، أجبته. كنت أتمنى أن يرجع إلى مكتبه لكنه لم يفعل ذلك ولم يتحرك.

"سوف أجلس حتى أرى إن كان سيعمل أم لا".

تمايلت لعدم الراحة على مقعدي، وحاولت أن أسترجع أفكاري عن البرنامج. لقد أحسست بذراعيه يلامسان زراعي بالرغم من أن أحداً منا لم يجرؤ أن ينظر إلى الآخر. بينما كنت أعمل، دق الجرس وبدأ الطلاب في مغادرة المكان.

"استمري وانتهي من هذا"، قال لي بصوت مرتفع. "يجب ألا تتوقفي في المنتصف. هل لديك أية محاضرات أخرى الآن؟"

"كلا"، قلت له بركة.

"إذن، لديك وقت كاف لتنتهي من هذا البرنامج". ثم نظر حوله ليتأكد من أن الكل قد غادر المكان. وبينما كنت أعمل ذهب وأغلق الباب ثم عاد ليجلس بجواري. "أنهي عملك بسرعة، يا إيمان"، وكان يلمس ساقي بيده.

"لن أستطيع الانتهاء من أي شيء أن لم تتركني بمفردتي الآن، إنني مرتبكة".

"وهو كذلك، سوف أتركك بمفردك الآن". ثم عاد إلى مكتبه ليجمع أوراقه. لقد انتهيت من حل المشكلة وشكرت الله لأنها انتهت ووصلت إلى الحل السليم.

"أخيراً عمل البرنامج أشكرك"، قلت وأنا أنظر إليه: "لقد حفظت البرنامج وأغلقت الكمبيوتر".

كان مجدي يتمشى في نهاية الفصل، وقال لي: "تعالى هنا".

ذهبت إليه فجذبني إليه وقبلني. عندما توقفت، قال لي: "إيمان، أريد أن أفعل هذا منذ ثلاثة أسابيع. كان من المستحيل أن أراك في الفصل ولا ألمسك!".

هل ما زلت تهتم بي؟"، سألته وأنا مرتبكة.

كيف لا أهتم بك؟".

"لكني لم أتصل بك ثانية، كان هذا منذ عامين، بالتأكيد، أصبح لك صديقات كثيرات الآن".

"لم يكن لدي أي صديقة غيرك أنت. كنت أتجول في منطقتك حتى أتقابل معك مصادفة. وتوقعت أن أقابلك هنا أيضاً، لكن لم يحدث هذا أبداً. الآن، قد أرجعنا الله إلى بعضنا. وهذا هو قدرنا". واحتضنني بين ذراعيه وجذبني إليه بقوة. لقد شعرت بكل جزء من جسده.

"هل تعتقد أن الله لديه أي شيء ليفعله لنا؟"، سألته فجأة.

"إنه يعرف أنني أحبك"، أجاب مجدي مبتسماً: "لذلك جعلك ترجعين مرة أخرى إلى حياتي".

"نعم"، قلت له دون أن أتأكد هل أحب ذلك أم لا.

"من فضلك يا إيمان"، توسل إلي مجدي: "هل يمكن أن نسترد علاقتنا مرة أخرى؟"

"لا أعرف يا مجدي"، أجبته بأمانة.

"لا بد من ذلك، يا إيمان، إنني في احتياج إليك".

"وهو كذلك". بينما قلت هذه الكلمات، أعطاني قبلة ساخنة مرة أخرى. وقد سمحت لنفسني أن أذوب فيه. كان جميلاً أن يحتضنني شخص ما يحبني. عرفت ما كنت أفقده في السنتين الماضيتين. إنه لمساته التي جعلتني أشعر بأنني مرغوبة مرة أخرى. لقد أطلقني وأنا بدوري ابتسمت. وقبلته في خده ووقفت وراءه.

"لدينا الكثير لتحدث عنه"، قلت له: "سنتان وقت طويل. أعني، إنك الآن معلم!"

"لكنني لست أعمل معلماً متفرغاً حتى الآن"، أجاب بسعادة.

"أريد أن أسمع أخبار عوض وليلى أيضاً"، قلت وكلي أمل.

هل لديك وقت للغداء؟ سألني.

ماذا سيقول الناس إذا رأونا معاً؟"

"من سيهتم بذلك؟ كل ما في الموضوع سيقولون معلماً مغموراً بالسعادة!".

ضحكت وهو يقول ذلك، وجمعت كتبتي وسرت معه إلى الكافتريا في حرم الجامعة. جلسنا ثم طلبنا وجبتنا. سألتها عما يعرفه عن ليلى وعوض، لكنها كانت قصة طويلة وتحتاج إلى مزيد من الوقت حتى يرويه لي.

بالرغم من أنها رُفِضت تماماً من أهلها، قررت هي وعوض أن يعيشا على مجهودهما. استأجرت ليلى مع عوض حجرة في منزل سيدة في مكان فقير من المدينة. لم يستطيعا أن يوفرا الكثير في البداية. لقد امتنع عوض عن المدرسة بالكامل ووجد وظيفة. لقد كان موهوباً في النجارة ولاحظ رئيسه في العمل مواهبه. بعد شهور قليلة من العمل الشاق، استطاع العمل في محل نجارة يمتلكه نفس رئيسه في العمل. لم يكون ثروة ولم يكسب كثيراً، لكنه حقق ما يكفي لدفع الإيجار والطعام له ولليلى.

بالرغم من أن ليلى كانت حاملاً، إلا أنها بدأت تعمل حيث حصلت على فرصة عمل لتنظيف منزل أسرة أجنبية وترعى أطفال هذه الأسرة.

لقد عملت ساعات طويلة ولكنها لم تبال. هذه الوظيفة - في الواقع - كان دخلها أكثر مما كان يكسبه عوض، لكن عندما اقتربت من اليوم الذي ستضع فيه مولودها! اضطرت إلى التوقف عن العمل، بعد أن وفرت بعض المال للمستقبل.

أرسلت ليلي إلى أسرتها تخبرهم بأنها حامل قبل أن تضع مولودها، واعتقدت أن هذا هو نهاية المطاف، خاصة عندما لم يستجيبوا لها. لكن بعد أن وضعت مولودها، جاءت أختها لزيارتها ومعها هدية من والديها وبعض المال. لقد صرخت عندما رأت الطريقة التي تعيش بها ليلي، لكنها قالت لها بأنها فخورة بها لأنها واجهت الصعاب ونفذت ما كانت تريده. هذا أعطى ليلي أملاً في أن عائلتها قد تقبل رجوعها يوماً ما. ثم كتبت ليلي خطاب شكر لوالديها وأرسلته مع أختها.

كان عوض مسروراً بمولد ابن له. كان هذا بمثابة استقباله ختم موافقة من الله على زواجهما. أطلق عوض ويلي اسم "محب" على ابنتهما لأنه جاء كثمرة حب عظيم. جلست ليلي بالطفل في المنزل لأنه لم يكن لديها أي اختيار. كانت تريد أن تعمل، لكنهم تعلموا أن يعيشوا على راتب عوض. عاشت العائلة سنتين من السنوات الصعبة في حياتهم، لكن عوض ويلي أحبا بعضهما وأحبا طفلهما، لذلك كانا سعيدين.

أدركت أن مجدي قد قابلهما مرات عديدة منذ أن تزوجا. لقد كان هو وعوض صديقين ممتازين ولم يتغير أي شيء. أصبح مجدي أخاً لهما لأن أحداً منهما لم يُدعم من أسرته. لقد سألت ليلي مجدي مرات كثيرة عني، ولكنه لم يكن لديه ما يقوله عني. بالطبع كانت تعرف، أنه من الأفضل أن

تدعني أمضى ولا تسبب لي أية مشاكل مع أسرتي. أما الآن فإنني شغوفة
لرؤيتها ورؤية مولودها الجديد. أريد أن أرى ما يمكن أن يعمل به الحب.

"هل تعتقد أنه يمكنني أن أزورهما؟ سألت مجدي بمجرد أن انتهى من
قصته.

"إنني أعرف أن ليلي تحب أن تراك. هل ترغبين في أن أصحبك معي
في زيارة لهما؟"

"هل ستفعل هذا حقاً؟"

"نعم، سأفعل إذا أردت ذلك". وضع يده على يدي. كنت أعلم أن
العيون تراقبنا، لذلك سحبت يدي وابتسمت له.

"أنت ممتاز جداً يا مجدي".

"لست ممتازاً بدرجة كافية يا إيمان". أعرف أنه كان يريد أن يقول كثيراً
لكن كان عندي محاضرة أخرى.

"أفضل أن أدخل المحاضرة. شكراً من أجل الغداء". نهضت لأذهب
إلى المحاضرة.

متى أراك ثانية؟"، سألني ناظراً إلى وجهي.

"سوف أراك داخل المحاضرة".

"كلا، أعني أن أراك.....".

"آه .."، قلت في استغراب: "لدي وقت فراغ غداً من الساعة الواحدة حتى الثالثة".

"هذا عظيم جداً"، أجابني: "سوف يكون لدي وقت من الساعة الواحدة والنصف. أقابلك هنا".

"الآن إلى اللقاء". ثم رحلت قبل أن أسمع رده.

الفصل الثاني والعشرون

لم أعرف ما هو شعوري في البداية مع مجدي مرة أخرى، لكنني كنت شغوفة لأرى كيف كانت ليلي تعيش. كيف كانت سعيدة وهي لم تفعل شيئاً وتعيش على لا شيء؟ لقد افترقت صداقتها. كان العالمان الماضيان أكثر الأوقات التي شعرت بالوحدة فيها طوال حياتي. الآن لدي على الأقل فرصة لرؤيتها مرة أخرى.

"هل تسكن ليلي بعيداً؟"، سألته بعد أن تقابلنا مباشرة.

"إنها قريبة جداً". أجابني مجدي ولم يحاول أن يظهر خيبة أمله في الاهتمام بليلى أكثر منه.

"إنني أعرف أن أسئلتني كثيرة، يا مجدي"، بدأت حديثي: "هل يمكنك أن تأخذني لأراها؟" لقد أحضرت هدية صغيرة لطفلها.

أنت تعلمين أنني سأذهب بك إلى أي مكان ترغبينه يا إيمان"، أجابني برقة واحترام: "هيا بنا".

لقد كان كما قال، إنها مسافة قصيرة ثم ذهبنا إلى منزل عوض ويلي، أو بمعنى أصح حجرتها. لقد شعرت بالحزن والأسى لحال ليلي ولم أستطع أن أمنع نفسي عن ذلك بعد أن خرجنا من السيارة واتجهنا في شارع مملوء بالحفر والقمامة حتى وصلنا إلى المنزل. قام مجدي بدق الجرس، وفتحت لنا سيدة عجوز قائلة: "مرحباً، يا مجدي"، قالت بابتسامة: "كيف حالك؟ تفضل بالدخول".

"مساء الخير، يا أم بسام"، أجابها مجدي: "كيف تبدو صحتك الآن؟".

"إنني بخير، الحمد لله".

"أم بسام، هذه الأنسة إيمان، إنها صديقة ليلي".

"مرحباً"، قالت أم بسام وهي تمسك بيدي وتقبلني في خدي الأيمن والأيسر: "ليلي في حجرتها ستكون سعيدة عندما تراك". تحركت إلى الخلف بخفة وسمحت لمجدي أن يأخذ طريقه إلى حجرة ليلي وعوض. ثم طرق الباب.

عندما فتحت ليلي الباب ورأتني، أنفتح فمها بالكامل من المفاجأة. "إيمان، ياه، إيمان"، صرخت من المفاجأة: "إنني سعيدة جداً أن أراك! تقضلي، تقضلي".

"لماذا لم تخبرني با مجدي؟"

دخلنا الحجرة وأنا أحتضنها بين ذراعي وأقبلها في خديها كما نفعل مع أي شخص يكون بعيداً عنا منذ زمن طويل. وبدأت تتساقط وتتهمر الدموع على خدودنا.

"ليلي، إنني سعيدة جداً لرؤيتك. كيف حالك؟".

"إنني سعيدة جداً، يا إيمان. لا يمكن أن تتخيلي. ورؤيتي لك اليوم أضافت الكثير إلى فرحي".

كانت تبتمس ابتسامة عريضة وهي تمسك بيدي ونحن جلوس على الوسائد الموضوعة على الأرض: "دعيني أرى طفلك، قلت لها محاولة ألا

أعير انتباه لحالتها الفقيرة. لقد ذهبنا إلى أحد الأركان في الحجرة، ثم سحبت الغطاء من فوق طفلها النائم . كان جميلاً جداً. "إنه شبه عوض"، هذا ما قلته.

"هذا ما يقوله كل شخص"، أجابت ليلى بسعادة: "إنه لم يبد مثل أي شخص لكنه شخص أنيق". ثم تذكرت أن مجدي كان واقفاً بالحجرة. "آسفة يا مجدي، إذ لم أرحب بك بطريقة خاصة. كيف حالك؟".

"أنا بخير والحمد لله. هل عوض في عمله؟".

"نعم سوف يحزن عندما يأتي ويعرف أنك كنت في زيارة لنا ولم يقابلك. إنه يفتقدك كثيراً. إنه يرجع دائماً الساعة السابعة والنصف مساءً".

"إنها فترة عمل طويلة"، قال مجدي.

"نعم، لكنه يجب أن يعمل لأن ذلك يساعده على الحصول على مبلغ أفضل".

"إنني سعيد جداً من أجلكما"، أجاب مجدي.

"تفضلاً بالجلوس"، قالت ليلى فجأة: "أريد أن أسمع كل شيء يحدث في حياتكما".

ليس لدينا الكثير لنقوله لك يا ليلى، لأن العامين الماضيين مضيا في الدراسة"، لقد أخبرتها بأنني سمعت عن زواجهما بعد بداية الدراسة الجامعية بعدة أسابيع، لكنني لم أعرف أين تعيشين إلى أن تقابلت مع مجدي مرة أخرى".

"وكيف تقابلت مع مجدي؟"، سألتني بابتسامة.

"هل تصدقين أنها طالبة في معمل الكمبيوتر الذي أعمل به؟"، أجاب مجدي نيابة عني.

"هذا لا يُصدق"، قالت ليلى: "لقد جمعكما الله معاً ثانية".

حاولت ألا أرد على هذه العبارة، ما زلت غير متأكدة من كيف يستطيع الله أن يرتب كل حياتي بالكامل دون أن يهتم بحب حياتي وحاولت أن أغير مجرى الحديث: "هل أنت سعيدة، يا ليلى؟".

"يا إيمان إنني أعرف أنه من الصعب عليك أن تصدقي أنني سعيدة في مثل هذا المكان، لكنني سعيدة. إن الله عظيم جداً فهو يعطينا كل ما نحتاج إليه. ليس لدينا الكثير، لكن تعلمنا ألا نحتاج الكثير. في الواقع، كنت أعتقد أننا نستطيع أن نستأجر مكاناً أكبر من هذا، لكن لسنا في عجلة لذلك. إن أم بسام إنسانة رائعة حقاً معنا. محب بصحة جيدة ويكبر، وهذا أهم شيء. لكن بعد ذلك سنحتاج له حجرة مع الأطفال الآخرين إخوته إن شاء الله".

"لم أعرف في الواقع كيف أفهم ما أسمع، لذلك سألتها سؤالاً: "ماذا عن أسرتك، يا ليلى؟" هل ما زلت تقابلين والديك وأخوتك؟".

"استغرق هذا الموضوع عاماً ونصف العام، لكن أُمي لم تستطع ألا ترى حفيدها. لقد بدأ الموضوع بإرسال هدية مع أختي، لكن أخيراً جاءت بنفسها. بالطبع كرهت أن تراني أعيش في مثل هذا المكان، لكنها عندما وجدتني سعيدة بالفعل، أعتقد أنها شعرت بالراحة إلى حدٍ ما. لقد أرادت

هي وأبي أن يعطيني بعض من الأموال حتى نأخذ مكاناً أفضل من ذلك، لكننا - أنا وعوض - رفضنا ذلك. لقد قررنا أن نفعل هذا على حسابنا. مازلت لا أذهب إلى منزل أسرتي كثيراً. لأن المشوار بعيد جداً وهذا سبب من بين الأسباب، وثانياً لا أريد أن أنفق أموالنا وكذلك لا أريد أن أذهب إلى هناك وأسمح لهم بالتدخل بيني وبين عوض".

"إنك مذهلة جداً، يا ليلي"، هذا كل ما أستطيع قوله.

"لماذا تقولين هذا، يا إيمان؟".

"لأنكما تعلان كل شيء بأنفسكما وتسعدان بذلك"، ثم تذكرت الهدية التي أحضرتها معي للطفل وكنت أضعها في حقيبتي. لقد سحبتها من الحقيبة وأعطيتها ليلي: "إنه مجرد شيء ما بسيط لمحِب. أتمنى أن تعجبك".

"أوه يا إيمان"، قالت ليلي بعد أن أحتضنتني وأخذت الهدية: "لا يجب أن تقلي هكذا ثانية. أنت رائعة جداً".

"نعم، لقد مضى عامان، كيف أظَلُّ رائعة بالنسبة لك؟".

"كان من الصعب أن أتصل بك"، قالت ليلي.

"كان من الصعب معرفة أين تعيشين وكيف تعيشين"، أجبتها.

وفتحت الهدية واحتضنتني مرة أخرى وتعجبت لرؤية الثوب الذي اشتريته لابنها. لم أشعر بارتياح أو لم أتأكد عما سنتحدث فيه بعد ذلك. الآن يا ليلي أصبحت زوجة وأم. لم يكن هناك أسرار أو أشياء نحكيها

لبعضنا كما كنا في مرحلة العذارى. لقد غيرت الحياة كلينا. لقد ازدادت نمواً وأصبحت مشاعرك مشاعر أمومة، أما أنا فأصبحت باردة في مشاعري وأناانية، ونظرت إلى ساعتى.

"أعتقد أنه حان الآن وقت عودتنا إلى الجامعة، يا مجدى، هل هذا يناسبك؟".

"من فضلك لا تقولى إنه يجب أن ترحلى بالفعل الآن"، صرخت ليلى: "لم أقدم لكما شيئاً تشربانه، لا ترحلى الآن".

"لدى محاضرة أخرى يا ليلى. سوف نجلس مدة أطول المرة القادمة، أعدك بذلك".

"رغم أنني أعرف أن هذه مجرد كلمات جوفاء".

"سوف أتق معك على ذلك يا إيمان. مجدى، لابد أن نتأكد من أنك سوف تحضرها مرة أخرى". وقفنا لنغادر المكان. نظرت مرة أخرى إلى عيني ليلى لأرى إن كانت تعبر حقاً عن السعادة التي تحكي عنها أم لا. لم تخف عيناها أي شيء. لقد كانت سعيدة بالرغم من كونها زوجة وأم فقيرة. لم أستطع أبداً أن أمتنع عن التفكير فيها. لقد احتضنتها بشدة وكنت أعلم أنه ربما لن أقابلها ثانية.

بينما كنا عائدين إلى حرم الجامعة، سألتني مجدى: "هل أنت بخير يا إيمان؟".

"لا أعرف كيف أنا". أجبت به بأمانة: "أعتقد أنني لم أتوقع أبداً أن أجد ليلى سعيدة وهي تعيش في مثل هذه الحالة".

هل هذا بغيض إلى هذا الحد؟".

"بالنسبة لي".

الناس تختار حياتها بنفسها يا إيمان. يجب أن نقبل هذه الاختلافات".

"أعلم هذا، أعلمه جيداً".

"ترك مجدي سيارته وأبطل محركها لقد استدرت حتى أفتح باب السيارة لكنه وصل إلى يدي وهي على مقبض الباب وقال: "يا إيمان، إنني أحتاج إلى وقت أكون فيه معك بمفردنا".

"لا أستطيع الآن يا مجدي، لدي محاضرة الآن".

"أعلم أنه ليس الآن، لكن متى؟".

"لا أريد أن تكون نهايتي مثل ليلي"، وخرجت قبل أن أعرف ما كنت أقوله.

هل تعتقدين أنني سأجعلك تعيشين كما تعيش ليلي؟".
"لا أعرف فيما تفكر يا مجدي، لكن أعرف أن التفكير في احتمال ذلك يرعبني حتى الموت".

"من فضلك يا إيمان"، قال وهو يأخذ وجهي بين يديه: "فقط اتركيني أحبك مرة أخرى. دعيني أكون معك. أنا لا أطلب منك أكثر من ذلك. لن أدفعك إلى شيء لست في استعداد لأن تفعلينه".

"أنت على حق يا مجدي، لست مستعدة. هل يمكنك أن تتعامل معي على هذا المبدأ، سوف أبدأ مرة أخرى معك. لابد أن تدرك أننا - حتى الآن - لا شيء أكثر مما كنا عليه في موناستير".

"كانت الحياة جميلة في موناستير"، قال مجدي.

"نعم. لدي وقت فراغ غداً من الحادية عشرة حتى الثانية"، واتكأت عليه وقبلته برقة ثم خرجت مسرعة من السيارة متجهة إلى مكان المحاضرة.

الفصل الثالث والعشرون

لم يكن عندي فكرة عما سنفعله خلال الساعات الثلاثة التي سأقضيها معه غداً. ربما كنت أتمنى أن نجلس سوياً في الكافتريا ونتكلم معاً. لقد كنت في انتظار مجدي هناك الساعة الحادية عشرة. وبينما كنت أفكر في سبب استمراريته في العلاقة معي. كيف لا يزال يحبني، في حين أنني أوضح له أنني لم أكن مهتمة بالزواج؟ لكنه كان مصراً على ذلك. ظهر مجدي متأخراً خمس دقائق.

"أنا آسف جداً لأنني تأخرت"، بدأ الحديث هكذا: "أتمنى ألا تكوني قد انتظرت طويلاً".

"لقد وصلت إلى هنا حالياً"، أجبته.

"تعال"، قال لي: "لدي شيء ما يجب أن أعلنه لك".

"أين سنذهب؟".

"إلى مكاني الخاص"، كان إجابته غامضة. ذهبنا إلى السيارة وركبنا وقاد مجدي لمسافة قصيرة من حرم الجامعة إلى عمارة سكنية.

"ما هذا؟"، سألته ونحن نخرج من السيارة، وبدأ يقودني إلى الدور العلوي.

"هذه شقتي".

"لديك شقتك الخاصة؟"، سألته في دهشة.

"لقد كنت أوفر بعض المال حتى أعيش في شقة خاصة بي. ليست غالية، لكنها على الأقل مستقلة وقريبة من عملي".

بينما كان يفتح الباب ويطلب مني أن أرى الشقة، سألته: "مجدي ماذا يقول الجيران حينما يرونك تصطحب معك فتاة إلى شقتك؟".

"معظم الناس في هذا المبنى في أعمالهم الآن"، أجابني مجدي: "بالإضافة إلى أنني في الحقيقة لا أبالي بما يقوله الناس أو يفكرون فيه. هذه حياتي وهذا منزلي". لقد أغلق الباب وجذبني إليه، ثم قبلني بحرارة. وبمجرد أن تركني، قال: "كنت أنتظر أن أفعل هذا منذ الأمس. آسف جداً، لأنني لم أستطع أن أمنع نفسي من ذلك".

"لا بأس"، قلت وأنا ألتقط أنفاسي: "لقد التقت بعجالة لأنظر في الشقة، محاولة أن أبطئ ولا أعجل ما سيأتي. حقاً، كنت مذهولة بما رأيته. لقد كانت مدهونة ونظيفة، وبها أثاث بسيط. لقد كانت بالفعل نظيفة برغم أنني أشك أنه فعل ذلك من أجلي. كان يوجد قليل من الصور على الحائط. وقلت له: "إنني مندهشة يا مجدي"، قلت له بإخلاص: "إنها شقة لطيفة جداً".

"إنني سعيد لأنها أعجبتك"، قال مبسماً. هيا تقدمي لترى باقي الشقة"، وأخذني من يدي وقام معي بجولة قصيرة جداً في الشقة منتهياً بحجرة النوم.

أستدرت حتى أعود إلى حجرة الجلوس عندما أخذ ذراعي وجذبني إليه.

"هل سنتسرع يا مجدي؟"

"ما الذي سنفعله ولم نفعله من قبل؟"، أجابني قائلاً الصدق: "أعتقد أننا تمادينا فيه؟".

"أعتقد أنك تحتاج إلى ما كنا نفعله في موناستير وليس أكثر من ذلك؟".

كنت أعرف أنه على حق. لقد اخترنا مرحلة اللعب معاً. الآن أصبحنا كباراً ونعرف ما نفعله. حاولت أن أقول لنفسي في تلك اللحظة إن السماح لنفسي بالاستمتاع جنسياً مرة أخرى لن يؤذ أحداً. لقد استمتعتنا ببعضنا دون أية مشاكل. وقد أحببت مجدي بالفعل ولم أقابل مثله خلال العامين السابقين. ما الذي يستوقفني الآن عن العودة إلى تلك العلاقة التي استمتعتنا بها؟

ربما يكون قد شعر أنني أفكر في هدفه، لذلك سمح لي بالتفكير. ثم وجدته يقترب مني ويقبلني من خدي وعنقي. "مجدي": قلت له: "لا أحد يجعلني أشعر بما تجعلني أنت أشعر به".

إذاً دعيني أجعلك تشعرين بذلك مرة أخرى".

"ما الذي يمكن أن أقوله؟". لقد أسلمت له نفسي، حتى أعيد تكرار النشوى الأولى التي عشتها معه في الأوقات الماضية. لكن هذه المرة ، لدينا سرير بالفعل! لقد كانت ساعتين رائعتين. بمجرد أنني كنت نائمة بجواره لأنال قسطاً من الراحة نظرت إلى ساعة الحائط. لم يتبق سوى 15

دقيقة على موعد المحاضرة التالية. لقد تهتدت وقلت: "من الأفضل أن نرحل يا مجدي. لابد أن أرجع إلى محاضرتي".

"لنتك تمكثين معي، يا إيمان"، توسل إلي: "لست مضطراً إلى الرجوع اليوم مطلقاً. ألا يمكننا أن نستمتع ببعضنا بقية وقتنا هذا، بلا إزعاج؟".

"حقاً، لا يجب أن تفوتني المحاضرة"، أجبته وأنا مترددة.

لقد جذبني إليه، وقال: "مجرد غياب مرة واحدة، هذا لن يؤثر عليك، من فضلك. ألم تستمتعي بوقتك معي؟".

"كلا، لا يمكن أن أقول هذا"، ثم قبلته بحرارة. لقد بدأت الحفلة مرة أخرى.

ثم نظرت بعد فترة أخرى إلى ساعة الحائط، كانت الساعة السادسة مساءً، فانسحبت ونزلت من فوق السرير في عجلة قائلة: "يا إلهي، مجدي إنها السادسة الآن. لابد أن أعود إلى البيت".

"أتمنى لو تستطيعين أن تقضي معي الليل كله"، قال هذا وهو حالم.

"مجدي استيقظ من خيالك، مازلت أعيش مع والدي! ولابد أن أفكر في شيء ما أقوله لهما سبباً لتأخيرتي. لننتحرك الآن!"

نهض مجدي مرغماً وارتدى ملابسه بينما أخذت حماماً بسرعة وحاول أن أستجمع نفسي وألملمها. لقد كنت تحت تأثير المتعة الجنسية. لقد أنقلبت حياتي رأساً على عقب.

بينما كان مجدي يقود سيارته ليوصلني إلى أقرب محطة أتوبيس، أعطاني بعض المال. "يا إيمان، يجب أن تأخذي تاكسي إلى البيت اليوم. ستصلي هناك أسرع وأكثر أماناً".

"لن أقبل أموالك، يا مجدي. يمكنني أن أذهب بالاتوبيس". وكنت أعرف رغم ذلك أن الأتوبيسات قد تكون مملوءة في ساعة الذروة.

"إيمان، لقد منحتني أعظم وقت في حياتي. أقل شيء يمكن أن أساعدك فيه هو أن تصلي إلى بيتك بسرعة. لماذا لا أقود السيارة لتوصيلك إلى منزلك؟"

"كلا يا مجدي، لا تفعل هذا، سوف آخذ المال هذه المرة فقط لأجل التاكسي، هل تسمعي؟".

"نعم يا إيمان، إنني أسمعك. متى سأراك ثانية. وأوقف السيارة في بقعة مناسبة حتى أقوم بتوديعه بطريقتنا الخاصة.

"سأراك غداً في المحاضرة، يا أستاذي العزيز!"، ابتسمت بينما كنت أخرج من السيارة وبدأت أبحث عن تاكسي.

الفصل الرابع والعشرون

كان والدي - كالعادة - متأخرين في الوصول إلى المنزل من عملهما لحسن حظي، فاستطعت الوصول إلى المنزل ومكثت في حجرتي قبل عودتهما. لم يشجعني أحداً منهما في هذه المرحلة من الحياة، على الزواج. كان التعليم أهم من الزواج، في نظرهما. إنه يقود إلى الحصول على وظيفة جيدة، وبالنسبة لهما، يؤدي إلى مستقبل أفضل. ولأنني كنت بالفعل أركز على دراستي خلال العامين الماضيين، فلم يفكر مرة أخرى في أنني أختلط بالشباب، لذلك استطعت أن أفلت وأنجو منهما بعلاقتي السرية مع مجدي. لقد بدأت العلاقة بأمور خطيرة واستمرت لمدة أكثر من عام.

لم أكن حريصة حتى لا تقل درجاتي، بل حتى أقضي وقتاً ما في شقته للدراسة بعد اللقاءات الجنسية. كنت أقضي كل دقيقة من وقت فراغي بين المحاضرات وحتى في عطلات نهاية الأسبوع في شقته. كان يذهب إلى الجامعة ثم يعود كما كنت أفعل وكنا نستمتع معاً بكل لحظة. تناولنا الوجبات معاً، وشاهدنا التلفزيون واستمتع كل منا بالآخر بكل طريق ممكنة. لقد كانت الأمور كما لو كنا متزوجين دون أن ننطق بأية كلمات أو نسمح للمشاعر أن تأتي في طريقنا.

لكن، عرفت أن مجدي كان يحبني حباً عميقاً، وقد ظهر هذا في كل شيء فعله وقاله، حتى دون أن ينطق بأية كلمة "حب". حاولت أن أتجاهل كل هذا واكتفيت بأن أحب نفسي. مع مرور كل لحظة، ويوم، و أسبوع وجدت نفسي بين أنياب هذه العاطفة التي تأكلني وتنهش لحمي وتتخر في

عظامي. حاولت التوقف عن هذه العلاقة، لكن لم أعرف أن أحقق ذلك دون أن أتسبب في أذى لمجدي.

ثم حدث شيء ما غير علاقتنا وحياتنا إلى الأبد. لقد اكتشفت إنني حامل منذ أكثر من شهر. وعرفت ما حدث دون إجراء اختبار حمل. لقد قمت بشراء جهاز اختبار حمل من الصيدلية وأخذته إلى شقة مجدي دون أن أفصح عن شكوكي لمجدي ولم أجعله يعرف أي شيء. لقد قررت ما يجب أن أفعله، لكن لابد من معرفة النتائج أولاً.

كان مجدي في عمله وكنت بمفردي في الشقة. فضلت أن أجري الاختبار في شقته بدلاً من بيتي. إنه لن يفحص القمامة كما تفعل أمي أحياناً. عندما كانت النتائج إيجابية جلست على السرير وبدأت أبكي وأصرخ. كيف حدث هذا؟ أرادت ليلي أطفالاً، لقد أرادت أن تتزوج من عوض، أما أنا فلم أرغب سوى في المتعة فقط؛ كنت أريد شخصاً يأخذني من حياتي البائسة.

يبدو أنني مكثت وقتاً طويلاً لأنني لم أشعر بمجدي هو يضع المفتاح ويفتح به ويدخل إلى حجرة النوم فوجدني أجلس على السرير ودموعي على خدودي.

"إيمان، ماذا حدث، هل أنت بخير؟ جلس بجانبني ووضعه ذراعه على أكتافي.

لقد وضعت شريط الاختبار تحت قدمي أماً في ألا يراه "أنا بخير، لقد قضيت يوماً سيئاً"، قلت هذا محاولة أن أجفف دموعي وأجلس مستقيمة.

"شخص ما من أسرتي قد مات".

"من".

"أحد أعمامي"، قلت له وكأن هذا كان صحيح.

"آسف جداً لما حدث". ثم أخرج منديلاً وبدأ يمسح وجهي وهو يقول:
"هل هناك ما يمكنني عمله لك؟"

"كلا، كلا، سأكون بخير. إنني قد حزنت عليه لبرهة. الآن كل شيء
على خير ما يرام". حاول مجدي أن يقنعني بأن أكل شيئاً، لكن لم تكن
لدي شهية. حاولت أن أغادر شقته بسرعة بقدر الإمكان.

"مجدي، أحتاج أن أغادر"، قلت له وأنا واقفة: "سوف تحتاجني عائلتي
لأكون معهم في البيت".

"بالطبع. هل تحبي أن أقوم بتوصيلك بالسيارة إلى مكان قريب؟".

"كلا، كلا، سوف استقل الأتوبيس، ربما أذهب مع أسرتي إلى الجنوب
لحضور الجنازة. ربما أتغيب لأيام قليلة. لذلك لا تقلق إن لم تجدني لفترة
قصيرة".

"وهو كذلك، لكن اتصلي بي قبل الذهاب".

"سوف أحاول، لكن لا أعدك. سأذهب الآن". وقبلته برقة في خده
وتركته واقفاً هناك. بالفعل خرجت جرياً إلى محطة الأتوبيس. كان عقلي
يتسابق مع أفكار كثيرة، ولم أستطع التركيز على ما كنت أفعله. لقد
احتجت العودة إلى منزلي والتفكير في طريقة أتعامل بها مع هذه الورطة.

كم كنت غبية جداً، سوف تجن أُمي عند سماعها هذا الخبر. لابد أن أخفي عنها هذا الأمر وعن مجدي وعن العالم كله. عندما وصلت إلى المنزل، دخلت حجرتي وأغلقت بابها. لقد بدأت أفكر في البحث عن حل للورطة. كان هذا كل تفكيري ولم يذهب إلى أن هناك مخلوقاً جديداً سوف يأتي إلى العالم من داخل جسدي. كنت فقط أفكر في طريقة الخلاص من هذا الكائن القادم. ربما أكون إنسانة متحجرة، لأن عملية الإجهاض كانت أمراً شائعاً في بلدنا. في هذا الزمن الحديث نادراً ما يكون للزوجين أكثر من طفلين. كان الإجهاض وسيلة شائعة من وسائل تحديد النسل ولم يكن أكثر من هذا. كان من الشائع أيضاً أن كثيراً من حالات الحمل خارج نطاق الزواج تنتهي بهذه الطريقة. الآن لست في حاجة سوى إلى أن أجد طبيباً يجري لي هذه العملية.

بالدخول إلى مكتب والدي، وجدت أجندة التليفونات، فبدأت أبحث عن تليفون أحد الأطباء. ولأن الوقت كان مبكراً ولم يكن أحد بالمنزل فقد أجريت اتصالات لعمل استفسارات ووجدت أحدهم، لكنه لن يكون متاحاً قبل أسبوعين، لذلك حجزت ميعاداً باسم مستعار. عندما فعلت هذا شعرت براحة كبيرة.

الآن أصبح علي أن أنتظر الأسبوعين القادمين.

كنت أعلم أن هذا أسهل في القول عن الفعل، عندما جاء الصباح التالي وجدت نفسي مريضة لقد فقدت شهيتي ولم أستطع أن أتصرف بصورة طبيعية في البيت. لكن كالعادة لم يلاحظ والدي أي شيء علي لعدم اهتمامهما بي. كل ما قالته أُمي مرة هو : "إيمان، لقد أصبحت نحيفة

جداً. لابد أن تأكلي أكثر يا حبيبة قلبي". شكرتها على اهتمامها بي وأخذت تقاحة إلى حجرتي، حيث تركتها دون أن ألمسها.

لأنني لم أستطع الذهاب إلى الطبيب في الحال، قررت على الأقل أن أكون في الجامعة. بعد أن حجزت الميعاد، أدركت أنه متناسب مع أجازة العام الجديد، لذلك لن تفوتني أية مواعيد دراسية. لكن، لابد أن أرى مجدي مرة أخرى. لم أعد في فصله، كما كنت العام الماضي، لكنه عرف جدولي ومكان محاضراتي. تمنيت سراً أن يعتقد بأنني مسافرة مع أسرتي وألا يأتي ليقابلني في محاضراتي، كما كانت عادته.

سارت الأمور أياماً قليلة، ثم توجهت إلى فصلي وتجنبنا الذهاب إلى منزله، لأنني لم أراه في الجامعة. لكن في نهاية الأسبوع الأول، رأيته مرة أخرى يقف على باب فصلي في انتظاري .

"مرحباً يا إيمان"، قال هذا وتقدم حتى يرحب بي: "كيف حالك؟ متى رجعت؟".

"الليلة الماضية فقط"، أجبته وأنا أكذب مرة أخرى.

"كيف حالك؟".

"إنني بخير. سوف أقابلك في خلال ساعتين؟".

"كلا يا مجدي، اليوم لن أستطيع. إنني في عملي الآن. أحتاج إلى أيام قليلة حتى أنتهي. هذا لن يضايقك. إليس كذلك؟"

"لقد افترضت، لكنني أفهم ظروفك"، أجابني برقة.

"لكن الأيام قليلة فقط، وهو كذلك؟ ثم لا بد من لقائك!".

"وهو كذلك، سوف أحاول أن أرجع إليك حالاً، من الأفضل أن أذهب إلى فصلي الآن". ركضت إلى الحجرة وجلست في مقعدي وأنا أتتهّد. لقد فزت بأجازة قصيرة منه. بالرغم من أنه كان من الصعب علي أن أكذب عليه، فقد كرهت أن أتسبب له في الأذى.

وبمجرد أن مر اليوم وراء الآخر شعرت أنني أتحسن. لم أرغب في عمل شيء آخر مع مجدي الآن، لكنني عرفت أنه لا يمكنني اجتنابه إلى الأبد. ما زال يقابلني في حرم الجامعة، لكنه لا يضغط علي للذهاب معه إلى شقته. بعد أسبوع أدرك أن هناك شيئاً ما.

"إيمان، ليتك تأتي إلى شقتي اليوم، إنني في حاجة إليك، من فضلك".

"أنت لست محتاجاً لي يا مجدي"، أجبته دون عاطفة: "لم أعد صالحة لك".

"كيف تقولين هذا؟ أنت تعرفين ماذا تعنين بالنسبة لي".

"لا أستطيع يا مجدي، لا أستطيع، إنني أحتاج مساحة من الوقت".

"ماذا حدث يا إيمان؟ كل شيء كان على خير ما يرام. ما الذي تغير؟".

"لا يمكن أن أخبرك الآن، يا مجدي، ليس هنا. سوف أتكلم معك فيما بعد، من فضلك، الآن يجب أن أدخل فصلي"، وتركته دون أن أسمع ما قاله بعد ذلك.

بينما بدأ الأسبوع الأخير من الدراسة قبل الإجازة القصيرة، بدأت أفكر أكثر في الميعاد الذي حجزته عند الطبيب. لم يكن لدي أية فكرة عما يحدث في عمليات الإجهاض. لم أعرف الآثار الجانبية لهذه العملية، ولا إن كنت سأحتاج إلى راحة بعدها. ظننت أنها عملية بسيطة أنهى بها كل متاعبي، ثم أواصل حياتي.

قررت أن أتكلم مع مجدي قبل العملية. لقد أخبرته بأنني سأقابله في ميعاد الغداء في شقته. وصلت بالفعل قبل أن يصل هو، ودخلت بالمفتاح الذي صنعه لي. بمجرد أن وصل إلى الباب، أخذني بين ذراعيه.

"إيمان، لا يمكن أن أخبرك كم افتقدتك الفترة الماضية".

"أعلم ذلك جيداً يا مجدي"، وحاولت أن أسحب نفسي إلى الخلف بعيداً عن أحضانه، وقلت له: "لن أتركك تجتاز بكل هذا. لا تستحق كل ما يحدث".

"إنني لا أعرف عما تتحدثين يا إيمان، لكنك تعرفين أنه من الممكن لنا أن نحل أية مشكلة".

"هذه مشكلة صعبة على الحل".

"لماذا، ما هو الشيء الرديء؟".

"اسمع وأنا سوف أخبرك". جلسنا سوياً وبدأت أتكلم إليه: مجدي، إنني حامل".

"ماذا؟".

"إنني حامل. يبدو إننا اجتزنا بفترة ارتباك وتشويش ولم نسيطر على أنفسنا، لذلك فإننا نواجه مشكلة".

"هذه ليست مشكلة يا إيمان"، قال على وجهه نظره جديدة: "إنه طفل".

"إنني لا أعتبره طفلاً الآن يا مجدي. بالنسبة لي، حتى الآن، هو شيء لا بد أن أتخلص منه. لا يمكن أن يكون لدي طفل ليدمر حياتي. لم يحن الوقت لهذا".

"كيف تقولين هذا، يا إيمان؟ أنظري إلى ليلي وطفلهما. إن الطفل جميل. إن لديها عائلة جميلة ورائعة".

"اسمعي يا مجدي"، قلت له وأنا أجلس مستقيمة وحاولت أن أكون حازمة: "ليلي وعوض لديهما عائلة جميلة ورائعة لأنهما كانا يريدان الأطفال. لقد أرادت ليلي أن تكون أمًا، أما أنا فلا أريد ذلك. أريد فقط أن انتهي من دراستي الجامعية وأريد أن أشق حياتي الخاصة. بالإضافة إلى أن والدي لن يكونا في نفس طيبة والدي ليلي. إن أمي سوف تقتلني حتماً!".

"إنك تعرفين أن هذا ليس حقيقياً يا إيمان. يمكن لنا أن نتكلم معهما، فأنا لي مركز مرموق الآن. أيضاً لدي عمل وشقة. لن تمنع أمك في ذلك بل ستكون سعيدة".

إنك لا تعرف أمي وعلى أي حال، ليس هذا المهم. إنني لا أريد هذا الجنين".

"لكن ماذا لو أنني أريده؟"، سأل مجدي وفي عينيه نظرة حزينة.

"الآن لحظة صدق. كان لابد أن أعبر عنها، وإلا فلن أخرج من حالتي هذه يا مجدي. هذا ليس اختيارك إنني أنا الحامل. كل حياتي تتعلق بهذا القرار الذي أتخذه بشأن هذا الجنين، وبالفعل حجزت ميعاد مع الطبيب لإجراء عملية إجهاض".

"ماذا؟ كيف يمكن أن تفعلي هذا بدون أن تخبريني؟".

"أسفة يا مجدي. هذه هي الطريقة التي من خلالها يأتي الحل. ليس هناك اختيار آخر أمامي".

"وماذا عني وعما أريده؟".

"أعتقد أن هذا يوضح لك سبب قلبي لك منذ فترة إنني لم أعد صالحة لك يا مجدي، من فضلك دعني أخرج من حياتك واتركني وشأني".

"ألا توجد طريقة أخرى أجعلك تغيرين بها رأيك يا إيمان؟ أليس عندك حب لي مطلقاً؟ ولا حب للجنين؟ ولا يوجد ما يمكننا عمله معاً من أجل هذا الجنين؟".

"من فضلك، توقف عن الكلام فأنا لا أريد سماع هذا. لا يمكنني أن أواصل مثل هذا بأي طريقة. لقد كنا نستمتع سوياً في الفترة الماضية، ولم يكن الأمر أكثر من متعة. يمكنك أن تبحث عن إنسانة أفضل مني، يا مجدي، لابد أن أذهب الآن". ووقفت لأخرج من الباب ومن حياته لكنه جذب ذراعي قائلاً: "إنني لا أفهمك يا إيمان. لا أصدق أنك دون مشاعر. لكنني لا أريدك أن تمكثي معي إن لم ترغب في ذلك أو إن لم تحبيني .

ليتك تعملين شيئاً واحداً وهو إذا غيرت رأيك، فسوف تجديني هنا في انتظارك".

لم أصدق أنه ما زال عطوفاً وطيباً معي بعد كل ما قلته وما فعلته. ثم استدرت وفتحت الباب وخرجت ثم نظرت خلفي إليه مرة أخرى وقلت: "إلى اللقاء يا مجدي. إنني آسفة". وأغلق الباب خلفي وفصل بيني وبينه وأصبحت في عالمي بمفردي.

الفصل الخامس والعشرون

بمجرد أن هبطت من سلم شقته وجدت الدموع تنهمر من عيني وتجري على خدودي. لماذا أبكي على شخص قلت له إنني لا أحبه؟ مسحت وجهي من الدموع وعدت إلى الجامعة. كان لا يزال لدي محاضرة قبل التوجه إلى المنزل. وشعرت أن معدتي مثل الحبل المعقود. سأكون سعيدة عندما ينتهي الأسبوع القادم.

كنت مسرورة جداً بانتهاء الأسبوع وأنه سيكون هناك يوم أنام فيه وأحصل على قدر من الراحة. رأيت مجدي مرة أخرى في ذلك الأسبوع لكن محاولته تجنبني كانت واضحة. بينما كنت في طريقي شعرت بالمهانة، لكنني أعترف بأنني أستحق أي تصرف سيء منه. لقد افتقدت أوقاتنا الجميلة معاً. لماذا كنت ظالمة جداً ومعاندة؟ لماذا لم أكن قادرة على حب شخص وجعله سعيداً؟ لقد شعرت وكأن قلبي مصنوع من الحديد الصلب. هل هذا ما صنعه الله في داخلي لأنني لم أكن متدينة؟ هل يوجد إله فعلاً؟ لم يكن لي إيمان بأي شخص على الإطلاق.

كنت أفكر في خلق عذر يسمح لي بالذهاب إلى الطبيب وأن يكون لدي الوقت لاسترداد صحتي بعد العملية. أخبرت أبي بأن صديقة لي في الجامعة قدمت لي دعوة لقضاء ليلة معها في منزلها وأعطيت أمي رقم تليفون خطأً واسماً وهمياً، وقلت لها: "يمكنك الاتصال بي عند الضرورة"، وكنت أعلم أنها إذا طلبتني لن يكون الرقم أو الاسم صحيحاً. لكن كان

علي أن أتصل بها في المساء حتى تطمئن علي أنني بخير وأني سأكون في المنزل في صباح اليوم التالي. كنت أتمنى أن تتجح هذه الخطة.

جلست في فراشي في الليلة التي سبقت العملية ووضعت يدي على معدتي. لقد بدأت بالفعل أزداد في الوزن وأحسست أن نبضات قلبي أصبحت أشد. لم يكن هناك شيء آخر يجعلني بالفعل أشعر بأنني حامل. بينما كنت أضع يدي على معدتي بدأت أفكر ماذا يوجد بداخل بطني. لقد تذكرت بذهني عيون طفل ليلي. بدأت أفكاري تقزعني لذلك نهضت من سريري وخرجت إلى حجرة المعيشة لمشاهدة التلفزيون وأرحت بالي من أفكاري الخاصة عن حياتي بصفة عامة. كانت أمي تجلس في الحجرة عندما دخلت وجلست.

"هل أنت بخير يا إيمان؟" سألتني دون أن تبعد عينيها عن شاشة التلفزيون. "إنني بخير يا أمي". لم تكن تعرف ما أمر به.

لقد كان ميعادي مع الطبيب الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً وقد وصلت قبل الميعاد بفترة قصيرة. جلست في حجرة باردة وباهته منتظرة ميعادي. لقد كنت خائفة بمفردتي. لماذا لم أحضر أحد ليرافقني في هذه الظروف؟ جاءت الممرضة وأخذتني معها إلى غرفة العمليات ومعها صنية عليها بعض الآلات الطبية، وأعطتني ثوباً لكي ارتديه بعد أن أخلع ملابستي ثم أمرتني بأن أنام على المنضدة وأعلنت لي بأن الطبيب سوف يأتي حالاً.

بالفعل أطعت أوامرها وقمت بتنفيذ تعليماتها وبخوف وضعت نفسي على السرير. لا أستطيع أن أصف ما حدث في حياتي خلال الساعات

القليلة التي تلت العملية. لم أشعر من قبل بمثل هذا الشعور. كان الشيء الوحيد الذي يجول بعقلي هو: "إنني قتلت شخصاً، إنني اغتلت حياة بريئة. لقد فقدت شيئاً كان الهدف منه جميلاً، إنني لا أستحق الحياة".

بعد العملية كنت متألّمة وأنزف بغزارة، لذلك لم أرغب في العودة إلى المنزل. لكن إلى أين سأذهب؟ ما زال معي بعض النقود، لذلك قررت أن أذهب إلى فندق لأقضي ليلتي هناك. كنت أعتقد أن الأمور ستتحسن في الصباح. أخذت تاكسي إلى فندق صغير ورخيص وحجزت حجرة. بمجرد أن دخلت الحجرة وأغلقت بابها خلفي سقط على الفراش أبكي بحرقة من عذاب الضمير. كنت أبكي وأبكي حتى الساعات الأولى من الصباح. جلست على فراشي وأنا أمسك رجلي بيدي وأترنح إلى الخلف والأمام في ألم وعذاب. اعتقد إنني نمت أخيراً لأنني استيقظت فوجدت الشمس تسطع وتملاً حجرتي. كنت لابسة ملابس وبنفس وضعي. نظرت في الساعة وإذا بها العاشرة صباحاً ، لكن لم يكن لدي أية رغبة في النهوض أو مغادرة الفندق. ذهبت إلى الحمام فأدركت أنني أنزف بغزارة. لقد أخذت دشاً على أمل أن أشعر بتحسن. كذلك غيرت ملابس وحاولت الجلوس لإعداد نفسي لمغادرة. لكن دون شرح وجدت موجة أخرى من الدموع بدأت تنهمر من عيني. ألقيت بنفسي على الفراش مرة أخرى وبدأت أصرخ ولم استطع السيطرة على نفسي.

كيف يمكنني الرجوع إلى المنزل في هذه الحالة؟ أخيراً قررت أن أتصل بالبيت لأخبرهم بأنني سوف أقضى يومين مع صديقتي. لقد دفعت نقوداً من أجل باقي المدة. ولحسن حظي عندما اتصلت بالمنزل كانت أمي في العمل فأخبرت فاطمة بالرسالة. سألتني هل أنا بخير أم لا. حاولت أن

أجيبها بطريقة طبيعية، لكنها شعرت بأن هناك شيئاً ما من صوتي. ثم وضعت سماعة الهاتف بسرعة بمجرد أن طلبت منها أن تبلغ بالرسالة.

الآن أصبح لدي وقت إضافي، فقررت أن أحضر شيئاً أكله. لكن وجدت نفسي غير راغبة في تناول أي أطعمة لكنني عرفت أنني ضعيفة ولا بد من التغذية بعد عملية الإجهاد حتى أسترد قوتي مرة أخرى. نسقت ملابسني وصدفت شعري بالفرشاة وغسلت وجهي قبل الخروج. ذهبت إلى محل بقالة بجوار الفندق واشترت خبزاً ومربى وبعض الأشياء الأخرى الصغيرة مثل الشبسي والبسكويت، تلك الأشياء التي تساعدني على اجتياز هذه المحنة. كان من الغريب أن تقيم فتاة غير متزوجة بفندق، لكن لحسن الحظ لم يسألوني عن عملي أو عن أية بيانات. كما قلت إنه كان فندقاً صغيراً، فإنني متأكدة بأنهم كانوا سعداء لوجودي معهم لأنني دفعت لهم المال، وكل ما يهمهم هو الحصول على الأموال.

وضعت علامة "ممنوع الإزعاج" على باب حجرتي ثم أغلقتها خلفي ثم سقط منهارة من التعب والإجهاد لقد جلست على كرسي. لم يكن بالغرفة تليفزيون، لذلك كل ما فعلته هو الجلوس والتفكير فيما فعلته. كانت ثلاثة أيام حزينة وكئيبة. شعرت بالاضطراب حيث بدأ جسدي يعلن أنني لم أعد حاملاً أما عواطفني فلم أكن أتحكم فيها. كنت مصدومة من الطريقة التي كنت أتصرف بها. لقد انهمرت الدموع من عيني لدرجة أنني طننت أنه لم يعد لدي أية كمية حتى ولو صغيرة من الدموع.

أخيراً، أجبرت نفسي على العودة إلى المنزل بالرغم من عدم شفائي جسدياً ولا عاطفياً. كما كنت متأكدة من أن والدي ربما يشكان في شيء

ما، لكن ليس هناك مكان آخر أذهب إليه. وعند دخولي البيت سمعت أمي صوت أقدامي فجاءت وخرجت لترحب بي: "أين كنت يا إيمان؟" بدأت تسألني. كنت مشغولة جداً عليك!".

"إنني بخير يا أمي"، أجبتها وأنا كلي ضعف حقيقي: "كنت مريضة".

"لماذا لم تتصلي بي؟ إن الرقم الذي أعطيتيه لي كان خطأ ولم يكن لدي أية فكرة عن مكانك".

"كيف تصرفتي؟ وكيف فعلت هذا؟".

"إنني آسفة يا أمي، لقد كنت مريضة جداً لدرجة أنني جلست في منزل صديقتي فقط. أعطتني أمها الدواء وطلبت مني أن أنال قسطاً من الراحة. هذا أول يوم لي أشعر بأنني أستطيع أن أرجع فيه إلى البيت. هل تأذني لي بالذهاب إلى فراشي الآن؟ إنني متعبة جداً".

"سوف استدعي الطبيب"، قالت لي واتجهت ناحية حجرة المعيشة.

"كلا يا أمي، ناديت عليها في يأس، سأكون بخير، لقد ذهبت إلى الطبيب منذ يومين، وأنا الآن أشعر بالتحسن".

"إذن، أريدك أن تمكثي بالفراش إلى أن أسمح لك بمغادرة سريرك عندما تتحسنين".

"نعم، يا أمي". استدرت وذهبت إلى حجرتي حيث جلست على السرير.

جاءت فاطمة لتراني وتساعدني. عندما رأيت حقيبتني، أخذتها لتفرغ منها ملابسني. لقد ألقيت بالفعل ملابسني التي تلوّثت بالدم في أول يوم بسبب النزيف. لكنها رأّت بالفعل كيس كبير من الحفاضات التي كنت استعملها بسبب النزيف. "هل أنت بخير، يا آنستي؟" سألتني واستدارت إلي وهي تحمل الكيس في يدها.

"فاطمة أغلقت الباب من فضلك"، طلبت منها بأسلوب لطيف؟ وقلت: "اقتربي مني".

اقتربت مني تنبعث من عينيها نظرات الحب والحزن والعذاب. إنني أعرف أنها كانت أكثر قلقاً علي من أبي وأمي.

"أرجوك يا فاطمة ألا تقولي شيئاً عن هذا الموضوع، أتعديني بذلك؟"، قلت لها متوسلة. "آنستي، تعرفين جيداً كم أهتم بك وأرعاك وأحبك، ولا أريدك أن تؤذي نفسك".

"أعلم ذلك جيداً، يا فاطمة، لكن هذا ما اضطررت إلى عمله. سأكون بخير خلال أيام قليلة. أهم شيء هو ألا تعرف أُمّي أي شيء. سوف تساعدني، أليس كذلك، يا فاطمة؟"

"أعلم أنني يجب ألا أخبر أحداً"، قالت وهي تقترب مني وأخرجت بيجامة وقالت لي: "ارتدي هذه وادخلي تحت فراشك. سوف أحضر لك بعض الحساء لتشربه".

"شكراً يا فاطمة"، قلت لها وأنا أمسك بيدها: "لم أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك".

"آنستي، عليك أن تستريحي فقط الآن". وانتهت من ترتيب ملابسي ووضع الحفاضات تحت سريري، لقد رأيتها وهي تخبئهم. عندما انتهت من كل شيء وضعت يدها فوق رأسي وغادرت الحجرة. كنت أعرف أنني محظوظة لوجود فاطمة في حياتي. وضعت رأسي على وسادتي وأغلقت عيني ونمت خلال دقائق.

الفصل السادس والعشرون

لم أتذكر كثيراً مما حدث بعد ذلك بأيام قليلة. لولا وجود فاطمة، لما كنت على قيد الحياة بالرغم من أننا لم نتكلم معاً كلمة واحدة، لكنها قد عرفت كل ما فعلته. لقد شعرت بمدى خوفها علي من عملية الإجهاض التي قمت بها، لكنها أكدت لي أنني سأتحسن في الأيام القادمة. بينما كانت تساعدني وتهتم بي حتى يتم شفائي الجسدي، لم تستطع عمل شيء يمكن أن يشفي مشاعري ولم تساعدني على شفاء نفسي.

لم يتكلم أحد معي عن الآثار العاطفية للإجهاض على المرأة. لقد ذهبت إلى العملية وأنا عمياء ولا أعرف أي شيء يترتب على ذلك في حياتي. حتى لو كنت قد أسترديت قوتي البدنية، فقد فقدت السيطرة على مشاعري. لقد رأيت فاطمة مرات كثيرة وأنا جالسة على أرضية حجرتي أبكي بمرارة. ولأنها أدركت أنني أعاني وأتألم، فقد تأكدت فاطمة من أنني كنت محمية من أذى أمي الأكثر خطراً. كلما كانت أمي في المنزل، كانت تأتي فاطمة إلى حجرتي لتتأكد أنني في فراشي مستريحة وفي حالة ذهنية سليمة. بدون فاطمة لما استطعت أن أنجح في إخفاء كل شيء عن والدي.

إنني واثقة أن فاطمة اعتقدت أنني لم أواجه أي شيء أسوأ من الإجهاض، لكن دخلت يوم ما إلى حجرتي ووجدتني أمسك ببدي شفرة حلاقة، وفقدت السيطرة على نفسها وصرخت. "إيمان ماذا تفعلين؟" لقد

ألقت بنفسها تجاهي وجذبت مني شفرة الحلاقة. لقد أخذتها منها ثانية ورفعتها عالياً

"اتركيني أموت، يا فاطمة، لا فائدة من الحياة. ليس هناك ضرورة لحياتي".

"كيف تقولين هذا يا إيمان؟ هناك الكثير الذي يجب أن تعيشي من أجله".

"اخبريني بشيء من هذا الذي تتكلمين عنه"، سألتها بنغمة كريمة.

"هناك تعليمك، وجمالك. أعلم أنك ستتزوجين قريباً وتعيشين أحسن حياة. من فضلك لا تفكري بالسوء في نفسك".

كيف أستطيع أن أمنع نفسي عن التفكير السيء في نفسي، يا فاطمة؟ لم أفعل شيئاً، سوى جلب الأذى. أمي تكرهني، والإنسان الذي كان يحبني قد كرهني، كما أنني قتلت طفلاً لم يكن لديه فرصة للحب أبداً". وخفضت يدي إلى أسفل ونظرت إلى شفرة الحلاقة.

"إيمان أعطيني هذه الشفرة"، قالت فاطمة بقوة جديدة في صوتها.

"يجب أن تتركيني بمفردي حتى أموت يا فاطمة".

"كلا، لن أتركك. إنك تعلمين أنك أحسن إنسانة في هذا المنزل. الله سيسامحك. إنه يعلم أنك لم تستطعي أن تمنعي هذا حتى لا تدخل في متاعب. أعطيني شفرة الحلاقة من فضلك". "الله!" نطقت الكلمة بكل

سخرية واستهزاء. "الله لا يهتم بحياتي أبداً. لم أر أي دليل على ذلك أبداً بأية طريقة".

لا تقولين مثل هذا، يا آنستي الجميلة. أنت تعلمين أن الله موجود. ربما تحتاجين فقط أن ترجعي إلى الصراط المستقيم".

"ما هو الصراط المستقيم؟"، سألتها بإخلاص.

"أنه الصراط والطريق الذي يعلمنا إياه الإسلام. الآن، أعطني هذه الشفرة من فضلك يا إيمان". ومدت فاطمة يدها إلي. ووضعت الشفرة في كف يدها وبدأت أصرخ مرة أخرى.

"إنني آسفة يا فاطمة لم أكن أحب أن أشاركك كل هذه الهموم".

"من كان أفضل مني ليشاركك كل هذا، إنني الإنسانية التي اهتمت بك طول حياتك". وبدأت فاطمة تمسح بيدها على شعري كما كانت تفعل حينما كنت طفلة.

"إنني آسفة يا فاطمة"، هذا كل ما استطعت أن أقوله لها وبدأت أهتر إلى الأمام وإلى الخلف، وبدأت الدموع تتدفق من عيني إلى وجهي.

فقد كل أمل ورجاء في المستقبل. كل أعمالي وحيالي الماكرة وخداعي لم تؤد سوى إلى عذاب نفسي. لقد قضيت الأيام القليلة التي تلت ذلك الحدث أتذكر كلمات فاطمة لي. ربما تكون مشاكلتي قد حدثت بسبب ابتعادي عن الدين. لو كنت مسلمة صالحة، لما حدث أي من هذه المشاكل. حقاً لم أعرف سوى القليل عن كيف أصبح مسلمة صالحة، لكنني قررت أن أبذل الجهد حتى أرى إن كان الله سيخفف من معاناتي.

بدأت بالصلاة بانتظام، كما يطلب منا ديننا. لقد بذلت جهداً شاقاً في الاستيقاظ مبكراً وأن أقوم بالصلاة خمس مرات كما هو مفروض، لكنني بسرعة اعتدت على هذا الروتين. لكن الشيء الوحيد الذي شعرت به هو أنه مجرد روتين. لقد رفعت صلواتي إلى الله، لكنني لم أشعر بأي شيء يحدث لي في المقابل. ثم بدأت أيضاً قراءة القرآن الكريم. لم أقرأ القرآن كاملاً أبداً، وكنت أتمنى بعد قراءته بالكامل أن أجد حلاً لكل مشاكلي. لقد تمنيت في قلبي أن يكون لكل جهودي في العمل الصالح مكافأتها.

استطعت أن أرجع إلى دراستي عند بداية الفصل الدراسي الجديد. بالرغم من أنني لم أزل أصارع عواطف ومشاغري، كنت أعتقد أن الرجوع إلى دراستي سوف يساعدني على التغلب على مشاكلي وعدم التفكير فيها. لم أكن قلقة حقاً بخصوص مجدي. إنني أعرف أنه تركني وأخرجني من حياته وهو غاضب جداً مني. لم أتوقع الحديث معه مرة أخرى.

مرت الأسابيع الأولى القليلة من الدراسة دون أية أحداث. درست بعض الأشياء والموضوعات الشيقة واستمتعت بتركيزي بالدراسة. لكن كان علي أن أجري بعض التغييرات، فبدلاً من قضاء وقت مع مجدي في شقته لا بد أبحث عن مكان أقضي فيه وقتي في الجامعة. لم أكن أعرف الحالة التي أصبح مجدي عليها من بعدي. قررت أن أحمل القرآن معي إلى الجامعة. وأثناء فترات راحتي كنت أقرأ فيه. هذا جعلني أبدو متديناً جداً. لقد ألّف حولي كثير من الطلبة والطالبات المتدينين والمتدينات، لكن كان من الصعب علي أن أنتمي إليهم. كانت طريقة حياتهم تختلف تماماً عن طريقة حياتي الخاصة. حاولت الابتعاد عنهم حيث حاول الكثيرون منهم أن يجبروني على ارتداء الحجاب.

"من المهم جداً على المرأة أن ترتدي الحجاب"، قالت لي إحدى الفتيات يوماً ما أثناء مواجهتي معها، فسألتهما بإخلاص: "لماذا؟".

"لأنه لا يظهر فقط التعبد لله، لكنه يحميها من نظرات وشهوات الرجل".

"هذا ليس صحيحاً"، قلت لها بدون ثقة: "في رأيي إن عبادتنا لله تظهر من خلال ما نفعله وما نقوله، ليس فقط في مجرد ارتداء ملابس معينة. بالإضافة إلى ذلك، ما هو الصالح في أن ترتدي الحجاب، ثم ترتدي الجينز الملصق على الجسد ونغمز بعيوننا ونحن نسير في الشارع؟ هذا الحجاب لا يحمي أحداً في هذه الحالة. الرجال سيجدون شيئاً يستمتعون به في المرأة. أنا لم أرتد حجاباً مطلقاً، ولم أدخل في أية مشاكل مع الرجال نهائياً".

أظن أن رأيي لم يُعجب الفتاة، لأنها نظرت إلي باحتقار كامل وقالت: "الله سوف يحاسبك". ثم رحلت عني.

أعافتني المحادثات المشابهة لهذه المحادثة عن أن أكون مسلمة متدينة. كذلك كان لدي بعض المشاكل في فهم القرآن. كلما كنت أقرأ كثيراً، كنت أصبح أكثر تشوشاً وارتباكاً. كانت لدي الكلمات الجميلة، لكنها كانت غامضة جداً. كنت محتاجة إلى شيء ما يخاطبني ببساطة ووضوح أكثر من ذلك. هل حقاً كان الله أصعب من أن نفهمه؟ واصلت قراءة القرآن، لكن دون الحماسة الأولى.

الفصل السابع والعشرون

في شهر مارس، بينما كنت أَسْتَقِل الأتوبيس رأيت فتاة أخرى تقرأ كتاباً صغيراً، فاعتقدت أنها تقرأ القرآن أثناء وقت فراغها مثلي. تحركت نحو مقعدها، حيث كان يوجد بجوارها مساحة تصلح للجلوس فيها: "هل تمانعي في أن أجلس هنا؟"، سألتها.

"كلا تفضلي" أجابت بابتسامة وعادت إلى كتابها. أدركت أخيراً أنها لا تقرأ القرآن، بل كتاباً آخر لم أعرفه، فقلت لها: "ماذا تقرأين؟".

"الكتاب المقدس".

"الكتاب المقدس؟".

"نعم".

"حقاً؟".

"نعم"، أجابت مرة أخرى. بعد ذلك نظرت إلى وسألتني، هل تريد أن تنتظري إليه؟".

لم أر كتاباً مقدساً من قبل، لكنني كنت أعرف أنه كتاب المسيحيين. ماذا تفعل الفتاة التونسية بقراءته؟

"نعم، من فضلك"، قلت لها. وبينما كانت تقدم الكتاب لي سألتها: "لماذا تقرأين هذا الكتاب؟".

"لأنني واحدة من أتباع يسوع، وهذه هي تعاليمه".

"ياه، إنه حقاً شيء مذهل. لكنك فتاة تونسية، أليس كذلك؟".

"نعم".

"لكن كيف تكونين مسيحية؟"، حقاً كنت فضولية في تلك اللحظة.

"أي شخص يمكن أن يصير مسيحياً"، قالت لي بعطف: "هل تريد أن تعرفي كيف يكون ذلك؟".

"كلا"، قلت لها بصراحة. إنني أقرأ القرآن الآن. أعتقد أنني لست جاهزة لقراءة الكتاب المقدس".

كنت أتجول بعيني في كتابها، وبدأت أنظر إلى الكلمات الموجودة بالصفحة التي كانت أمام عيني. جملة واحدة قد لغت نظري فقرأتها: "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِنُحِبِّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ"، وأعطيتها الكتاب بسرعة.

"محبة"، قلت وصوتي كله قسوة: "إنها أسوء عاطفة في الكون".

"هل تقولين هذا لأن الحب يجرح أم لأنك جرحتي بسبب قصة حب؟".
بينما كانت تقول هذه الكلمات شعرت بألم كثير في قلبي، كما لو كان سهم قد دخل إلى قلبي وشقه نصفين. كيف عرفت أن الحب يؤذي؟.

"قد لا يمكنك أن تفهمي". لم أجرو أن أنظر إلى عينيها، لأنني شعرت بأن الدموع بدأت تنزل من عيني.

"إحدى الآيات المفضلة لي في كلام الله هي هذه: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أَرْيَحُكُمْ. اِخْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَجَمْلِي خَفِيفٌ". عليك أن تعلمي أنك لم تجلسي بجواري بالصدفة. إذا كنت تريد أن تعرفي ما يريد الله من حياتك، فساكني سعيدة أن أتكلم معك. اسمي بسمة، وعادة ما أقضي أوقات راحتي في الكافتريا في جامعة منيوبيا. يمكنك أن تجديني هناك".

"سوف أفكر في هذا، وأنا اسمي إيمان".

وقالت لي برقة: "إيمان، إنه اسم لطيف. لابد أن أنزل هنا. أتمنى أن أراك ثانية. إلى اللقاء". نهضت وتحركت برقة من أمامي. نظرت إليها وهي تسير للأمام وتهبط من الأتوبيس. ثم انتقلت وتحركت تجاه النافذة حتى أتمكن من رؤية وجهها جيداً. حاولت أن أتذكر وجهها، لكي أجدها في الجامعة. عدت إلى المنزل في تلك الليلة وجلست في فراشي وكل كتبي من حولي. كان من المفروض أن استذكر دروسي، لكن لم أستطع إخراج هذه الكلمات من ذهني: "الله محبة". إذا كان الله محبة فلماذا لا يخبرني القرآن بذلك؟ ثم الآية التي قالتها لي بسمة بوضوح: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقلين الأحمال وأنا أريحكم". كانت آية جميلة وتبعث على الطمأنينة والسكينة. تساءلت عن الشخص الذي قال هذه الكلمات. قررت مقابلة هذه الفتاة مرة أخرى. بسمة، هذا كان اسمها. لكنها مسيحية تونسية؟ كيف يمكن هذا؟.

قررت أن أبحث عنها، لكن ليس لكي أصبح مسيحية، بل لكي أدرس ما يؤمن به المسيحيون. كان جيداً لي أن أدرس هذا، خاصة في تلك الفترة والمرحلة في حياتي. حاولت أن أركز كل ذهني في كتيبي.

لقد استغرقت عملية البحث عن بسمه عدة أيام. لم تكن أبداً في الكافتريا أثناء تواجدي هناك. أخيراً، وجدتتها ذات يوم أثناء تناولتي مشروباً بعد الانتهاء من محاضراتي. كانت تجلس بمفردها على منضدة. اتجهت إليها قائلة: "مرحباً، يا بسمه، هل تتذكريني؟".

نظرت إلي ثم جاءتني ابتسامة عريضة عبر وجهها: "ياه، نعم، من الأتوبيس، أليس كذلك؟ لكن قد نسيت اسمك".

"إيمان".

"نعم هذا صحيح. اجلسي من فضلك. كيف حالك اليوم؟".

"إنني بخير. ماذا تدرسين؟".

"أنا طالبة في السنة الرابعة، قسم الجغرافيا"، أجابتي: "ماذا عنك؟".

"إنني طالبة أيضاً بالسنة الرابعة لكن قسم علوم الحاسب الآلي. سأكون سعيدة عندما أتم هذه الدراسة".

"ما هي خطتك؟"، سألتني بسمه.

كانت هذه أول مرة منذ زمن طويل أفكر فيها في خططي. الآن لا أعرف الإجابة عن هذا السؤال، فقلت: "حقيقة، لا أعرف. لقد استغرقت وقتاً طويلاً حتى أصل إلى هذه النقطة. ولم أفكر في الخطوة التالية حتى

الآن. أردت فقط أن أعمل بعد تخرجي. إنني أحب أن أخرج من البيت وهذا يتطلب أن يكون لي زوج".

"ليس من المحبب أن تكون الأمور صعبة في المنزل. لديّ نفس المشكلة، لكن الرب ساعدني في حلها".

"أعتقد أن الرب ليس مهتماً ببيتي ولا بحياتي".

"كيف تقولين هذا؟"، قالت باهتمام حقيقي: "لقد خلقك الله. إنه يرى أن حياتك ثمينة عنده".

عندما قالت هذه الكلمات الأخيرة شعرت بالعاطفية وهي تتدفق لدرجة أن دموعي بدأت تتساقط مرة أخرى، لقد أسرعت وأخذت حقيبتني حتى أخرج منها بعض المناديل الورقية لأجفف بها دموعي. بينما كنت أمسح دموعي، قالت لي بسملة: "لماذا لا نتمشى بالخارج، حيث نكون بمفردنا. إن الهواء الطلق سوف يجعلك تشعرين بأنك على خير ما يرام".

لا أعرف لماذا أطعتها، لكنني نهضت من مكاني وتبعتها. لقد جذبني إليها سلوكها الهادئ، بدأنا نسير في الحديقة وجلسنا على مقعد تحت الأشجار. كان الجو ربيعياً رائعاً وكانت الشمس تشرق. جلست بسملة بهدوء للحظة ثم بدأت تتكلم معي.

"إيمان، يمكنني أن أقول لك إنك مجروحة، ومهما سببه هذا الجرح لك ، يجب أن تعرفي أن الله يحبك ويريد أن يمنحك سلاماً وراحة. لا يمكنني أن أخبرك كيف رأني من بين المشاكل".

"لا أعتقد أنني أريده أن يراني فيما كنت أفعله وما فعلته. ليس هناك ما يجعل الله يحبني، حتى ولو كان من الممكن فلن يحبني".

"إيمان، الله محبة، ليس هناك ما يستطيع أن يمنع وصول محبة الله لك في هذا العالم. هذا السبب الذي من أجله أرسل يسوع المسيح".

"لماذا أرسل يسوع؟ كل ما أعرفه عن يسوع أو عيسى، إنه كان نبي الله. لقد قرأت هذا كثيراً في القرآن. وعرفت أيضاً أنه يختلف عن الأنبياء الآخرين، لكنني لم أعرف حقاً السبب في اختلافه هذا".

"كل ما فعلتيه أو فكرت فيه قد حدث من قبل مع غيرك، ثقي بي"، قالت بسمه: "لقد حدث قبل ذلك فعلاً. جاءت الخطية إلى العالم منذ أن عصى كل من آدم وحواء الله حينما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر. لقد أصبحت الأمور سيئة جداً لدرجة أن الله أراد أن يدمر البشرية كلها من خلال الطوفان، لكنه وجد شخصاً باراً، هو نوح، لذلك أنقذه، مع أسرته. عبر التاريخ نرى الله يدعو الرجال والنساء إلى اتباعه. إنه يحاول أن يخضع له كل البشر، لكن بالرغم من كل المعجزات التي رآها بنو إسرائيل من يد الله، تبعوا آلهة غريبة وفعلوا الشر".

جلست هادئة بينما كانت مستمرة في الحديث. "بالرغم من أن الله أعطى الناس قوانين حتى يتبعوها، لم يستطيعوا تغيير الطبيعة الخاطئة والإمبراطوريات الفاسدة على الأرض. لقد أرسل الله مخرجاً وحيداً للبشر - هذا الطريق الوحيد هو ابنه. لقد أرسله إلى الأرض كطفل ليعيش من البداية وحتى النهاية كنموذج عن كيف ينبغي أن يعيش الناس ويتبعون الله. لكن أرسله أيضاً كإنسان له هدف واحد وهو أن يموت. كان هناك

ثمن لا بد أن يُدفع حتى يتخلص العالم من الخطية، وكان يسوع هو الثمن. لقد مات على الصليب من أجل خطايي وخطاياك. هذه التضحية صنعت شيئاً مختلف، لكن عندما تؤمنين به فقط. مهما فعلت، أي خطية ترتكبينها سوف يغفرها لك الله، ليس لأنك تستحقين الغفران، لكن لأنك فقط قد تقبلين الثمن الذي دفعه المسيح.

وما زالت الخطية سائدة في العالم ومسيطرة عليه، لكن كل من يتبع المسيح ويتخذ الطريق الوحيد إلى الله لا يسمح للخطية أن تتحكم وتسود على حياته. يختلف أتباع المسيح عن باقي الناس، لأنهم يمتلكون القوة التي تجعلهم يعيشون حياة تسعد الله. كل ما بداخلك، يا إيمان، ليس جديداً على الله. إنه يرى كل شيء. وبسبب هذا، فقد منحك مخرجاً من حياتك البائسة. إنه يعلم أنك أسيرة لما فعلته. إنه يعرف أنك لا تستطيعين تحسين ما أتلفه عملك، لذلك فهو يستطيع عمل كل ما لا تستطيعين أنت أن تفعليه. كل هذا يتم من خلال اتباع يسوع".

بينما كنت أستمع إلى بسمه، جلست في رهبة. وبدأت أتأمل كيف تتدفق الكلمات من فمها بمثل هذه السهولة، ولها سلطة قوة في الإقناع والتلامس الشديد مع أي قلب مهما كان حجرياً. هل حقاً كل هذا ممكن؟ لم تقاطع أفكاري واستطعت التحدث مرة أخرى: "بسمه، إذا كان كل ما تقولينه صحيحاً وحقيقياً، فإنني أحاول أن أكون إنسانة صالحة. لقد عدت إلى قراءة القرآن والصلاة، لكن لا يزال بداخلي جوع شديد إلى السلام ولم أشعر بالشبع. بسمه إنني لم أخبر أي شخص بهذا لكنني لا أعرف لماذا أقول هذا لك أنت، لكنني قمت بإجراء عملية أجهاض". وبدأت الدموع مرة أخرى: "لقد أحبني إنسان رائع، وأنا سمحت له بذلك، إلى أن أصبحت

حاملًا. ثم تركته وتخلصت من الجنين. الآن فقدت كل من حبيبي وأيضاً جنيني وطفلي". وضعت بسمه ذراعها حول أكتافي بينما كنت أنتحب وقلت: "ألم تفهمي؟ ألم تفهمي؟ كيف يكون في داخلي أي سلام".

ساد الصمت لفترة طويلة، وبينما كنت أبكي وأصرخ كانت بسمه تحتضنني بين ذراعيها. فجأة، بدأت بسمه ترفع صلاة إلى الله. لم تكن هذه الصلاة مثل الصلاة التي أقيمها أنا ولم أسمع مثلها من قبل: "أبي السماوي، أنت تعلم الآن أن إيمان مجروحة. ومرة النفس بسبب خطيتها وألمها. إنها تحتاج إلى لمسة خاصة من روحك، بينما تبحث عن السلام الحقيقي، أعرف يارب أنها ستجد هذا النوع من السلام في شخص يسوع المسيح. يارب ساعدها، ساعد إيمان، يا رب، لتؤمن وتصدق ما سمعته اليوم وأن تسمع منك أنت مباشرة أنك تحبها، وأنت تريد أن تمنحها حياة جديدة في المسيح يسوع. أظهر لها كلامك الحقيقي. ليتك تطمئن نفسها لكي تسمع منك. في اسم يسوع المسيح، أصلي، آمين".

بينما كانت بسمه تصلى كنت أشعر بشيء من الهدوء والبرودة يجتازانني. لقد توقفت دموعي وجففت وجهي بمنديل عندما انتهت صلاة بسمه. احتضنتني مرة أخرى وقالت: "إيمان، إن الله يحبك. هل أنت مستعدة لتقبلي محبة الله؟"

لم يكن هناك شيء أعظم من أن أكون محبوبة من الله وأن يغفر لي، لكن، كان في ذهني آلاف من الأسئلة تتصارع للحصول على إجابات. وبدا من السهل أن أقبل كلام بسمه ولكن، قالت بسمه: "لم يكن الأمر

سهلاً على الله يا إيمان، لقد كلفه حياة ابنه، يسوع. الجزء السهل بالنسبة لنا، هو أن نقبل ما فعله يسوع من أجلنا".

" لا أعرف ما إذا كنت مستعدة لأصير مسيحية أم لا"، وبدأت أنظر حولي لأراقب إن كان أحد يراقبنا. مجرد التفكير في الكلمة جعلني أشعر باضطراب وعدم الراحة.

"أنا لم أطلب منك أن تصيري مسيحية، ولكن ليكن لك علاقة مع الله من خلال يسوع المسيح. عليك أن تتذكري حينما تقابلنا في الأتوبيس وسألتني إن كنت مسيحية، قلت لك إنني من أتباع يسوع. إن كلمة "مسيحي" تعني أشياء مختلفة كثيرة بالنسبة للناس. أريدك أن تعرفي ما وراء الكلمة ولا تتعلقي بالكلمة نفسها".

"هل يمكننا أن نتكلم كثيراً عنها في وقت آخر؟ إنني في حاجة إلى الاستعداد لمحاضرة أخرى"، فأجابت بسملة: "بالطبع، هل تريدان أن نقرأ بنفسك ما يقوله الكتاب المقدس؟".

"ذلك سيساعدك كثيراً، لدي كتاب مقدس لك". وجذبت كتاباً صغيراً لونه أخضر من حقيبتها. "خذي هذا، لكن يجب البدء من إنجيل متى". ثم فتحت الكتاب وأوضحت لي أين يوجد إنجيل متى.

أخذت منها الكتاب ورفعته وحضنته على صدري. "أشكرك، يا بسملة. حقا إنك ساعدتني على أن أشعر بالتحسن. أتمنى ألا أكون حملتك بكل مشاكلي".

"إنك لم تحمليني بمشاكلك لأنني رفعت كل هذه المشاكل إلى الله. إنه الوحيد الذي يساعدنا لكي نحمل أعباءنا، لا بد أن تعرفي أنني سأصلي من أجلك. يمكنك أن تقابليني هنا أو تتصلي بي". وكتبت رقم تليفونها على قطعة من الورق وأعطتها لي.

أخذت منها الورقة واحتضنتها. كانت المرة الأولى التي أتكلم فيها مع فتاة أخرى بعمق منذ أيام دراستي بالمدرسة الثانوية حينما كنت مع ليلي. شعرت بأنني أبدأ صداقة جديدة مع بسمه. قمنا بتوديع بعضنا البعض وأخذ كل منا طريقه. بينما كنت أمشي وضعت رقمها في كتابي المقدس الجديد ووضعت (الكتاب المقدس) في حقيبتي. وحضرت باقي محاضراتي في ذلك اليوم، لكن كان من الصعب أن أركز في محاضراتي. ثم أندفعت مسرعة إلى محطة الأتوبيس. عندما وصل الأتوبيس، وجدت مقعداً بسرعة وأخرجت الكتاب الذي أعطته لي بسمه. انهمكت في القراءة ونسيت أن أنزل من الأتوبيس في محطتي التي أسير منها إلى بيتي. أخيراً نزلت من الأتوبيس ورجعت إلى منزلي.

وضعت جانباً كل دراستي ورجعت مرة أخرى إلى الكتاب المقدس. كان إنجيل متى الذي أوصتني بسمه أن أبدأ به كان سهل القراءة. لقد صدمني التناقض بينه وبين القرآن الذي كنت ما أزال أصارع لفهمه. يبدأ هذا الإنجيل بالحديث عن سلسلة نسب يسوع المسيح. كان الإنجيل مذهلاً لي. قررت ألا أقرأ أكثر من ذلك. كان ذهني يموج من كثرة الأسئلة، بالإضافة إلى أنني مازلت أدرس في الجامعة. لقد وضعت الكتاب المقدس في حقيبتي وعدت إلى الكتب الأخرى الأقل تشوقاً.

الفصل الثامن والعشرون

خلال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك، بدأت في قضاء وقت منتظم مع بسمة في الجامعة. كنا نتقابل في الحديقة ونناقش الأشياء التي قرأتها في الكتاب المقدس. لقد كنت مذهولة من قدرتها على إجابة جميع أسئلتني. لكنها كانت أمينة مرات كثيرة، فعندما لم تكن تعرف إجابة سؤال ما، كانت تطلب مني وقتاً لمدة يوم أو يومين حتى تسأل، وكانت دائماً ترجع ومعها الإجابة. لقد سألتها أين كانت تجد هذه الإجابات، فقالت أحياناً كانت تأتي إليها الإجابات بمجرد الصلاة وطلب معرفة الشيء ودراسة الفقرة نفسها، وأحياناً كانت تسأل المؤمنين الآخرين، الذين يعرفون أكثر منها في الكتاب المقدس.

"هل هناك مؤمنون آخرون؟"، سألتها رداً على إعلانها الجديد، فقد كنت أعتقد أن بسمة هي المؤمنة الوحيدة.

"بالطبع، يوجد كثيرون"، أجابت بابتسامة. "يوجد كثير من التونسيين يتبعون يسوع؟".

"حقاً؟ كيف تعرفت عليهم؟"، لقد أصبحت فضولية بالفعل الآن.

"إننا نتقابل ونجتمع سوياً في البيوت للصلاة والعبادة ودراسة الكتاب المقدس".

"تقصدين مثل كنيسة؟ لقد قرأت عن الكلمة في الكتاب المقدس ورأيت كنائس متروكة وباقية منذ فترة الاستعمار في تونس".

"كلمة" كنيسة "تعني جماعة المؤمنين، والمكان لا يهم في شيء. أحياناً يقوم المسيحيون ببناء مبان كبيرة جداً ويطلقون عليها اسم "كنيسة"، لكن الكنيسة الحقيقية هي المؤمنون أنفسهم". كل هذه المعلومات بالإضافة إلى ما كنت أقرؤه كل يوم في الكتاب المقدس شد أوتار قلبي أكثر فأكثر كل يوم. أدركت أخيراً أنني لا يمكن الاستمرار في قراءة الكتاب دون أن أتخذ قراراً مهماً. كان لزاماً علي أن أقرر إن كنت سأتابع كلمات القرآن أم سأتابع كلمات الكتاب المقدس؟ كنت كل يوم أواجه الصراع بين الاثنين. حاولت قراءة الاثنين، لكنني وضعت القرآن جانباً وسأواصل قراءة الكتاب المقدس. ماذا أفعل؟

كانت هناك قصتان عن يسوع لا يمكن أن أنسى واحدة منهما. الأولى عن المرأة التي أمسكت في زني. لقد أحضرها القادة الدينيين إلى يسوع حتى يجربوه ويمسكوا عليه شيئاً. لكنني أحب الطريقة التي استخدمها يسوع ليظهر سلطانه. لقد قال لهم: "من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر"، ولم يستطع أحد أن يفعل هذا، لذلك تركوها ورحلوا عنها ولم يبق معها سوى يسوع. وقد سألتها يسوع يسوع: "أما دانك أحد؟"، قالت: "لا أحد يا سيد" فقال: "ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضاً".

كانت عبارة بسيطة. لم يدينها يسوع، بالرغم من استحقاقها الدينونة. لقد نصحتها بأن تترك حياة الخطية. هذه المرأة كانت أنا، حيث أستحق الدينونة، لكن عندما قرأت الكتاب المقدس وكلمات يسوع لم أشعر سوى بحب يسوع وغفرانه لي. لقد كان هذا شيئاً جديداً، أخذ مني وقتاً طويلاً حتى أقبله. أما القصة الأخرى فكانت أيضاً عن يسوع وامرأة. ذهلت جداً من حديث يسوع مع النساء في الكتاب المقدس. إن الإسلام دين الرجال

فكنت أشعر بأنه لا ينطبق على شخصياً. لكن في المسيحية، رأيت كم يحب الله كلاً من الرجال والنساء ويستخدمهم في خدمته. كانت القصة الثانية تظهر يسوع عند البئر منتظراً عودة تلاميذه. وكان متعباً وطمأنناً وجاءت امرأة سامرية لتستقي ماءً. لقد طلب منها يسوع بعض الماء. حقا لقد حطم كل الحواجز الثقافية. وكان من يتكلم معها ليست مجرد امرأة فقط لكنها كانت سامرية. لقد صُدمت المرأة نفسها. أخبرها يسوع بأنه يستطيع أن يعطيها الماء الحي. لقد عرف أنها لم تكن امرأة صالحة، وعاشت مع رجال كثيرين.

بالرغم من كل ما كان ضدها، عرض عليها يسوع أن يعطيها ماء الحياة. كيف كان ينظر إلى هؤلاء النساء وخطاياهم ويقدم لهم حياة؟ كيف بذل نفسه من أجل أناس مثل هؤلاء، ومثلي؟ لم أعرف الإجابة ، لكنني أريد أن أحصل على ما أخذته هاتين المرأتين. لقد أردت أن أعرف يسوع وأن أترك حياة الخطية. أردت أن أكون مختلفة – أن أعيش لله.

بمجرد أن اتخذت القرار، تذكرت ما قالت به بسمه لي وهو أن أطلب من يسوع أن يغفر خطايي وأن يكون رباً ومخلصاً لي. هذا هو طريق الخلاص. في هدوء حجرتي، رفعت عيني إلى السماء وطلبت من يسوع أن يرفع عني كل أخطائي وعيوبي وكل ما ارتكبته وأن يشفي جراحي. صليت من كل قلبي أن يطهرني ويجعلني خادمه له. طلبت منه أن يجعلني "خليقة جديدة" مثل ما قرأت عنه في الكتاب المقدس. ثم أنهيت صلاتي كما كانت بسمه تنهي صلاتها قائلة: "في اسم يسوع المسيح _ آمين.

جلست في فراشي وفكرت فيما فعلته في الحال. لقد غمرني شعور
بالسلام الفعلي وهذا ما أكد لي أن صلاتي قد قُبِلت عند الله. لقد عرفت أن
حياتي من هذه اللحظة فصاعداً لن تكون كما كانت. لم أستطع أن أنتظر
حتى أخبر بسمه.

الفصل التاسع والعشرون

قابلت بسمة في اليوم التالي. أخذتها من يدها وذهبت بها مسرعة إلى حديقة الكلية. جلسنا على مقعد طويل رخامي تحت الأشجار وأصبحت هذه منطقتنا المفضلة للحديث.

"لم أستطع الانتظار حتى أخبرك بما حدث!"، بدأت حديثي معها بسرعة.

"ماذا حدث، يا إيمان؟"، سألتني بشغف.

"طلبت من يسوع المسيح أن يخلصني الليلة الماضية".

"حقاً فعلت هذا؟ ياه، هذا رائع جداً"، أجابتي وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

"بماذا تشعرين اليوم؟".

"إنني أشعر بأني رائعة، حيث سلام عظيم يغمر قلبي. لقد اخترت الاختيار الصحيح حقاً". "لقد اخترت الطريق الصحيح، يا إيمان. أعلم أن الرب سعيد جداً بك كابنة له. هناك شيئان لا بد أن تقوم بهما. لا بد أن تفكري فيهما الآن".

"ما هما؟".

"أولاً، من المهم أن تتلمذي. هذا يعني أن تدرسي الكتاب المقدس مع بعض الناس بالطريقة التي تساعدك على أن تتعلمي كيف تتمين كمؤمنة جديدة. هذا يساعدك على الفهم الصحيح للحياة مع يسوع".

"أريد أن أفعل هذا". أجبت عليها بشغف وشوق.

"الشيء الثاني هو: لا بد أن تكوني مجهزة ومستعدة للمشاكل، فلن يكون الشيطان سعيداً باختيارك أن تتبعي يسوع المسيح، وسوف يحاول مهاجمتك بشتى الطرق حتى تشكي في الله وفي محبته لك وفي إيمانك. إنني أريدك أن تكوني مستعدة لذلك".

"وهو كذلك، سوف أكون جاهزة ومستعدة لذلك، بالرغم من أنني لا أعرف كيف سأفعل هذا".

"أحسن طريقة هي أن تأخذي فترة في الصلاة وقراءة الكتاب المقدس يومياً. سوف يساعدك الله لتكوني قوية في مواجهة الشيطان. أريد أن أدعوك للحضور معي إلى الكنيسة التي نقيمها في بيت أحد المؤمنين. هل تحبين ذلك؟"

"نعم، أحب ذلك، متى سنذهب؟".

"يوم الجمعة، الساعة الرابعة مساءً. هل يمكنك ذلك؟".

"كم من الوقت ستستمر الكنيسة؟ لا يمكنني الرجوع إلى البيت في وقت متأخر".

"عادة ينتهي اجتماعنا الساعة السادسة، لكن يمكنك أن تغادري المكان قبل ذلك، إذا احتجت لذلك. إن اجتماعنا هنا في منيويا. لماذا لا تقابليني على محطة الأتوبيس أمام الجامعة الساعة الرابعة إلا الربع ثم نذهب معاً من هنا؟".

هذا يناسبني تماماً . إنني سعيدة جداً".

"إنني سعيدة من أجلك أيضاً. بالفعل ستستمتعين بالجميع. إنها مجموعة رائعة من الناس، وكلهم يحبون الرب".

لقد شعرت بالحاجة إلى أن يمضي الأسبوع بسرعة حتى أختبر وأعرف الكنيسة لأول مرة. بين المحاضرات في الجامعة كنت أقرأ وأدرس الكتاب المقدس. لقد أصبحت كلماته أكثر حقيقة بالنسبة لي وكنت كلما قرأته أشعر بالجوع لمزيد من القراءة. لقد رأيت بسمه في أوقات قليلة جداً قبل اجتماعنا الذي سيكون يوم الجمعة. لقد أعطتني كتاباً عن التلمذة. كنت أدرس كل يوم آيات ذات صلة بالموضوع. لقد أخبرتني بأننا سوف نناقش الدرس معاً يوم الجمعة.

أخيراً، جاء يوم الجمعة وانتظرت بسمه على محطة الأتوبيس. جاء الأتوبيس ورأيت بسمه وهي تهبط منه.

"هاي، بسمه، كيف حالك؟".

"إنني بخير، هل انتظرت طويلاً؟".

"كلا، لا تقلقي".

"هل أنت مستعدة للسير لمسافة قصيرة؟".

"بالتأكيد، هيا بنا". واجتازنا من أمام الجامعة ودخلنا قلب مدينة مينوبا. لقد كان يوماً رائعاً، لدرجة أن سيرنا كان عملية رائعة. تكلمت بسمه معي عن أسبوعها وسألتني ماذا فعلت خلال الأسبوع الماضي. فجأة وجدتها تستدير وتتجه إلى مبنى به شقة لم تكن غريبة عليّ، لقد كانت شقة مألوفة بالنسبة لي.

"إلى أين نذهب؟" سألتها فجأة بخوف وعصبية.

إن المجموعة تتجمع في شقة بهذا المبنى".

كنت أعرف أن هناك أكثر من شقة في المبنى وأن لا توجد أية مجموعة مسيحية يمكنها أن تجتمع في الشقة التي أعرفها. لقد أجبرت نفسي وأرغمتها على اتباع بسمه، وهي تصعد السلم. عندما توقفت على باب الشقة، لم أدر بنفسني وأنا أجدب زراعها قبل أن تضرب الجرس: "بسمه، لا أستطيع أن أدخل إلى هذه الشقة"، قلت لها بنبرة حزينة ومتألّمة في صوتي.

"لماذا، يا إيمان؟ ماذا حدث؟ ماذا بك؟".

"بسمه، إنني لا أستطيع".

"سيكون كل شيء على خير ما يرام يا إيمان. هناك أناس صالحون".

"كلا يا بسمه، أنت لا تفهمين. إنني أعرف هذه الشقة". ثم استدريت حتى أهبط السلم، لكن كان هناك شخص ما يصعد خلفنا.

"هاي، بسمه"، قال هذا الشخص: "كيف حالك؟".

إنني بخير يا رياض، كيف حالك؟".

"عظيم، ورائع، كانت هذه أجابته: "ألم تدقي الجرس؟".

"كلا، حتى الآن"، قالت بسمه بتردد، بينما كانت تنتظر إلي. لقد تحرك رياض أمامنا وضرب الجرس، لقد أردت أن أندفع هابطة أسفل السلم، لكن فُتح الباب بسرعة. لقد كان مجدي، ونظر ورأى رياض أولاً.

"رياض، هاي، كيف حالك؟ تفضلني، يا بسمه. هاي. من تلك التي معك؟".

ثم رأى وجهي. وظل لا ينطق بكلمة. لقد قررت بسمه أن تفعل شيئاً أفضل. "مجدي ربما تعرف إيمان؟" ونظرت في عينيه وبدأ كل شيء يتدفق مرة أخرى. بدأت الدموع تنهمر مرة أخرى من عيني، كان عليّ أهرب.

"لا أستطيع، يا بسمه، أنا آسفة"، وبدأت أنزل السلم بخطوات سريعة، وجرى مجدي خلفي.

"انتظري يا إيمان!"، طلب مني مجدي ذلك: "من فضلك، انتظري، دعيني أتكلم معك".

لقد هبطت إلى الأرض ووصلت إلى فناء صغير، ورأيت مقعداً فألقيت بنفسي عليه. جاء مجدي هو يجري ناحيتي وجلس ووضع ذراعه من حولي.

"إيمان، لا أعلم ما الذي جاء بك إلى هنا اليوم، لكن إذا كانت حياتك قد تغيرت فأني سعيد جداً. من فضلك توقفي عن البكاء حتى نستطيع أن نتكلم معاً، لو سمحت". حاولت أن أستجمع كل قواي، نظرت إلى أعلى ورأيت بسمة تقف أمامنا.

"مجدي، ينبغي أن تعرف أن إيمان أصبحت مؤمنة جديدة، ولم تعرف أن المكان الذي كنا ذاهبين إليه هو شقتك. لم أربط الأمور معاً من قبل، أما الآن فبدأت أفهم. لا تقلقي بخصوص الأمور السابقة. يمكنكما أن تجلسا معاً هنا وأنا سأدبر الأمور بداخل الشقة".

"أشكرك، يا بسمة"، قال مجدي بصوت كله عطف: "إنها فتاة مذهلة"، كان هذا تعليق مجدي وهي تدخل إلى شقته مرة أخرى.

"لقد أصبحت أحسن صديقة لي"، قلت، محاولة أن أبدأ حديثي.

لقد أنزل مجدي ذراعه وجلس بعد أن استدار بجسده ناحيتي. جلس بهدوء ونظر إلي مبتسماً. كيف استطاع أن يبتسم لي، ليس لدي أية فكرة، لكن كان هذا ما يحدث. أخيراً كنت أنا الإنسانية التي كسرت الصمت. "مجدي، أنا آسفة"، بدأت حديثي معه: "لم أفعل شيئاً سوى أنني جرحتك. هل يمكنك أن تسامحني؟".

"ياه، يا إيمان"، إجابني بصوته العذب: "لقد غفرت لك وسامحتك منذ فترة طويلة. إنني سعيد لأنني رأيته بصحة جيدة الآن. لا تعلمين كم كنت قلقاً عليك، لكنني لم أستطع أن أراك. كنت أعرف أنك لا ترغبين في رؤيتي".

"كان شيئاً فظيماً، يا مجدي. لم أكن أعتقد أنه سيكون رهيباً لهذا الحد. لقد حاولت أن أقتل نفسي، لأنني شعرت بأنني شريرة وسيئة".

"كلا..".

"نعم، لكن الله لم يسمح لي بعمل ذلك. الآن أفهم ذلك. لقد أرادني أن اختبر حياة أفضل".

"كيف حدث هذا؟".

لقد اعتقدت أن كل هذه الأمور حدثت لي لأنني لم أكن مسلمة صالحة. لذلك رجعت إلى الصلاة وقراءة القرآن. استطعت أن أركز مرة أخرى على دراستي وسيطرت إلى حدٍ ما على مشاعري، لكن لم أحصل على السلام. ثم، في أحد الأيام تقابلت مع بسمه في الأتوبيس. لقد كانت الإنسانية الوحيدة التي عرفتني الطريق الحقيقي إلى الله من خلال يسوع المسيح. منذ الأسبوع الماضي وأنا أشعر بأنني إنسانة جديدة. شعرت بأنني قد حصلت على غفران الله لكل ما فعلته. والآن أرجوك أخبرني ثانية أنك غفرت لي. إنه شيء رائع أن أتأكد من ذلك! آه يا مجدي، إنني قتلت طفلاً!، وبدأت الدموع تسيل مرة أخرى.

أخذ مجدي يدي ووضعها في يديه ورفع وجهي لأنظر إلى وجهه وقال: "إيمان، كلنا أخطأنا في نظر الله. لن نستطيع أن نرجع طفلاً مرة أخرى، لكنني أؤمن بأن الله أخذ شيئاً مزعجاً وأعطانا شيئاً ما بدلاً منه عظيماً وجميلاً. هل كنت تتخيلين أبداً أن نصير أتباعاً ليسوع؟".

"كلا، إنه يشبه الحلم".

"إنها الحقيقة وليست حلمًا يا إيمان. العام الماضي وبعد أن تركتني، كنت في قمة اليأس والإحباط. فقدت كل رجاء وأمل في كل شيء. وسرت وراء إشباع غرائزي ومشاعري ، لكنني لم أشبع ولم أستطيع أن أتكلم مع أي أحد. لم أرغب في أن أرح مرة أخرى. ثم تقابلت مع زميل لي شاركني برسالة المسيح. الآن تجدد فرحي بالحياة ومتعتي وأملتي في المستقبل".

"هذا ما أشعر به أيضاً، يا مجدي". عندما ابتسمت قام بالضغط على يدي.

لقد عرف كل منا أن هناك شيئاً ما باقياً بيننا. كيف حدث كل هذا؟ كان هذا وحده شيئاً رائعاً ومذهلاً وغريباً. لقد كان ترتيباً من الله.

"إيمان، لابد أن تصعدي إلى الشقة حيث الاجتماع"، قال ذلك وهب واقفاً: "يجب أن تتعرفي على الجميع وتعيشي وتختبري معنى الكنيسة. تعالي، هيا بنا".

"مجدي"، قلت له وأنا أجذب يديه محاولة أن أقف: "أشكرك"، وحضنتني وقبلني في خدي الأيمن والأيسر، ثم أسرعنا على شقته.

الفصل الثلاثون

عندما اقتربنا من الباب سمعت ترانيم. وعندما فتح مجدي الباب، غمرتني الأصوات العالية. لم أصدق الهاتف المفرح الذي كنت أسمعه، وكان موجهاً إلى الله. لقد أحببت الموسيقى وكنت مغرمة بموسيقى البوب والموسيقى الصاخبة التي كانت سائدة ومنتشرة، لكنني لم أستمع إلى الموسيقى ذات المعنى الروحي من قبل. إن الديانة التي كنت أعرفها سابقاً لم يكن بها تقليد أو ترنيم مثل هذا. أخذني مجدي إلى مقعد وجلست إلى جوار بسمه. لقد تشاركت معي بسمه في ورق به بعض الترانيم. لقد قرأت الكلمات بينما كان الجميع يرنم.

فرحت قلبي يوم ما قابلتك	يوم ما قابلتك كان يوم عيد
أحببتني يا يسوع وأنا خاطي	حبك ظهر لي في الصليب
أنت حبيبي أنت حياتي	أنت نصيبي أعظم نصيب
أحببتني يا يسوع وأنا خاطي	حبك ظهر لي في الصليب

كانت الكلمات تعلن تماماً عما أشعر به، لقد أحبني رغم كوني إنسانة خاطئة. ابتسمت وأنا استمع إليهم يرنمون. كنت أعرف أنهم يرنمون من كل قلوبهم. وبمجرد أن انتهت الترنيمة، بدأ شخص ما يصلي. كانت أول مرة أسمع شخصاً ما غير بسمه يصلي، وكنت مندهشة من مدى تشابه صلاته مع صلاة بسمه التي صلتها من قبل معي. لقد كانت الكلمات مختلفة، وكانت الصلاة مثل محادثة وحوار، كما كانت تفعل بسمه في صلواتها. لقد سكب قلبه أمام الله، لم يخف من أي شخص داخل الغرفة. في الحقيقة،

كانوا يؤيدونه فيما يقوله. أستطيع أن أقول أنهم جميعاً كانوا متقنين على كل طلباته التي طلبها من الله. لقد كانت خبرة رائعة وعظيمة.

عندما انتهت الصلوات، قالت بسمه: "اسمحوا لي أن أقدم لكم صديقتي، إيمان. لقد طلبت من يسوع أن يدخل إلى قلبها ويسكن فيه الأسبوع الماضي". توقفت بسمه عن الكلام بينما كان الجميع يصفقون ويقولون: "مجداً للرب"، و"هللويا". لقد تحول وجهي إلى اللون الأحمر، لكنني حاولت أن أبتم بطريقة مؤدبة ومهذبة.

"لا بد أن أقول شيئاً آخر عن إيمان أيضاً. كان المتحدث في تلك المرة مجدي. لقد توقفت عن الابتسامة وبدأت أشعر بالقلق وعدم الراحة.

"أنا وإيمان نعرف بعضنا منذ زمن طويل"، بدأ مجدي بهذا القول: "لقد اجتزنا صعوبات شديدة معاً. لكنني أريد أن أفرح وأبتهج اليوم لرؤيتها هنا. كل ما أعرفه هو أن إيمان وأنا نعرف يسوع المسيح الآن! مجداً للرب!".

كان لا بد أن أ بسم بسبب هذه الكلمات، لأنها كلمات عذبة. كان يمكن لمجدي أن يقول الكثير عني لكنه قال الشيء الصواب. لقد ازداد شعوري تجاهه بينما شاهدت جميع أعضاء المجموعة يحبونه، كما كانوا مقدرين استخدام منزله للاجتماعات. لكن، عرفت الآن أنني لم أعد الفتاة الوحيدة التي يفكر فيها حيث كانت توجد كثير من الفتيات الأخريات بين المجتمعين، وكانت كل فتاة منهن جميلة جداً وروحاً. أعرف أن أية فتاة منهم ستستحق حبه أكثر مني.

الشخص الذي قابلته عند الباب، كان الشخص الذي شارك بجزء من الكتاب المقدس ذلك اليوم لقد قرأت آيات من سفر أرميا من العهد القديم، لم أقرأها من قبل. كنت مشغولة بدراسة العهد الجديد في وقتي القصير. لقد ساعدتني بسمه على أن افتح الكتاب المقدس وأستخرج سفر أرميا وأتابع الفقرة التي كان يشارك بها رياض. لقد كنت مندهشة حيث أن الجميع كان معهم كتبهم المقدسة. لقد كانت الآيات عظيمة ورائعة: "لَأَنِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلَامٍ لَا شَرٍّ، لِأَعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً. فَتَدْعُونَنِي وَتَذْهَبُونَ، وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَأَسْمَعُ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ".

حتى قبل أن يتكلم رياض كان ذهني يدور ويتمايل من فكرة أن الله لديه خطط لحياتي. أخيراً قبلت الفكرة التي تقول بأن الله موجود ويهتم بخليقته. ولكي أفكر الآن أن الله له خطط لحياتي أكثر من قدرتي على التعامل مع هذه الفكرة، بذلت جهداً كي أركز مع رياض وهو يشرح الفقرة. كما تكلم عن تطبيق هذه الفقرة في حياتنا اليومية. لقد تكلم عن كلمة "علاقة" التي شاركتني بها بسمه منذ فترة طويلة، وكيف أن الله يهتم بحياتنا.

بدأ الجميع يضيفون أفكارهم إلى ما شارك به رياض. استمعت بالاستماع إلى وجهات نظر مختلفة واختبارات مختلفة عن كيف قاد الله الجميع في اتجاهات معينة. لقد أدركت أن مركز الشخص في الحياة لا يهم سواء كان طالباً، أو معلماً، أو بلا عمل، لقد جعل الله للحياة هدفاً. أستطيع أن أقول إنه بينما كان كل شخص يشارك بشيء ما، كان الجميع يتشجعون. لقد كانت خبرة حقيقية وعظيمة. لم يكن أحد مُحَقَّرًا ولم يستهزئ

أحد بأي شخص كان يشارك. لكن كان الجميع في حالة إصغاء كامل ويؤكد على المجهودات التي كان يبذلها المشارك.

بينما اقتربت المناقشة من الانتهاء، طلب رياض من مجدي أن يختم الفرصة بالصلاة. أغلقت عيني مع الجميع وبدأ مجدي يصلي:

"أبي السماوي، إنك إله عظيم. حقاً إنك تختزن كل الخير لنا. لا يسعني اليوم سوى أن أشكرك من أجل الفرح الذي وضعته في قلبي من خلال يسوع المسيح. أشكرك لأنك جددت حياتي، ورغبتني في الحياة. أشكرك لأنك أخذتني وقبلتني وأنا خاطي وطهرتني وجعلتني مثل يسوع. يارب ساعدني لأعيش مثل يسوع، أسير، وأتكلم، وأن أعطيك المجد، مثل يسوع، كل يوم في حياتي. أشكرك يارب، لأنك أحضرت إلينا اليوم أختنا إيمان لتكون معنا اليوم. أشكرك يا أبي السماوي، لأنك غيرت حياتها. ليتك تباركها لتنمو وتتقوى في إيمانها. ليتك تحفظها من الشر والشرير. استخدمها لتجذب نفوساً كثيرة إليك. استخدمنا جميعاً أيها الرب، لنشهد عنك في هذه الدولة وفي كل العالم. في اسم يسوع المسيح أصلي، آمين".

امتألت عيناى بالدموع بينما كان مجدي يصلي، ليس لأنني حزينة، بل لأنني كنت سعيدة جداً. لقد تقابل الله مع شخصين فعلاً كل ما هو خطأ وكل خطية، وكانا يسيران في طريق الشر وغيرهما تماماًً بالكامل إليه. إنني، الآن، أجلس في نفس الشقة التي فعلت بها كثيراً من شروري وذنوبي من قبل، أما الآن فأنا جالسة أصلى وأسبح اسم الرب. حقاً، إنها معجزة. فتحت عيني بعد الصلاة فرأيت مجدي ينظر إلي وعلى وجهه

ابتسامة عريضة حقاً، كان سعيداً برؤيتي.كنت سعيدة أيضاً به. لقد لمست
بسمه ذراعي.

"تعالِي، أريد أن أقدمك للجميع لتتعرفي عليهم". وأخذتني وتناولنا في
الحجرة،وقدّمت كل واحد لي. كان في الحجرة ما يقرب من خمسة عشر
نفساً. بعضهم متزوجون والبعض الآخر عزاب. كان الجميع عطوفين في
تحياتهم لي، ثم أحضر لي شخص ما كوب كوكاكولا وشخص آخر كان
يوزع أنواعاً مختلفة من البسكويت والكعك.

بدأت الأصوات ترتفع حيث الجميع يتكلمون ويضحكون معاً. لقد
لمست الحب الحقيقي بينهم. لقد تقابلت مع الكثيرين، ثم نظرت في ساعة
يدي. لقد أوشكت على السادسة والنصف، ذهبت إلى بسمه.

"لا بد أن أغادر الآن يا بسمه"، قلت لها بينما كنت أقترب منها: "علي
أن أرجع إلى بيتي الآن". كان وقتاً رائعاً بالفعل. لا أستطيع أن أصف لك
مدى شعوري بالسعادة - أشكرك لأنك سمحت لي بالحضور معك". ثم
أحتضنتها.

"كيف سارت الأمور مع مجدي؟" همست بذلك في أذني وأنا أحتضنها.

"كان كل شيء على ما يرام، لكنني صُدمت بالفعل. لم يكن سهلاً
بالنسبة لي الرجوع إلى هذه الشقة. لقد قضيت فيها وقتاً طويلاً في
الماضي".

"أعلم ذلك جيداً، وهذه إحدى الهجمات التي أخبرتك عنها، وقلت لك لابد من الاستعداد لها. يجب أن تنتبهي إلى أن هناك الكثير من الهجمات وأريدك أن تكوني أكثر حرصاً".

"إنني أحبك بالفعل يا أختي".

"وأنا أيضاً". ثم تعانقنا مرة أخرى ثم قلت: "أعتقد أنني لابد أن أرحل الآن، لكنني سأتوجه لمجدي لأودعه".

"إنني واثقة أنه يريد ذلك أيضاً". ثم غمزت بعينيها لي. حولت نظري لأبحث عن مكان مجدي ووجدته في المطبخ، يغسل الأكواب والفناجين.

"يا مجدي، لابد أن أرحل الآن"، قلت له ذلك وأنا خلفه: "أريد أن أقدم لك الشكر". هل لابد أن ترحلي الآن، يا إيمان؟" مسح يديه بالمنشفة واستدار ناحيتي. "لدينا الكثير لنتكلم عنه".

"لدينا الكثير فعلاً، لكن يجب أن نكون حريصين. هذه الشقة تحمل كثيراً من الذكريات". "حقاً، إنك تقولين الصواب عينه. لا نريد أن ننقهر إلى الورا".

"دعنا نسير وننتقم للأمام. الله سوف يظهر لنا كل شيء". قلت هذا دون أن أتأكد من المعنى.

"سوف يرينا، أتمنى أن أراك ثانية. هل ستأتي الجمعة القادمة؟".

"سوف أحاول وربما أقابلك في الجامعة".

"ربما يكون جدولي مكدساً هذا الفصل الدارسي. لقد ترك الجامعة بعض من المعلمين، لذلك أعمل أكثر من جدولي المعتاد، لكن هذا يحسن من دخلي ويجنبني المتاعب.

"أفهم ما تعنيه". ثم انحنيت وقبلته في خده وقلت: "انتبه لنفسك يا مجدي، إلى اللقاء".

"مع السلامة يا إيمان".

استدرت بسرعة وخرجت خارج الحجرة لئلا يفهمني أحد بصورة خاطئة لو مكثت فترة طويلة. ثم لوحنت إلى بسملة عبر الحجرة بينما كنت أفتح الباب ثم نزلت السلم. لا بد أن أستعجل حتى أصل بيتي. لكن كان أمامي وقت كافٍ. كان هناك الكثير لأفكر فيه. لا أعرف ما الذي شغل أفكاري أكثر - ما رأيته وما سمعته في الاجتماع أم أنه مجدي. كلاهما كان صدمة وخليلاً لنظامي. كان لدي العطلة الأسبوعية حتى استريح وأفكر بتمعن في كل هذه الأمور.

الفصل الحادي والثلاثون

كنا تقريباً في نهاية شهر مايو عندما حضرت لأول مرة في "مجموعة بيت". كانت هناك أسابيع قليلة باقية على انتهاء العام الدراسي قبل اجتيازي امتحاني الأخير للتخرج.

التخرج - كان من الصعب أن أصدق أنني كنت حقاً سأنتهي من كليتي. لذلك كان عندي كثير من الدروس لمذاكرتها، لكنني أتمزق بين رغبتني في دراسة الكتاب المقدس وقضاء وقت مع بسمه وبين الدراسة والاستذكار من أجل الاستعداد للامتحانات الأخيرة. ساعدتني بسمه على أن أدفع نفسي للإمام وأستطيع أن أقوم بنوع من التوازن بين الأمرين. كان هذا هو العام الأول الذي لم أتوقف عن أي شيء فيه من أجل دراستي. قمت بتحديد بعض الأوقات المعينة كفترة راحة من الاستذكار. وفي خلال هذه الفترات كنت استمتع بقراءة الكتاب المقدس أو أتكلم مع بسمه في التليفون أو في الحرم الجامعي. لقد شعرت بأنني بالفعل نجحت في التحصيل الكامل لمواد الامتحانات.

بالرغم من أنني كنت أستطيع أن أذهب إلى اجتماع العبادة في شقة مجدي، إلا أنني لم أقابله في الجامعة ثانية. ربما كان من الأفضل أن أتبع هذه الطريق. لقد ساعدتني في التركيز على دارستي وعلاقتي مع الله بدلاً من تشويشها بالأفكار الرومانسية. لقد تغيرت البيئة داخل شقة مجدي كثيراً عما كانت عليه أثناء أيامنا الأولى فيها. حقاً، لم يكن لدينا أية فرصة للحديث بمفردنا خلال تلك الأسابيع القليلة. كان هناك الكثير من الناس

حولنا، وبدأت أكوّن صداقات مع العديد منهم. لقد بدأت أفكر في أن هذه علامة على أننا لم نكن عاديين كما كنا من قبل.

بالرغم من ذلك، كانت علاقتي بمجدي غير أكيدة أما علاقتي مع الله فكانت أكيدة. شعرت بأنني أنمو وأتعمق في محبتي لله. استطعت أن أشعر ببعض من التغيير في علاقتي بأسرتي. بالطبع، كانت فاطمة هي أول إنسان يعرف أن هناك شيئاً مختلفاً في حياتي. على أي حال، فقد رأيتني في أسوأ حالاتي. والآن كنت أذندن بينما أتجول بالمنزل. كنت سعيدة ومبتسمة، حتى لو أنني أواجه امتحانات. لقد عرفت أن شيئاً ما قد اختلف بالفعل. ذات يوم، كنا بمفردنا في المنزل فجاءت وسألتني: "آنسة إيمان، هل أنت بخير؟ هناك شيء ما مختلف فيكِ؟".

"ما الذي جعلك سعيدة، إن لم يكن لديك مانع، أريد أن أعرف؟".

"كلا، لا أمانع أبداً، يا فاطمة. في الحقيقة، إنني سعيدة أنك لاحظت هذا التغيير. لقد صنع الله في هذا الاختلاف، يا فاطمة. الله".

"أعرف إنكِ رجعت إلى قراءة القرآن الكريم. هل هذا ما وجدت فيه سلامك؟".

"كلا، لقد وجدت سلامي فيما يسميه القرآن "كلمة الله" - يسوع. الآن أقرأ كلامه في الإنجيل المقدس".

"هل أصبحت مسيحية؟".

"لقد آمنت بما يعلمه يسوع يا فاطمة. هذا شيء مختلف عما تفكري أنه مسيحي".

"ماذا ستقوله أمك عندما تعرف ذلك؟".

في يوم ما سأجد حلاً لهذا، إنني واثقة، لكن لبتك تسمحين لي أن أكون أول من يخبرها يا فاطمة؟".

"بالطبع يا آنسة. هذا موضوع بينك وبين أمك. كل ما يهمني أنك الآن سعيدة".

"أشكرك، يا فاطمة. أنت تعنين الكثير جداً لي. أصلي أنك أيضاً تجدين سلامك مثلي".

"إن شاء الله"، جاء ردها إجابة إسلامية نموذجية، بمعنى، "ليتنا لا نتحدث في هذا الموضوع الآن".

هذه المحادثة مع فاطمة، بالرغم من ذلك، جعلتني أدرك أنني لابد أن أتحدث مع والديّ عن قراري يوماً ما. لم يكن التغلب على كراهيتي لأمي عملية سهلة، وكانت بسمّة تصلي معي بانتظام لكي يساعدني الرب في التغلب على مشاعري. لقد تحدثت معي عن ضرورة إعلان إيماني الجديد بالطريقة التي أتصرف بها مع الآخرين. يجب أن تغير علاقتنا مع الله أن أمكث مع عائلتي. منذ دخولي الكلية، والأمور تسير بالطريقة التي كانت تهتم بها أمي إلى حد ما. لقد ركزت أمي على قيمة وأهمية تعليمي جيداً، وكانت تتركني بمفردي إذ تراني أستذكر دروسي.

لم تدرك أبداً ما اجتزت به خلال سنوات كليتي. والآن وأنا أقترّب من التخرج، بدأت أرى أمي تهتم بحياتي مرة أخرى. إن لديها العديد من

الأصدقاء الذين يرغبون في مساعدتي للحصول على مكان في شركاتهم. لكنني قلت لأمي إنني سأبحث عن وظيفة بنفسي. ولم تصدق اتجاهي هذا.

"لكن يا إيمان، لا يمكنك عمل ذلك بنفسك. اليوم لابد أن تعرفي شخصاً ما في هذا العالم!" "أمي، إنني أعرف شخص ما".

"ياه، من هذا الشخص؟"

"الله"

"الله؟" لقد ضحكت بينما كانت الكلمة تخرج من فمها. "إننا نتكلم عن أعمال تجارية، لا عن أمور روحية".

"أمي، إن لدي ثقة كبيرة في أن الله سوف يساعدني على إيجاد الوظيفة المناسبة لي". إذا فأنت لا تحتاجين إلى مساعدتي؟".

"كلا، أشكرك يا أمي"، قلت لها بعطف: "لكنني أقدر وأعرف قيمة العرض الذي تقدمينه". "إذن، خذي طريقك، لكنني سأكون في قمة الذهول إذا أعطاك الله وظيفة أحسن مما كنت سأقدمها لك". ثم مضت ودخلت إلى المطبخ.

بعد ذلك دخلت إلى حجرتي وجلست على سريري وبدأت أصلي: "إلهي العزيز، إنك سمعت ما قالته أمي حالياً. إنني أحب أن ترى أمي كم أنك أقوى بالفعل. سوف أعتد عليك بالكامل فيما يتعلق بمستقبلي. من فضلك أرشدني إلى الوظيفة المناسبة لي. سوف أعطيك كل المجد. ليتك تفتح عيون أمي لترى عملك العجيب. في اسم يسوع آمين".

كانت الفترة السابقة للامتحانات - رغم إنها قليلة - فترة قاسية، لكنني أخيراً اجتزت هذه الفترة. لقد كان شيئاً مريحاً ألا يكون لدينا دراسة أخرى. أول شيء عملته هو قضاء يومين في نوم كامل. إن ضغط ساعات الاستنكار كان له أثره الكبير وجسدي بدأ يصرخ طلباً للراحة. بمجرد أن شعرت بالراحة، خرجت لمقابلة أصدقائي مرة أخرى. كانت بسمه أول إنسانة أتصل بها تليفونياً. اتفقنا على أن نتقابل في مركز للتسويق في مدينتنا. وأنا أجلس على منضدة في أحد المطاعم، تعجبت من هذا المتنزه الأوربي. لقد تذكرت أنني قرأت عنه في إعلان عن الافتتاح. كان تعليق أحد الأشخاص إنه كأنك في باريس أو كأنك تذهب إلى فرنسا دون الحاجة إلى تأشيرة دخول. ابتسمت وأنا أفكر بينما كانت بسمه تتحرك.

"يبدو إنك سعيدة جداً، بينما انحنيت لتقبلني".

"إنني سعيدة، وكنت أفكر في شيء ممتع، تفضلي بالجلوس".

"أشكرك، أجابتي وهي جالسة. "ما هذا الشيء الممتع؟".

"كنت أفكر فيما قاله الناس عن هذا المتنزه من أنه قطعة من أوروبا، وكيف يحبون أن يأتوا إلى هنا".

"حقاً. إنك تشعرين بالفعل كأنك في عالم آخر، لكنني سعيدة لأننا أتينا إلى هنا ليس لنشعر بأننا في دولة أخرى أو عالم آخر!".

كنت أعرف جيداً عما كانت تتكلم. لكنني شعرت بأنني كنت في عالم آخر منذ أكثر من شهر وهو عالم رائع.

"كيف كانت أخبار الامتحانات؟ هل كانت الأسئلة سهلة؟ هل أديت أداءً حسناً فيها؟"، سألتني بسمة في محاولة منها لتغيير الموضوع.

"كانت حقاً امتحانات صعبة وشاقة، لكنني أعتقد أنني أبلّيت بلاءً حسناً فيها؟" الرب وحده هو الذي يعلم. يا ترى ما أخبار امتحاناتك أنت؟".

إنني سعيدة جداً بانتهاؤها! ياه لن نذهب مرة أخرى إلى الجامعة!".

"هذا هو شعوري أيضاً".

"لن نذهب إلى الجامعة". ثم نظرت إليّ نظرة جادة، وبدأ أنها تتكلم بثقة: "لكن، ربما أقوم في يوم ما بالتقدم للدراسات العليا؛ الماجستير والدكتوراة".

"ياه يا بسمة، لا تتلفي سعادتنا بمثل هذه الأفكار الآن!".

"إنك محقة تماماً. لنغير الموضوع. متى ترغبين في أن تلتحقي ببرنامج التلمذة؟ لقد اختلف جدولنا بالكامل الآن".

"ما رأيك في يوم الثلاثاء؟ سيكون لدينا متسع من الوقت بين لقائنا وبين اجتماع الجمعة. هذا يناسبني تماماً. لكن أين سنقابل؟".

"هذه مسألة أخرى"، قلت لها وأنا أفكر: "انتظري لحظة من فضلك، ما رأيك في أن تأتي إلى منزلي؟ كل من أبي وأمي يذهبان إلى العمل سنكون نحن فقط في المنزل مع الخادمة".

"هذا شيء رائع ويناسبني، إن لم يوجد لديك أي مانع".

"إنني متأكدة أن كل شيء سيكون على خير ما يرام". سعدت جداً لأن
بسمه سوف تأتي إلى منزلي. لقد خططنا سوياً للأسبوع القادم، وأعطيتها
عنواني ورقم تليفوني.

لكي أستطيع أن أترك منزلي وأذهب إلى اجتماع الجمعة كان علي أن
أتحدث مع أمي عن بسمه. قلت لها إنها صديقتي في الجامعة وكانت
أقرب إنسانة إليّ، كما استمتعنا بقضاء يومين معاً. استطعت أن أقضي
وقتاً طويلاً في دراسة كتاب التلمذة الخاص بي وفي قراءة الكتاب المقدس
منذ أن أنهيت الدراسة. كانت قراءة الكتاب المقدس شيئاً رائعاً.

كنت أعرف أنه يجب أن أبدأ عملية البحث عن عمل. ما زلت أثق في
أن الله سيساعدني على إيجاد وظيفة، لكن لم يستغرق هذا الموضوع مني
وقتاً طويلاً، فبعد مرور أسبوعين من الامتحانات، وبينما كنت استمتع
بالراحة بدأت فعلياً في البحث عن وظيفة.

لقد بدأت بزيارة مكاتب الأعمال والمشروعات المجاورة لنا في منطقتنا،
لكن لم أجد شيئاً متاحاً. ثم حصلت على الجريدة الأسبوعية لأبحث فيها
عن وظيفة في صفحة الإعلانات. ثم قدمت طلب وظيفة في كثير من
السفارات حيث كانوا يعلنون عن وظائف للخريجين. لكن بعد برهة من
الزمن، كان لابد أن أحصل منهم على رد، إلا أن هذا لم يحدث.

بينما كان شهر يونيو يمضي ببطء، أدركت أن فرصة إيجاد وظيفة
أصبحت نادرة جداً. كان شهر أغسطس إجازة في تونس، لذلك فالمكاتب لم
ترجع نفسها بالمقابلات الشخصية في أثناء الصيف. أثناء اجتماع الجمعة
حملت هذا الموضوع في داخلي ولم أخبر به أحداً.

سأل رياض هل هناك أي شخص يريد أن يشاركنا بطلبة للصلاة من أجله. لم أطلب أي شيء لأن الأمر استغرق مني وقتاً حتى أدركت أنه يمكنني أن أثق في هذه المجموعة، حيث كانوا غرباء بالكامل عني ولم أعرفهم إلا منذ شهور قليلة، لكن، الآن أعرف قوة الصلاة، لقد رأيت كيف أن الله استجاب لكثير من طلبات الآخرين الذين طلبوا من المجموعة أن تصلي من أجل مسألة معينة، أردت أن يحدث هذا معي أيضاً.

"رياض، عندي طلبة صلاة"، بدأت كلامي بنوع من الخجل. "عظيم يا إيمان"، أجاب على كلماتي بمحبة: "هل يمكنك أن تشاركينا بطلبتك؟".

"نعم، أنتم تعلمون إنني تخرجت حديثاً من الجامعة، لذلك أود أن أشكر الله أولاً وقبل كل شيء لأنه ساعدني على اجتياز امتحاناتي". ابتسمت بينما صفق الجميع. لقد انتهيت من تعليمي وتخرجت منذ أسابيع قليلة.

"والآن، أحتاج إلى وظيفة. لم أطلب منكم الصلاة حتى أجد وظيفة فقط لكنني أطلب أن تكون وظيفة رائعة لكي تشهد أُمي أن هذه الوظيفة من الله بالفعل. إنها ليست مؤمنة وتشك في عملية حصولي على وظيفة دون مساعدتها. إنني واثقة بأن الله يستطيع أن يعلن قوته لها من خلال هذا العمل".

"شكراً، يا إيمان"، قال رياض، بمجرد أن انتهيت من كلامي: "سوف نصلي معك أن يتمجد الرب معك في هذا الموقف وأن يسدد كل احتياجاتك. وسوف نصلي أيضاً أن تعرف والدتك الرب وتأخذه مخلصاً لحياتها".

ابتسمت لكلماته، لكن في قلبي كنت أشك أن أُمي قد تتواضع وتسلم
حياتها ليسوع.

الفصل الثاني والثلاثون

انتهى شهر يونيو دون أن أتلقي أية استجابة للصلاة. حاولت أن أنسى هذا الموضوع حيث أنني بدأت الاستعداد لقضاء شهر على الشاطئ. لقد كنت سعيدة جداً حينما دعنتي بسمه لقضاء الشهر معها ومع عائلتها في منزلهم في موناستير. وقد وافقت أُمي على أن أذهب، لأنها كانت تعلم أنني سأكون في نفس المنطقة التي يقع فيها منزلنا على الشاطئ. كانت سعيدة فعلاً، لأنها لن تقدر أن تقضى الشهر كله على الشاطئ هذا العام. الآن يمكنها أن تشعر بالحرية وتنفيذ جدولها وخططها وألا تقلق بخصوصي.

عندما جاءت بسمه لتأخذني بالسيارة كنت مستعدة وكانت حقائبي بجوار الباب. "إنني سعيدة جداً لأنك ستكونين معنا هذا الصيف"، قالت بسمه بينما كنا نحيي بعضنا البعض ونحمل الحقائب إلى السيارة.

"حقاً، كنت أتطلع إلى مثل هذه الرحلة، أيضاً"، أجبته، وقد أخذتُ نفساً عميقاًُ بينما كنت أتجه إلى السيارة، مدركة بأنني الآن مرة أخرى أصبحت بعيدة عن قبضة أُمي. إن مثل هذه الفترات التي كنت أقضيها على الشاطئ كانت فترات حرة دائماً.

"بينما كانت تفتح بسمه باب السيارة قالت: "أود أن أعرفك بأُمي، مدام سعيدة. أُمي، هذه صديقتي إيمان".

"إنه لمن الرائع أن أقابلك يا إيمان، مرحباً". دخلت إلى المقعد الأمامي في السيارة وانحنيت لأصافحها لأنها كانت تبدو سيدة كبيرة في السن.

"إنني سعيدة جداً بمقابلتك يا مدام سعيدة. ألا تريدان أن تجلسي في المقعد الأمامي مع أبنيتك؟".

"كلا، كلا، يا ابنتي"، أجابتي بصوت عذب: "إنني أشعر براحة هنا في المقعد الخلفي، حيث أستطيع أن أضع قدمي وأمدهما للإمام. أتمنى أن تستمتعي بالجلوس في المقدمة مع صديقتك". "شكراً يا مدام، طالما أنك تصممين على ذلك". جلست ثم ابتسمت لبسمة بينما كانت تستعد للقيادة.

اجتازنا المدينة ثم اتجهنا إلى الطريق السريع متجهين إلى الجنوب.

"أخي وعائلته سوف ينضمون إلينا في موناسير"، قالت بسمة بمجرد أن كنا على الطريق السريع: "هل تتذكرينه من اجتماع مجدي؟".

"نعم، أتذكر بالتأكيد أنني قابلته هناك". ثم نظرت إلى بسمة نظرة مملوءة بالتساؤل، ولم أكن متأكدة هل أمها تعلم بتغيرها وحضورها اجتماع مجدي أم لا.

لقد أدركت بسمة ترددي وقالت: "لا تقلقي، يا إيمان، أمي تحب يسوع أيضاً. إنها تعرف أنني وأخي نؤمن بيسوع. إنني واثقة أنها لو كانت ظروفها الصحية تسمح، لحضرت معنا الاجتماع".

شعرت الآن برحيل كل مخاوفي عني واستدرت للخلف مبتسمة لمدام سعيدة التي كانت بالفعل تجلس مستريحة بهدوء.

"أشكرك من أجل توضيح ذلك لي"، قلت برقة لبسمة: "لم أكن واثقة ما هو الموقف بالضبط. ولا أعتقد أن أُمي ستكون بمثل هذا التفاهم".

لقد باركني الرب بأُم رائعة وصالحة، قالت بسمة: "لم تكن حياتها سهلة، لكن لديها قلب صالح وطيب وهي دائماً تحبنا. حتى عندما كان أخي الأكبر يحاول أن يسبب لنا المشاكل والمتاعب بسبب إيماننا بالمسيح، كانت تقف في صفنا ضده".

هذه بركة عظيمة، إنني أوافقك".

"سيكون هناك أناس آخرون معنا خلال هذا الشهر".

"من سيكون معنا؟".

"أعرف أن رياض سوف يحضر مع أخته لأيام قليلة"، ثم بدأت تقول: "أعتقد أن يوسف وعائلته سوف يستأجرون مكاناً بجوارنا لمدة أسبوعين. كما أن مجدي وآخرين قد يأتون معهم".

"مجدي؟"، شعرت وكأنني مصابة بشلل في التفكير.

"ماذا بك يا إيمان؟ إنني اعتقد أنك ومجدي أصدقاء رائعين الآن، وكل شيء على ما يرام". "إنني تقابلت مع مجدي أول مرة في هذا الشاطئ، وبعد ذلك بدأنا علاقتنا الرومانسية".

"إنني متأكدة أنك ومجدي لستما كما كنتما من قبل، لكن أثق أنكما قد تغيرتما لأنكما عرفتما يسوع المسيح.

"نعم، إنني أعلم أن هذا صحيح وحقيقي".

"إِذَا، لماذا تواصلين الهروب من احتمالية أن يكون الرب يدبر أن تكونا معاً؟".

"هل حقاً تعتقدين أن الله قد يريد ذلك؟"، سألتها بصوت عال يملؤه التساؤل.

"إلهنا إله فداء واسترداد"، قالت بسملة بكل ثقة: "إنه يأخذ كل ما هو رديء ويحوّله إلى الخير. ربما يريد الله أن يظهر لك كم يكون الحب الحقيقي حباً جميلاً، أي حب بمعنى "أغابي"، وهذا يتم عندما يأتي الاثنان ويجتمعان معاً ويسوع المسيح في الوسط".

"محبة أغابي، وما هذه؟".

"هناك أنواع كثيرة من المحبة، يا إيمان. إننا نعرف المحبة الأخوية والمحبة الطبيعية (الجسدية)، لكن محبة أغابي هي المحبة التي يعاملنا الله بها. إنها تلك المحبة التي تجعلك تفكرين في الشخص الآخر أولاً وتضحين من أجله. هذا تماماً وبالضبط هو الحب الذي جعل الله يبذل ابنه، يسوع، على الصليب من أجلنا. في المسيح أصبحنا قادرين على معايشة واختبار هذا الحب ومشاركة الآخرين به".

"لم تعرفي أي شيء سوى "حب الإيروس" مع مجدي فهو حب جسدي. وقد رأيت كم أن هذا الحب قاسٍ ومؤلم في حد ذاته. ربما يكون الله قد سمح لك أن يكون لديك حبه "حب أغابي" لمجدي. إنه حب مكلف أيضاً، لكنه يجلب فرحاً كثيراً".

"لا أستحق أن أعرف مثل هذا الحب"، أجبتها وبدأت الدموع تسيل من عيني بينما تذكرت الماضي.

"إيمان، لا أحد منا يستحق هذه المحبة، وهذا يوضح وببين أن محبة الله لنا هي هبة. لم أقل أنك أنت ومجدي ينبغي أن تكونا معاً، لكنني أريد أن تعطي نفسك مساحة وتسمحي لها بالحب مرة أخرى، إذا كان قصد الله لكما أن تكونا معاً. إن أهم شيء خلال هذه الفترة الحالية، هو أن تمكثي بعيداً عن أي فخ ينصبه إبليس حتى يمنعك ويحرمك من رؤية مشيئة الله لك".

"مثل ماذا؟" سألتها.

"مثل سماحك للمفاهيم الجسدية للعلاقة أن تؤدي بك إلى أن تطلق العنان لعواطفك مبكراً جداً. احترسي من التجربة لئلا تسقطي في فخ المحبة الجسدية إلى أن تستمتعي بالجانب الجسدي من الزواج".

"إنك تقولين كل هذه الأمور وكأنك كنت تعيشينها أو تخبرينها يا بسمه"، قلت لها وأنا أبتسم

"كلا، لكن لأنني أعلم أن أحرس قلبي أيضاً يا أختي. كلنا لدينا تجارب وفخاخ يضعها إبليس لنا".

"أعتقد أنني أعرف ما هي تجربتك أو فخك".

"انتهي"، قالت بينما كانت تضربني على ركبتي بيدها.

"لكن عيناك على الطريق يا بسمه. إنني أريد الذهاب إلى موناستير".

"نعم، وأنا أيضاً. أكيد سيكون شهراً جميلاً".

"إنني أرى ذلك".

الفصل الثالث والثلاثون

سرنا بالسيارة على الطريق السريع، نضحك ونتكلم. كما كنا نرنم بعض الترنيمات التي عرفناها من الكنيسة. كانت أم بسمّة تحب الترنيم وعندما ننتهي من ترنيمة كانت تطلب أن نرنم أخرى. لم أستمع أبداً بالذهاب إلى موناستير مثل هذه المرة وفي هذه الرحلة. يا له من تغيير عظيم. هل أجروا على أن أسمح لقلبي - كما قالت بسمّة - أن يشعر بالحب مرة أخرى؟ ويحب مجدي؟ كان هذا سؤالاً صعباً، لكن كل مرة كنت أفكر فيه كان يتولد بداخلي شعور جيد. إنه من الرائع أن يجمعنا الله معاً مرة أخرى؟ أعرف أنه كان لابد أن أكون حريصة.

لم يكن لدي أية فكرة عن ميعاد حضور مجدي، لذلك حاولت أن أخرج من ذهني عندما وصلنا إلى منزل أسرة بسمّة على الشاطئ. كان الشاليه متواضعاً مثل معظم الشاليهات التي تمتلكها العائلات التونسية، لكنه كان يقع في بقعة جيدة على الشاطئ. كان يوجد سور يحيط بالشاليه مما يعطيه نوعاً من الخصوصية والعزلة، لذلك كان منفصلاً عن المناطق العامة والمزدحمة. قامت بسمّة بصحبتني في جولة سريعة حول المنزل ثم ساعدتها في تفريغ ما كان بالسيارة. كما ساعدنا أمها حتى تستطيع أن تفرّج جسدها وتعال قسماً من الراحة بعد الرحلة الشاقة.

بمجرد أن أفرغنا حقائبنا وقمنا بترتيب المنزل، تركنا أمها نائمة ثم نزلنا إلى الشارع لنشتري بعض الأشياء من محل البقالة. كان الجو حاراً لكنه كان مُحتملاً، وذلك لأن البحر يساعد على وجود نسيم لطيف. لم يكن

محل البقالة بعيداً، كما وجدنا معظم الأشياء التي نحتاجها لنجهز المطبخ لمدة شهر. كان من الممتع أن أقوم بمساعدة بسمه. لأول مرة في حياتي أشعر بأن لي أختاً. لم أقم أبداً بالطهي لوجود خادمة لدينا، لكنني تعلمت بسرعة وبدأت أساعد بسمه في أعداد السلطة للعشاء.

قضينا الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى دون أن يأتي أحد غيرنا. كان لطيفاً أن أستريح في مثل هذا الجو الهادئ. كل صباح كنت أنا وبسمه نقرأ فقرة من الكتاب المقدس ونصلي معاً، وكانت أمها تشاركنا كلما استطاعت ذلك. كما كانت تستمتع بسماع المزامير بينما كنت أقرأ لها أمام البحر، لاحظت أن البحر يقدم دليلاً على عظمة الله التي يتحدث عنها سفر المزامير. شعرت، وكأني أرى موناستير والشاطئ لأول مرة في حياتي. في الواقع كان كل شيء عشته واختبرته، منذ أن أتيت إلى المسيح ودخلت الإيمان، جديداً، لأنني الآن أسمع وأرى بأذني وعيني يسوع المسيح، لقد اختلف عالمي تماماً وشعرت أن كل شيء حولي قد تغير تماماً. لم يكن هذا لأنني أردي نظارة وردية وملونة، لأنني ما زالت أرى الجروح التي كانت واضحة في الحياة، لكن الآن أدركت وعرفت ما يكمن خلفها. لقد أصبحت متشوقة جداً ومنفعلة لأنني عرفت كيف يقدر أن يغير الله حتى مستقبل دولتي وأهل دولتي.

كان أخو بسمه بعائلته أول من رافقونا، كان أخوها منصف يكبرها بعدة سنوات وكان متزوجاً من سيدة أجنبية. لم يكن هذا شيئاً غير عادي في تونس، لأن دولتنا لها علاقة مع الدول الأوروبية المجاورة لنا، مثل فرنسا وإيطاليا، والزواج المتبادل كان سائداً فالكثير والفتيات من الشباب التونسي تزوجوا من أجنبى بهدف الهجرة إلى الأراضي التي تحمل لهم مستقبلاً

باهراً من الناحية الاقتصادية أو السياسية. إنني أعرف الكثير من هذه النوعية الذين بمجرد الحصول على الجنسية سريعاً ما يتم الطلاق. حقا، كانت عملية محزنة لكنها كانت واقعاً.

وهذا يظهر سبب إعجابي بزواج أخي بسمة وجعله موضوعاً شيقاً بالنسبة لي. عندما قابلتهم لأول مرة وتعرفت عليهم صُدمت جداً عندما وجدت زوجة منصف تتحدث اللغة العربية - التونسية. إنها تفهم كل شيء يحدث في الاجتماعات كما كنا نفهمها جيداً. لم أسمع أبداً عن امرأة أجنبية تستطيع أن تتكلم التونسية بهذه الطلاقة. أما الشيء الثاني الذي أذهلني هو أنها كانت تعيش في تونس مع زوجها. ولم يكن لديهما أي تفكير في الهجرة أو مغادرة تونس. لماذا تترك امرأة أجنبية عائلتها في بلد أوربي وتأتي لتعيش مع زوج تونسي في بلده؟

لم يكن لدي إجابة لهذا السؤال الذي شل تفكيري إلى أن التقينا في موناستير فانتهازت الفرصة لأسألها بنفسي حتى أشبع فضولي:

"إلين"، بدأت أتكلم معها يوماً ما، بينما كنا نسترخي على الشاطئ: "أحب أن أسمع كيفية مجيئك إلى تونس وسبب المجيء هل يمكنك أن تروي لي قصتك؟"

"أحب ذلك، بالطبع، يا إيمان، أجابت على سؤالتي بكل لطف: "لكن هل لديك مانع في أن أعرف سبب سؤالك؟"

"إنني أجد أنه من الغريب أن تعيش أجنبية مع زوجها هنا، وتترك عائلتها لتمكث هنا".

"أفهم وأتخيل كم تشعرين بأنه أمر غريب بالفعل. السبب وراء هذا هو أنه شيء إلهي".

"شيء إلهي؟ ما هذا؟" سألتها متعجبة على هذا التعبير الغريب.

"الشيء الإلهي هو ذلك الشيء الذي يفعله الله وحده"، بدأت إلين حديثها: "إن الأشياء التي نتوقعها أو تكون مفهومة لدينا، من السهل جداً أن نجد لها تبريراً، لكن عندما يكون الشيء غير متوقع حدوثه أو غير عادي، تكون الفرصة عظيمة لأن يتمجد فيه الله".

"آه، لقد فهمت"، كانت تلك الكلمات هي إجابتي، لكن لم أكن واثقة أنني فهمت تماماً.

"الله هو الذي دعاني لأترك وطني وأسرتي وأن آتي إلى تونس. لم أفعل هذا بنفسني، لقد وضع الله في قلبي شهوة أن أرى الشعب في هذا البلد وهو يعرف يسوع المسيح. لم أعرف ما الذي أستطيع أن أفعله. في البداية لم أكن أعرف اللغة التي بها يمكنني المشاركة بإيماني، لكنني عرفت أن مجرد الحياة هنا قد تجعلني نوراً للمسيح بالطريقة التي أعيش بها. الآن، لأنني موجودة في تونس لعدة سنوات، أعطاني الله عدة فرص لأشارك بإيماني. كان لابد أن أكون حريصة، كأجنبية، ألا أظهر وكأنني شخص ما يريد أن يغير إيمان وعقيدة الناس، لكن كان من المذهل أن الكثيرين قد سألوني عن إيماني وعن الكتاب المقدس. كما أنني كنت أعرف أن الله هو الذي يغير وليست أنا من أقوم بهذا التغيير. كل ما كنت أفعله هو أنني كنت أحاول أن أكون أمينة في نثر البذور، والمشاركة بالأخبار السارة (الكتاب المقدس). إنني أعيش في تونس لأن الله أحبني وغرس في

قلبي محبة لشعب تونس. هل قدمت هذه الكلمات إجابة واضحة على سؤالك؟".

"نعم، لكن لديّ سؤالاً آخر".

"تفضلني، دعيني أسمع هذا السؤال الآخر".

"هل يدعو الله كل مؤمن كما دعاك أنت؟".

هذا سؤال ممتاز يا إيمان. نعم الله يدعو كل مؤمن. لكنه لا يقدم نفس الدعوة لكل الناس ولا يكلف الجميع بنفس المهمة. إنه يدعو البعض لأن يتركوا كل شيء ويذهبوا إلى أماكن بعيدة ليشاركوا إيمانهم مع الآخرين. كما يدعو البعض ليظلوا في أماكنهم ويشاركوا إيمانهم أيضاً مع آخرين، وهذا يكون أحياناً من الصعب. البعض مدعوون لمساعدة الآخرين بزيارتهم أو الصلاة أو التعليم. هناك طرق عديدة لنخدم بها في الملكوت عندما يدعونا الله. أهم شيء هو أن تكوني مستعدة ويكون لديك رغبة في خدمته في أي مكان يقودك إليه".

"سوف أتذكر ذلك. أشكرك يا إيلين"، ثم احتضنتها قائلة: "إنك مثال رائع لي. ليتك تصلي من أجلي حتى أسمع صوت الله عندما يدعوني".

"مثل هذه اللحظات كانت تخبرني بأن هذا الصيف سيكون بدون شك مختلفاً عن أي صيف آخر. كنت بالفعل أختبر الحياة القريبة من الناس الذين كانت لهم قصص غريبة. لقد كان المذهل الحب الواضح في هذه العائلة - لبعضنا البعض ولله. كنت أتعلم أشياء كثيرة. في خلال الأسبوع التالي، جاء مؤمنون آخرون لزيارتنا. كان البعض يمكث لمدة يوم، وكان

البعض الآخر مقيمين بجوارنا. لقد كبرت مجموعتنا على الشاطئ وكانت محادثتنا تتم بصورة حيوية، أما كل مساء فمهما كان حجم المجموعة، كنا نجهز العشاء ونطعم جميع الموجودين في المنزل. كان دائماً يبدو أن هناك طعاماً كافياً بدرجة كبيرة. لقد أدركت أن كل من يأتي يُحضر معه طعاماً ومشروبات ليساعد معنا في الوجبات. لم يسبق لي أبداً أن شعرت بمثل هذا الشعور بالعائلة.

كانت ليلة، بعد العشاء، كان لدينا وقت للترنيم والعبادة. فإذا كان هناك شخص قد لمستة آية أو فقرة معينة في الكتاب المقدس، يمكنه (أو يمكنها) أن يشارك بها مع المجموعة. كل مرة كان هناك شيء مختلف، لكنه كان دائماً رائعاً. مضت الليالي في السهر لأوقات متأخرة بعد الاجتماعات حيث كنا نلعب كوتشينة أو طاولة أو نتحدث معاً.

بحلول الأسبوع الثالث من شهر أغسطس، وصل مجدي، لقد جاء مع يوسف وعائلته، وكانوا يقيمون في المنزل بجوارنا. في البداية كانت مشاركتهم لنا فقط في الاجتماعات العادية ولم يتغير أي شيء. بالرغم من ذلك، ذات ليلة أثناء قيامي بغسل الأطباق والأواني في المطبخ، وجدت مجدي يقف بجواري.

"هل يمكنني مساعدتك؟".

"بالتأكيد"، أجبت بتوتر: "توجد مساحة في المطبخ لذلك. لماذا لا تجفف ما أقوم بغسله". عندما أخذ بيده منشفة ليجفف بها ما قمت بغسله من أطباق، شعرت أنه يبحث عن كلمات ليقولها. "إيمان"، بدأ ينطق أخيراً، لا تعلمين كم انتظرت لأجد لحظة مناسبة مثل هذه لتحدث سويًا".

"أعتقد أن المكان الآن مزدحم"، أجبته محاولة أن أكون طبيعية.

"كلا، إنني أقصد منذ أن بدأت تأتي إلى الاجتماع في منزلي".

"إيمان، لقد بدأت أسأل الله - عندما رجعت مرة أخرى إلى حياتي - عن قصده من هذا الرجوع. لقد سررت بأن أراك لكن أيضاً كنت أخشى أن أسمح لمشاعري أن تتخربط في غير الطريقة التي أرادها الله".

"شعرت بنفس الشيء أيضاً يا مجدي".

نظر إليّ في تعجب ودهشة وقال: "حقاً، يا إيمان؟". أومأت له برأسي دون أن أرفع عيني نحوه، فقال: "إنني سعيد جداً أن أسمعك تقولين هذا. على أي حال، لقد قضيت أياماً عديدة في الصلاة والصوم حتى أسمع صوت الله وأتأكد أن هذا صوت من الله وليس من رغباتي الخاصة. لقد أخذت بمشورة مؤمن آخر حتى أتأكد من أنني أسير في طريق الله السليم. من خلال كل هذا أصبح لدي تأكيد في قيادة الله للأمور والأوضاع". ثم توقف لفترة ووجدت نفسي أراوغ بخوف في الانهماك في العمل الذي أقوم به، فقال: "إيمان، من فضلك، توقفي عن غسل الأطباق وانظري إليّ".

وضعت الطبق الذي كان بيدي وجففت يدي بالمنشفة التي كانت في يده. بينما كنت أقوم بهذا، وجدته يأخذ بيدي ويضعهما في يديه، وقال: "هل تقبلين أن تتزوجيني؟".

"هل أنت متأكد أنك في حاجة لي يا مجدي؟، يوجد الكثير من الفتيات هنا أفضل مني بكثير".

"إيمان، أنت أحسن وأفضل فتاة بالنسبة لي. أنت الفتاة التي يريدّها الله لي، إنني متأكد من هذا تماماً".

"على أية حال ما الذي يمكنني أن أفعله لك؟".

"إيمان، إنني أحبك".

"لا أستحق مثل هذا الحب، يا مجدي". كانت يداي ترتعشان وهما في يديه.

"أحبك يا إيمان". وضغط على يدي بشدة: "من فضلك اقبلي هذا العرض".

"وهو كذلك نعم، سأتزوجك".

"نعم...؟"

ونظر إلي بعيونه البنية القاتمة.

"نعم يا مجدي"، أحبته مرة أخرى، وفي هذه المرة كنت أنا التي أضغط على يديه: "إنني أحبك أيضاً".

"آه يا إيمان"، قال مجدي وهو يحتضنني بقوة: "لقد جعلت مني شخصاً سعيداً جداً الليلة. هيا بنا نذهب ونخبر الجميع!".

"انتظر، يا مجدي"، قلت له فجأة، بينما رجعت إلى الواقع، كيف نتزوج؟ أُمي لن توافق أبداً! "الرب سوف يظهر لنا ويعرفنا كل شيء يا إيمان!". أجابني بثقة.

لقد أخذ بيدي وقادني إلى حجرة الجلوس حيث كان معظم أصدقائنا مجتمعين وقال: "هل يمكنكم الانتباه لي لحظة واحدة، من فضلكم؟". توجهت كل الأنظار إلينا، وشعرت بأن وجهي تحول إلى اللون الأحمر تماماً.

"أود أن أعلن عن شيء ما"، بدأ مجدي بابتسامة على وجهه: "لقد وافقت إيمان على أن تصبح زوجة لي!".

لم أكن أتخيل النبع المتدفق من الحب في مدى استجابة وتفاعل هذه المجموعة مع هذا الإعلان. لقد علت الصيحات وسُمعت الزغاريد للتهنئة. لقد وضع مجدي يده على كتفي، ونحن وقوف بينهم، نستقبل ردودهم وتهنئتهم لنا، وعرفنا مدى فرحهم لهذا الخبر. بسرعة، نهض الجميع وبدأوا يقدمون لنا التهنئة والتحية بالأحضان والقبلات. ثم وقف رياض فوق كرسي حتى يسمعه الجميع: "من فضلكم، دعونا ننتهز الفرصة ونقدم شكرنا لله على هذه الأخبار المثيرة وأن نصلي من أجل إيمان ومجدي لاستعدادهما للزواج ومواجهة المسألة مع عائلتيهما بخصوص هذا القرار. جميعنا يعرف المشاكل القوية التي ستواجههما، لكننا أيضاً نؤمن بالله الذي يسمع ويساعد أولئك الذين يدعون باسمه".

بعد ذلك أحاط بنا الجميع ووضعوا أيديهم علينا وأحنوا رؤسهم للصلاة من أجلنا. لقد بدأ رياض قائلاً: "أبي السماوي، الليلة يا رب نبتهج لأنك جمعت أخانا مجدي واختنا إيمان معاً ليعيشا حياة مقدسة معاً كزوج وزوجة. يا رب، نعلم أنك سوف تستخدم منزلهما كمنارة وسط الظلام وأيضاً ستجمع كنيستك هناك أيضاً. يا رب، أطلب أن تجعل منزلهما مركزه

يسوع المسيح وأن يغمره حبك، حتى كل من يدخل إليه يشعر بحضورك ويأتي إليك وإلى معرفتك من خلال يسوع المسيح".

أرتفع صوت آخر في الصلاة: "نعم، أبي السماوي، أتحّد مع أخي في هذه الصلاة، وأريد أيضاً يا رب أن أرفع مجدي وأيمان أمامك. يا رب أنت تعرف الظروف كلها وكل ما يدور في عائلتيهما. كما تعلم أنه ستوجد مصاعب أمامهما. نعم يا رب، نعلم أنك تريد أن تتمجد في هذا الارتباط بالزواج، لذا نسألك أن تجهز الطريق أمامهما ليجتمعا معاً كزوج وزوجة. يا رب، نسأل أن تضع الحنان والمحبة في قلوب والديهما واجعلهم يباركون إرتباطهما ويقبلونه. يا رب سهل الطريق أمامهما. يارب، إن كانت مشيئتك أن يكافحا، فليتك تعطيهما قوة ومعونة ونعمة للثبات أثناء وقت الشدة. في اسم يسوع أصلي، آمين".

استمرت الصلاة من شخص لآخر، مؤيدة للسابق ومضيفة إليها طلبات أخرى. لقد شعرت بحضور الله الذي لم أختبر مثله من قبل. لقد عرفت أنه مهما ينتظرنا في المستقبل، فالله سيعطي مجدي ويعطيني قوة لنجتازه. لم أستطع أن أصدق إنني واقفة بجوار مجدي، ذلك الذي طلب مني الزواج! لقد بدأت تنهمر الدموع من عيني وتتدحرج على خدودي لأنني شعرت بحبه وبحب أولئك المحيطين بنا. لا شيء آخر يمكن مرة أن ينسيني تلك الليلة. لقد كانت الليلة هبة مجانية من الله لي.

عندما انتهت الصلاة، بدأ الجميع مرة أخرى يحتضنوننا ويقبلوننا. كانت بسمه آخر إنسانة تتكلم معي: "كان لدي أحساس بأن الرب سيفعل هذا خلال هذا الصيف"، قالت لي هذا وهي تحتضني بقوة: "إنني سعيدة

جداً بك يا إيمان. سوف يباركك الله أنت ومجدي بطرق لا يمكن أن تتخيلها".

"لقد باركنا الله بالفعل". أحببتها والدموع تملأ عيني.

"أريدك أن تعرفي أنني موجود معك لمساعدتك في أي وقت تحتاجين إليّ فيه".

"أعرف ذلك يقينا يا بسمه، فأنت أخت لي".

"هذا حقيقي"، وأضافت بسمه وتعلو وجهها ابتسامة رائعة: "إنني أعرف أنكما ستفعلان نفس الشيء حينما يأتي يوم فرحي!".

"تعلمين أنني سأفعل ذلك، أثق أن هذا اليوم سيأتي أسرع مما تتوقعي!".

"لا أعلم شيئاً عن هذا. ما زلت أواصل الصلاة! لقد احتضنتني مرة أخرى وقالت: "الآن، اسمحي لي أن أحضر بعض الحلويات حتى نحتفل بطريقة خاصة!".

الفصل الرابع والثلاثون

لقد كانت ليلة رائعة يملؤها الفرح والسعادة، وبدأ الجميع يتكلمون ويتناقلون أخبارنا السعيدة. شعرت بأنني سعيدة جداً وأنا أجلس بجوار مجدي كخطيبة له. كان يمسك بيدي طوال المساء واحتفظ بالابتسامة على وجهه. لقد كان هذا "شيئاً إلهياً"، كما كانت تقول لي إلين عما حدث معها. لقد كنا اثنين من الشباب الذين دمرنا نفسيهما بالكامل لكن الله جعل منهما خليفة جديدة تماماً بسبب عمل المسيح. والآن لقد سمح الله لنا بنعمته أن نعيش ونقضى باقي حياتنا معاً. كان الموقف أكبر مما أستطيع أن أتعامل معه. أعرف أنني لا أستحق كل هذا الحب سواء من الله أو من مجدي، لكنني كنت شاكرة جداً وأعترف بعدم الاستحقاق.

مضى الأسبوعان التاليان بسرعة، وكنا نستمتع بالوقت معاً كمجموعة. لم يتغير شيء في نظامنا، ما عدا أنا ومجدي، حيث كنا نقضى بعض الوقت سوياً كل يوم نصلي، ونقرأ الكتاب المقدس، ونحدث عن المستقبل. لقد عرفنا أن هناك عديداً من القرارات لابد أن نتخذها. لقد طلبنا نصيحة الآخرين في مجموعتنا، من هم أكثر نضجاً ولديهم خبرة في مثل هذه المسائل.

بالرغم من اعتقادي بأننا - أنا ومجدي - كنا نرغب في أن نتزوج في نفس الأسبوع، جاء منصف، أخو بسمه، وطلب منا أن نأخذ وقتاً حتى نهذاً ولا نسمح لرغباتنا بأن تقودنا. أعتقد أنه أراد أن يجعلنا أن نتأكد من

إننا لا نرغب في الزواج هرباً من عائلتي وأني يكون لدى العائلتين فرصة في مناقشتنا وقبول قرارنا.

"منصف"، قلت له ذات ليلة في يأس: "إنك لا تفهم مشكلتي. لا أتخيل أبداً أن والدي سيوافقان على هذا الزواج. لذلك، ما فائدة الأخذ برأيهما؟".

"أعلم أنه من الصعب جداً مواجهتهما يا إيمان"، بدأ منصف يقول: "لكنني أؤمن بأن الرب يريد منكما عمل هذا. نحتاج إلى أن نكرم الأب والأم، كما يقول الكتاب المقدس. معنى أن نكرم أبك وأمك هو أن تشاركهما رغباتك وتطلب موافقتهما. الآن ولأننا نعرف أن والديك غير مؤمنين، فأنت لست مقيدة باستجاباتهما، لكن مقيدة بتنفيذ الوصية فقط. إذا كان قرارهما ضد مشيئة الله لحياتك فأنت حرة في إتباع الطريق الذي يحقق مشيئة الله دون أن تسببي لهما أي خزي. هل هذا مفهوم؟".

"إيمان"، قال مجدي، قبل أن أرد على منصف: "إنني أرغب في التقدم إلى والديك طالباً يدك منهما لأتزوجك، إنني لا أخشى أن أعلن حبي لك أمامهما ورغبتني في الزواج منك".

إنني أعلم ذلك جيداً يا مجدي، وبأي طريقة سأفعل هذا. لكنني مضطربة، لا تعرف كم ستغضب أُمي. إنني أدرك ما ستقوله يا منصف أيضاً، وأهم شيء لي هو أن أكرم الله، فإذا كان هذا يتطلب مني أن أكرم أبي وأُمي، فسأفعل هذا بالتأكيد لذلك السبب".

"إيمان، لن تجتازي كل هذه الأمور بمفردك"، قال منصف: "عائلتك الموجودة هنا سوف تعضدك وتشاركك الصلاة وأي شيء آخر يمكن أن نقوم به معك في هذه العملية".

"لن أستطيع أن أفعل أي شيء دون مساندتكم لي بالصلاة".

"الآن، أعلم أنكما في عجلة وترغبان الزواج، لكن أريد منكما أن تقتنعا بأن يكون أمامكما على الأقل شهران لمناقشة بعض المسائل مع عائلتيكما. إذ وجدتما أنكما بالفعل تناقشتما مع عائلتيكما وبذلتما كل جهد لتوضحا لهما خططكما، من ثم نستطيع أن نحدد تاريخاً للزواج. هل هذا الكلام مقبول لديكما".

لقد أشار كل منا برأسه دليلاً على الموافقة. أدركنا بالفعل أن كلام حق. إنه يريدنا ألا نندفع إلى الخارج ونسرع ونتزوج. لقد ذكرنا مبكراً عن مراسم الزفاف. كان لابد أن نتطلع إلى وجود أصدقاء غير مسيحيين وعائلاتهم معنا، حتى يمكننا المشاركة بنشر بشارة المسيح ونعلن لهم عن الزواج المبارك من الله.

قضيت مع مجدي وقتاً طويلاً قبل أن نعود إلى تونس مع بسملة بيوم. كان أصدقاؤنا كرماء جداً حيث أعطونا مساحة من الوقت لنجلس سوياً حتى نأخذ كثيراً من القرارات الضرورية. جلس مجدي ومعه الكتاب المقدس على جهاز الكمبيوتر المحمول، وقال: "إيمان، أريد أن أقرأ لك آية من الكتاب المقدس وجدتتها اليوم".

"وهو كذلك، يا مجدي"، أجبته وكلي شغف لسماع ما تقوله الآية.

"إن لم يبين الرب البيت فباطلاً يتعب البناءون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس" (مز127: 1). أريد أن يُبنى بيتنا بيد الرب يا إيمان. إن لم يكن الرب معنا في زواجنا، فلن نستطيع أن نفعل شيئاً نهائياً".

"فعلا معك كل الحق". هذا كل ما أجبت به على كلام مجدي.

"إنني أشكر الله أنه سمح لي أن أرى وجهي العملة الواحدة. اخترنا العلاقة بدون الله، بالرغم من أنه كان لدينا لحظات من الشراهة والطمع، إلا أنني لا أستطيع أن أقول إنها كانت علاقة جيدة. أما الآن فإلهنا الكريم قد سمح لنا بأن نرى ما هي العلاقة المبنية على المسيح، وكل ما أستطيع أن أقوله عن هذه العلاقة إنها رائعة جداً".

"إنني أشعر بنفس الشيء يا مجدي. بالرغم من معرفتي بأنك أحببتني من قبل، فقد كنت يائسة وتعاملت معك بقسوة، لأنني لم أكن أعرف كيف أحب نفسي. الآن، المسيح هو الذي أظهر حبه لي، وليس ذلك فقط، بل علمني كيف أحب الآخرين. لم أكن من قبل كذلك. وضع مجدي ذارعه من حولي وقبلني برقة في خدي. لقد قارنت في ذهني بين هذه القبلية وبين تلك التي كانت في أيام الشهوات والإنسان العتيق. الآن اختلف المعنى بالكامل.

"إيمان، أريد أن نأخذ وقتاً لنصلي. الأيام والأسابيع القادمة ربما لا تكون سهلة، ونحتاج إرشاداً من الله لنا وقوة ونحن نتحرك تجاه المجهول. هل ستصليين معي؟".

"بالطبع".

"كلانا أحنى رأسه وأمسكنا بأيدي بعضنا وبدأ مجدي يصلي: "أبي السماوي، لا أستطيع أن أعبر لك عن سعادتي اليوم. أولاً لأنه عظيم جداً أن يكون لنا أب سماوي عظيم مثلك يحبنا وقد أعد لنا طريقاً لكي نتقابل معه ونعرفه معرفة شخصية. لم تعد بعيداً وغامضاً، لكنك قريب منا الآن

وموجود معنا من خلال الكلمة، يسوع المسيح. شكراً يا رب من أجل أنك تعد لنا الطريق لتكون السماء معنا على الأرض وأن يكون لدينا رجاء في المستقبل. أيها السيد الرب، لا يسعني سوى أن أقدم لك الشكر لأنك غفرت لي كل ذنوبي من خلال يسوع المسيح. لقد أخطأت كثيراً ضدك، وسببت لك ألماً، يا رب لن أكرر هذا ثانية، لكنني أريد أن أعيش لك دائماً وبالكامل. أعلم أيضاً أن إيمان لديها نفس الأثواق، وهذا سبب مجيئنا معاً. نريد أن تكون حياتنا شهادة على عظمتك ومحبتك. نرى الناس تأتي إليك من الظلمة إلى النور، ونعطيك كل المجد والحمد من أجل ذلك، ولا يعود شيء إلينا. أشكرك أيها الرب لأنك أخذتنا إلى ملكوتك، وأشكرك على سماحك لنا أن نأتي إليك كزوج وزوجة. والآن يا رب نحتاج إلى مساعدتك ومعونتك. نريد أن نشارك هذه الأخبار الخاصة بنا مع والدنا هل تسمح يا رب وتعد قلوبهم لقبول كلماتنا؟ أعطنا الشجاعة يا رب. لنشاركهم دون خوف، ساعدنا لكي نستمر في الطريق الذي أعددت لنا، حتى إذا جاء رفضهم ومعارضتهم. أرجو يا رب أن يكون زواجنا شهادة عن شخصك ومثابرة في طلب أن نحيا كزوج وزوجة بالطريقة التي تُسر قلبك. لبتك يا رب تساعد إيمان عندما ترجع إلى عائلتها غداً. أعطها سلاماً وثقة أمام أسرتها. نصلي ونطلب كل هذا في اسم يسوع الثمين. آمين."

بينما كانت رأسانا منحنيتين، بدأت أصلي صلاتي البسيطة: "إلهي وربي، أنت وحدك تعلم أنني لا أستحق هذا الشخص ومحبته لي، كما أنني لا أستحق محبتك الفائقة. لكن، أشعر بمثل هذا الحب منك، لذا فإنني أشكرك يا رب. ساعدني أن أكون، تلميذة مخلصه للمسيح وأن أكون زوجة

تقية لمجدي. ساعدني أنا ومجدي، يارب، حتى نعتمد عليك في الأيام المقبلة. أعلم وأثق أنك ستساعدنا في كل شيء. في أسم يسوع. آمين".

وضع مجدي ذراعه حول كتفي واحتضنني بقوة وقال: "سأفتدك كثيراً".
"وأنا أيضاً سأفتدك كثيراً".

"سأكون مع يوسف وعائلته يوم الأربعاء، هل يمكنك الاتصال بي يوم الخميس حتى أطمئن عليك؟".

"بالطبع". ثم واصلت حديثي له دون أن أكون واثقة مما أقوله: "من فضلك يا مجدي اذكرني في صلاتك حتى أستطيع أن أحدد طريقة أنقل بها كل هذه الأمور لأسرتي".

"من ثم أستطيع أن أحضر لزيارتكم وأعلن لهما عن كل شيء بنفسي".

"ربما تكون هذه أفضل طريقة. على الأقل لن يكون لديهما وقت كافٍ لإحباطي قبل مجيئك. وربما أيضاً تخفف من حدة الموضوع".

"لأبد من مواصلة الصلاة لأجل هذا الأمر، ويمكنك أن تخبريني بما قررت عندما تتصلي بي يوم الخميس"، قال مجدي: "إنني أثق جيداً بأنك ستفعلين ما يناسب والديك".

ثم قررنا أن نرجع ثانية إلى أصدقائنا وأن نقضى بقية الوقت معهم لنستمع برفقتهم. كنت أخشى العودة إلى الأسرة لكن الفرح لوجودي مع مثل هذه المجموعة الخاصة والتميزة ساعدني كثير لكي أستريح من أعبائي.

الفصل الخامس والثلاثون

جاء مجدي ليودعنا في صباح اليوم التالي. كان من الصعب علي أن أترك قمة جبل السعادة وأرجع إلى وادي الواقع، لكنني رحلت وكلي يقين بأن الرب سوف يقودني للأمام في الأوقات العصيبة القادمة. لأنني رجعت مع بسمه وأمها في سيارتها، كانت لي فرصة حقيقية لأتكلم مرة أخرى مع صديقتي الممتازة بسمه عما حدث خلال هذا الشهر. لقد ضحكنا وابتهجنا معاً لصلاح الله. كانت بسمه تعرف أن عودتي إلى المنزل ليست سهلة، لكنها قضت وقتاً في الصلاة وهي تقود السيارة طالبة من الله أن يرشدني ويقويني ويشجعني.

بينما كنا متجهين إلى منزلنا، نظرت إلي بسمه وأمها وقلت: "لا أستطيع أن أقدم لكما شكراً كافياً لأنكما منحتماي هذه الفرصة لأكون معكما خلال هذا الشهر. إنها أهم فرصة في حياتي. إنني أشكر الله من أجلكما".

"إننا نحبك يا إيمان"، قالت مدام سعيدة من المقعد الخلفي للسيارة: "إنك فتاة رائعة وممتازة".

"ربنا معك يا أختي"، قالت بسمه، بينما بدأت تقود السيارة وتتركني.

وقفت إلى جانب الطريق وراقبتهما إلى أن اختفتا عن الأنظار. وشعرت بأنه شيء جميل أن يأخذني أحد بعيداً عن أسرتي لفترة من الوقت. ثم استدرت لأنظر منزلنا بنظرة يملؤها الفزع واصلت: "يا يسوع،

لابد أن تساعدني". بينما كنت أتقدم خطوة تجاه الباب. في لحظة واحدة، تلاشى الخوف، وبدأت أتحرك بسرعة تجاه الباب وكلي تصميم جديد، ثم ضغطت على مفتاح جرس الباب.

كانت فاطمة أول إنسانة أقابلها في المنزل. حمداً لله على سلامتك يا أنسة إيمان"، قالت وهي تبتسم: "إنني سعيدة برجوعك إلينا مرة أخرى".

"شكراً يا فاطمة"، أجبتها بينما كنت أستدير: "كيف حالك؟ هل صحتك جيدة؟".

"الحمد لله، إنني بخير"، قالت فاطمة، ثم أخذت حقائبي، واتجهت إلى حجرتي.

"هل رجع أبي وأمي، يا فاطمة؟".

"من المفروض أن يرجعاً في الصباح"، جاءت إجابتها.

لا أنكر أنني كنت سعيدة لسماع هذه الإجابة، فشعرت بالراحة والهدوء. لقد شعرت وكأن حملاً ثقيلاً سقط من على كاهلي. الآن لدي وقت لأفرغ حقائبي، وأسترخي في حجرتي، ثم أبدأ أجمع أفكاري وأرتبها قبل عودة والدي وأخي. شعرت أنه جميل أن أعود مرة أخرى إلى حجرتي بعد قضاء شهر بعيداً عنها. وبمجرد أن قمت بالاستحمام وتغيير ملابسني، وتمددت على سريرني وفكرت في الشهر الذي قضيته مع بسمة والمجموعة. لم يقاطع تدفق حبل أفكاري سوى يد تطرق على الباب.

"أنسة إيمان، هل ترغبين في تناول الغذاء؟"، قالت فاطمة في وقار ومهابة.

"أعتقد أن شيئاً مثل هذا سيكون رائعاً، يا فاطمة، أشكرك". نهضت من الفراش وصففت شعري، وذهبت إلى المطبخ حيث كانت فاطمة تجهز أنواعاً كثيرة من الطعام، فقلت لها: "ما كل هذا، يا فاطمة؟ إنني بمفردي، لقد جهزت طعاماً كثيراً".

"كنت أجهز أشياء عديدة لعودة أسرتك، لذا أعتقد أنك ستحبين أن تجربي بعض هذه الأكلات".

"إذاً لابد أن تجلسي معي وتشاركيني الطعام. إنني لن أستمتع بتناول هذا الطعام بمفردي".

"كلا، يا آنسة، ليس من الضروري".

"إنني أصر على ذلك". ثم قمت من مكاني وأحضرت طبقاً آخر من الدولاب.

"بالإضافة إلى ذلك، كيف حالك وحال أسرتك. ماذا فعلتم خلال هذا الشهر، بينما لم نكن موجودين هنا؟". لم تعتد فاطمة على تناول الطعام معنا، لذا جلست مترددة في مواجهتي على المنضدة الصغيرة في مطبخنا. وقبل أن نبدأ في تناول الطعام، قلت بصوت عالٍ: "أشكرك أيها الرب الإله من أجل هذا الطعام الجميل الرائع. يا رب بارك فاطمة وبارك يديها. آمين".

"أشكرك يا آنسة إيمان، هذا شيء رائع ولطيف"، قالت فاطمة وهي مندهشة إلى حدٍ ما لصلاتي القصيرة: "من فضلك يا آنستي، ليتك تجربين

وتتذوقين الكرنب المحشو. إنه لذيذ جداً". "إنني واثقة من أن كل شيء من يديك هو جميل، يا فاطمة. إنك طبّاخة ماهرة ورائعة".

"أشكرك يا آنستي الجميلة".

وهكذا بدأنا نستمتع بالطعام اللذيذ الذي أعدته فاطمة. بينما كنا نأكل، كنت أسألها عن عائلتها وعن شهر الإجازة. لم تكن تدري كيف تجاوبني في البداية، لكن أخيراً بدأت تفتح قلبها وتشاركني عن حياة عائلتها ومشاكلها. إنها قرية صغيرة في الشمال الغربي من تونس، ويعيشون على ناتج محصول الأرض والعمل فيها. ولأن دخل أسرتها صغير، فالأسرة تعتمد على ما ترسله فاطمة إليهم كل شهر. بدأت أتعجب كيف تستطيع فاطمة أن تعيش بالقليل جداً لترسل الباقي إلى أسرتها، لكنني أدركت أن فاطمة لم تكن تحتاج إلى الكثير، حيث أنها كانت تعيش معنا. ثم امتدحتها على كرمها في مساعدتها لتسديد احتياجات العائلة.

بالرغم من أنني كنت أعرف أنها تريد أن تسمع عن أخبار إجازتي أيضاً، إلا أنها لم تسألني أبداً. إن ثقافتنا ترتبط بقواعد وقوانين عديدة غير مكتوبة - أحد هذه القوانين هي أن الذين يعملون بخدمة البيوت لا يوجهون أسئلة شخصية لأصحاب البيوت، فلكل شخص "مكانته" في المجتمع. وبينما كنت أتناول طعامي معها، بدأت أتأمل كيف أن يسوع بنفسه كسر الكثير من هذه القواعد الثقافية حينما كان على الأرض. هل سيستخدمني الله حتى أضع نظاماً ومعيّاراً جديداً في التعامل مع الآخرين؟ ربما يكون هذا من الممكن.

قضيت وقتاً رائعاً في الصلاة ودراسة الكتاب المقدس في ذلك المساء في هدوء حجرتي. إنني أعرف أن الله موجود في هذا المنزل بالفعل ويستطيع أن يعطيني سلاماً. ثم نمت بسكينة وهدوء وطمأنينة وكنت سعيدة برجوعي إلى سريري.

في منتصف النهار كنت أقرأ في حجرة المعيشة وسمعت والذي قادمين إلى الباب. ذهبت فاطمة إلى الباب قبلي ورحبت بأمي وأبي: "حمداً لله على سلامتكما"، قالت بنغمة مملوءة بالسرور. "شكراً لله على رجوعكما بالسلامة".

"الله يسلمك"، كان هذا رد والذي عليها.

"فاطمة أحضري الحقائب من السيارة".

"وهو كذلك يا مدام"، أجابت فاطمة بتواضع.

"شكراً لله على عودتكما، ماما وبابا"، قلت لهما بمجرد أن اجتازا من أمام فاطمة إلى داخل المنزل وقبلتهما.

"كيف حالك يا أبنتي؟" سألني والذي: "متى رجعت؟".

"وصلت بالأمس يا والذي. هل استمتعتما بأجازة سعيدة؟".

كان الجو حاراً جداً، كان رد أمي قبل أن يستطيع أبي الإجابة.

"كانت مريحة، إلى حد ما"، جاءت إجابة والذي: "هيا نجلس ونتحدث

سويّاً".

"سأحضر لك قليلاً من الماء أولاً"، قلت له: "أعرف أنك متعب بعد هذه الرحلة".

"أشكرك، يا إيمان"، قال والدي، وبعد ذلك أضاف: "إنك فتاة رائعة".

بمجرد أن استراح والداي وجلسا في حجرة المعيشة، قمت بتجهيز مشروباتهما وجلست معهما. يبدو وكأنني لم أجلس معهم منذ قرون.

"أين خالد؟"، قلت بينما وضعت امامهما المشروبات.

"إنه لا يزال في موناستير"، أجابت أمي: "إنه يقيم مع فريد لمدة أسبوع آخر. لقد استمتعا كثيراً جداً".

"إنني سعيدة لاستمتاعكما بالإجازة".

"ماذا عن وقت إجازتك يا إيمان؟"، سأل والدي: "لم نقابلك قط".

"أعلم هذا يا والدي، لذلك أعترض. لقد مر الوقت بسرعة، وكان من الصعب جداً أن أترك بسمة وأمها بمفردهما".

"يجب أن نزورهما ونشكرهما لاصطحابك معهما. "هذا ما أقترحه والدي: "لا أعرف متى سيكون لدينا الوقت الذي سيسمح بذلك". قالت أمي: "لقد تركنا عملنا لمدة شهر، ولدينا الكثير يجب أن نفعله في الأسابيع القادمة".

"إنني واثقة أنهما سيفهمان هذه الأمور يا أمي"، قلت لها: "وقتما تشعرين أن هناك الوقت الكاف، رغم أنني أعرف أنهما سيستمعان بالزيارة، يمكنكما أن تخبرانني حتى أقول لهما".

"سوف نرى ما الذي نستطيع عمله بخصوص هذا الموضوع".

لم أعرف هل كان الواجب على أن أنتظر أم أن أدخل في الموضوع معهم، لذلك بدأت صلاة صغيرة صامتة وقلت: "كنت مذهولة جداً من عدد الأصدقاء الذين قابلتهم في موناستير. كان هناك العديد من الذين كانوا معي في الجامعة وكنت أعرفهم. أحياناً كنا نشكل مجموعة كبيرة، نتزاور معاً ونجلس مجتمعين في منزل بسمة".

"إنني واثق بأنك قضيت إجازة ممتعة". هذا ما قاله والدي كتعليق على كلامي.

"حقاً، كانت أكثر من رائعة. كان الشاطئ أكثر متعة مع مجموعة كبيرة من الناس". توقفت للحظة وترددت قبل أن أوصل كلامي: "أود أن تقابلا بعض أصدقائي. هل تأذنان لي أن أعزم صديقاً أو أكثر حتى يتعرفوا عليكما؟".

"بالطبع يا إيمان"، قال والدي: "إن لم يكن لدينا مشغولية أخرى".

شكراً يا والدي. سوف أخبرك بذلك بمجرد أن أتكلم معهم".

"كما تعلمين إنني لا أحب الضوضاء الكثيرة في المنزل يا إيمان"، أضافت أُمي بنغمتها المعتادة.

"كلا يا أُمي، سوف أدعو فرداً واحداً في كل مرة، إذا كنت تحبين ذلك".

"لا بأس، سوف نحتاج إلى ترتيب ذلك".

"بالطبع يا أمي، أجبته ثم أضفت. "أعرف إنك تحتاجين إلى أن تفرغي حقائبك وتستريحين . أعتقد أنني سوف أخرج لفترة قصيرة. أريد أن أحصل على جريدة وأواصل البحث عن وظيفة في صفحة الإعلانات".

"إيمان هل لا تزالين مصممة على البحث عن وظيفة دون مساعدتنا؟"، سألتني أمي.

"نعم يا أمي. حقاً أريد ذلك. أعرف أن الله سوف يساعدني".

"وهو كذلك"، أجابت أمي: "لكن لا تتأخري".

"كلا يا أمي، لن أتأخر".

الفصل السادس والثلاثون

دخلت إلى الحمام حتى أغتسل وأنشط نفسي قبل الخروج. بمجرد أن وطأت قدمي خارج الباب وأغلقت خلفي انكأْتُ عليه وتهدت بصوت عالٍ: "هذه هي الخطوة الأولى"، قلت في نفسي بهدوء. وبمجرد أن غسلت وجهي، شكرت الرب لمساعدته لي على بدء الكلام مع والدي. الآن لا ينقصني سوى أن أعرف متى سيأتي مجدي. كنت شغوفة لخروجي من المنزل.

فكرت في الذهاب مباشرة لمنزل بسمه، أدركت إنه علىَّ أن أبحث عن وظيفة بصورة جادة. لقد ذهبت إلى محل قريب واشترت منه جريدة. كان الجو حاراً، لذلك أخذت أتوبيس إلى مركز تسويق قريب. وبمجرد أن دخلت إلى المبنى المكيف الهواء، وجدت منضدة في مقهى وجلست عليها بالجريدة. كان علي أن أطلب مشروباً حتى أظل جالسة هناك، لكن كان هذا لسروري ثمناً للهواء البارد وللمكان الخاص لقراءة الجريدة.

عندما بدأت قراءة الصفحة المطلوبة وهي صفحة الإعلانات، جذب عيني إعلان عرض وظيفة يقول: "مطلوب، تعلن شركة كمبيوتر فرنسية عن رغبتها في توظيف مبرمجين من الحاصلين على البكالوريوس في علوم الحاسب الآلي في أقسامها. من مواعيد العمل: من الساعة 7 إلى الساعة 2 أو من الساعة 2 إلى الساعة 9 لمدة ستة أيام في الأسبوع. للتقدم إلى الوظيفة أتصل برقم".

هل من الممكن أن تكون هذه الوظيفة لي؟ إن ساعات العمل مناسبة لي، كذلك سأعمل في مجال تخصصي. بالطبع العمل في شركة أجنبية أفضل بكثير عن العمل في شركة محلية. على الأقل سيكون الراتب الشهري جيداً ومضموناً. رفعت الجريدة إلى أعلى أمام وجهي كما لو أنني أقرأها بصورة مقصودة. بينما أفعل هذا، رفعت صلاة قصيرة للرب قائلة: "إلهي، أنت ترى هذا الإعلان. هل هذه الوظيفة لي أنا؟، هل يمكنني أن أجرو على التفكير بأنك دبرت بسخاء وكرم هذا الإعلان لي؟ يا رب أريد أن يتمجد اسمك فيما أفعله على الأرض. إذا كانت هذه الوظيفة منك يا رب، فليتك تسمح لي بأن أشارك محبتك مع الآخرين الذين من حولي. ساعدني حتى أجعل الناس يشعرون بالاختلاف أينما أذهب. أعطني شجاعة لأدعو الناس إليك. في أسم يسوع، آمين".

ثم أنزلت الجريدة إلى أسفل فرأيت وجهاً مألوفاً وودوداً ينظر إلي - إنها إلين!. "إلين!", صرخت بصوت أعلى من المتوقع: "إنني سعيدة جداً لرؤيتك".

سارت تجاهي وجلست معي بعد أن رحبنا ببعض وقبلنا بعضنا البعض: "كيف حالك، يا إيمان؟"، سألتني بحرارة: "لقد رأيته عندما اقتربت منك، أما عندما كانت الجريدة أمام وجهك فلم أتعرف على وجهك. لذلك انتظرت إلى أن أنزلت الجريدة. ماذا تفعلين؟".

"ياه، يبدو أنني حمقاء. لقد رفعتها أمام وجهي لأصلي من أجل أحد الإعلانات بها!", هل تصلي على الجريدة؟"، سألتني بابتسامة تملأ شفتيها.

"كلا"، أجبتهما ضاحكة هذه المرة: "رأيت هذا الإعلان عن وظيفة، وسألت الرب إن كانت هذه الوظيفة من أجلي أم لا"، ثم عرضت عليها الجريدة حتى ترى الإعلان.

"يبدو أن هذا الإعلان يتناسب تماماً مع مؤهلاتك، ربما تستحق هذه الجريدة البحث فيها. ربما تجدي شيئاً ما يا إيمان. هل تعرفين يا إيمان أن هناك شيئاً مهماً؟".

"العمل مهم جداً في الحياة. نحتاج إليه حتى نسدد احتياجاتنا واحتياجات عائلاتنا، لكنه ليس كل شيء في الحياة".

"ماذا تقصدين؟"

"إحدى التجارب والإغراءات في حياة المؤمن هي أن يعمل بجد. لا أقصد أنه لا ينبغي أن نعمل بجد، لكن أحياناً يكون لدينا نزعة لنجعل العمل يسيطر على حياتنا. ثم نبدأ نستمتع بالمال الذي يجلبه العمل ونصرف وقتاً طويلاً في عملنا. إننا نسمح للعمل بأن يسيطر على حياتنا ويدفعنا إلى الأمام ويستحوذ على كل وقتنا لدرجة إننا لا نجد وقتاً نخلي فيه مع الله أو تكون لنا شركة مع المؤمنين الآخرين".

"إنني أفهم قصدك"، قلت لها بعد تفكير عميق: "أعتقد ما تقصدين قوله هو أن وظيفتنا هي وسيلة يستخدمها الله لتسديد احتياجاتنا، لكن احتياجاتنا في الحياة ليست مجرد احتياجات جسدية ومادية".

"أريدك أن تجدي وظيفة وأن تقومي بها جيداً، لكن لا بد أن تتذكري دائماً أن هذه الوظيفة لها مكانتها بين أوليات حياتك. يجب ألا تأخذ المكانة الأولى".

"إنك حكيمة جداً يا إلين".

"هذه حكمة الله ، ليست حكمتي الخاصة. على أي حال، لا بد أن تعرفي أنني سوف أصلي من أجلك طالما تطلبين ذلك".

"إنني شاكرة لله الذي وضعك في طريقي اليوم".

"لقد أتيت هنا فقط لشراء بعض المناشف!". ووقفتُ ثم قمنا بتحية بعضنا البعض مرة أخرى. "إلى اللقاء".

"أشكرك، إلى اللقاء يا ألين".

ثم جلست مرة أخرى على المنضدة وقمت بوضع دائرة بقلمي حول الإعلان بالجريدة. كما كنت على استعداد للاتصال لكن كان لا بد أن أفكر في أقرب مكان به تليفون. خرجت إلى الجو الحار بعد أن دفعتُ الحساب ثم قررت أن أستقل أتوبيساً آخر إلى أريانا حيث يوجد تليفون. كان الأتوبيس مزدحماً والناس يتصبّبون عرقاً من الحرارة الشديدة. عندما وصلت إلى التليفون كنت غارقة في عرقي، ولم أكن أعرف كيف استطعت أن أقوم بهذا في مثل هذه الحالة؟ لقد تركت الشمس الحارقة ودخلت إلى مكتب الاتصالات حتى أتنفس ببعض من النسمات الرطبة كما دخلت إحدى الكبائن للاتصال منها. بينما كنت أدير قرص التليفون لأطلب الرقم كانت يداي ترتعشان.

كنت مبهورة حينما تكلمت مع مدير المكتب لمعرفة ما أعينون في الحال وأنه يريد مقابلتي. كان المدير مفتوناً بمؤهلاتي، كما قال إن الوظيفة سوف تكون مناسبة لي تماماً، عندما سألت المدير عن مكان المكتب قال لي إنه في منطقة صناعية وليست بعيدة عن بيتي. بعد ذلك، أدركت أنه يمكنني الوصول إلى هناك عن طريق استقلال أتوبيس واحد فقط. لقد حددت ميعاداً لمقابلته في صباح اليوم التالي.

تجولت في المنطقة المجاورة لفترة ما وحمدت الله لأنه فتح مثل هذا الباب أمامي. حتى إن لم تكن هذه هي الوظيفة التي سأعمل بها طوال حياتي، إلا أنها استجابة فورية للصلوات التي قُدمت من أجلي وسوف تزودني بخبرة ممتازة للمستقبل. ليس هذا فقط، بل سوف أحصل على راتب شهري ممتاز سوف يساعدني أنا ومجدي كثيراً! كنت منفعلة جداً عندما فكرت في أنه لدي الآن بعض الأخبار السارة التي تسعده عندما يعود.

في ذلك الوقت، شعرت بالحر الشديد، لذا لم يكن أمامي اختيار سوى أن أرجع إلى البيت. عند عودتي إلى المنزل وجدت أمي جالسة في المطبخ تحتسي كوباً من الشاي. لقد نظرت إلي وتعجبت قائلة: "إيمان، ماذا حدث لك في العالم؟".

"إنني غارقة في عرقي يا أمي، فالجو حار جداً".

"سوف تعرضي نفسك للمرض بخروجك في الشمس الحارقة. ليتك تحصلين على حمام حتى ترطبي نفسك".

"إنه اقتراح عظيم، يا أمي، سوف أفعل هذا".

شعرت بالراحة لأنه يمكنني أن أحصل على حمام مما يساعدني في التخطيط لمقابلة اليوم التالي لم أرد إعلان أي شيء لوالديّ إلا بعد أن أتأكد من قبولي بالشركة وحصولي على الوظيفة. لقد شعرت في قلبي أن الله كان يفتح هذا الباب، لكنني لم أرد أن أكون متعجلة في ابتهاجي أو فرحي هذا.

بمجرد أن انتهيت من الحمام، ارتديت تي شيرت وشورت ثم استرخيت في حجرتي. حاولت أن أحدد الميعاد الذي يناسبني لاختيار الفترة التي سأعمل فيها. بالرغم من علمي بأن هذا سوف يأخذ مني جهداً كبيراً، إلا أنني قررت أن الفترة الصباحية سوف تسمح لي بالذهاب إلى الاجتماعات والتزاور مع أصدقائي. كذلك سأتجنب الرجوع إلى البيت متأخر ليلاً. لقد صليت وطلبت من الرب أن يشق لي طريقاً في ذلك الوقت.

خرج أبي وأمي في المساء، بمجرد أن غابت الشمس، للعمل ومراجعتة، كان والديّ مدمنين لأعمالهما وكنت أعلم أنهما لن يمكثا في المنزل طويلاً دون عمل. بعد مغادرتهما، اتصلت ببسمة وشاركتها بأخبار الوظيفة والمقابلة التي سأذهب إليها. عبرت بسمة عن فرحتها لي ووعدتني بأن تصلي من أجلي ومن أجل الوظيفة والمقابلة في صباح اليوم التالي. أخبرتها بأنني سأتصل بها غداً. قبل أن ننهي التليفون، أخبرتها بأول محاول لي لتقديم مجدي إلى والديّ، لذا وعدتني ثانية بأن تصلي من أجل هذا الموضوع أيضاً.

بينما ذهبت إلى فراشي تلك الليلة، فكرت في أهمية مشاركة طلبات صلواتي مع صديقة لي. بالرغم من أن ليلى كانت صديقتي منذ سنوات

عديدة إلا أنني لم أقل لها أي شيء أبداً. حتى وإن شاركتها بأي شيء، فما الهدف من ذلك؟ إنه مجرد معلومات. لكن الآن، وفي عائلة المسيح، أعلم أن عند المشاركة بأي شيء سوف تقوم هذه العائلة بالاتحاد معي في الصلاة والتضرع إلى الله ليساعدني. لم يكن هذا مجرد كلام أو ثثرة، بل كان احتياجاً حقيقياً يستطيع أن يسدده الله. هذه المعرفة ساعدتني على النوم دون قلق أو أية مخاوف بخصوص المستقبل وفيما يختص بالمقابلة الشخصية صباح اليوم التالي.

الفصل السابع والثلاثون

كالعادة، ترك والديّ المنزل مبكراً حتى يلحقا بعملهما. لم أرهما، لأنني استمتعت بالنوم لوقت متأخر. مرة أخرى، أخذت حماماً وارتديت ملابسني. ثم دخلت إلى المطبخ لأحتسي كوباً من الشاي. عندما شاهدت فاطمة ملابسني علقت وقالت: "تبدين رائعة المظهر اليوم، يا آنسة". كنت اعرف أنها تريد أن تعرف ما الذي سأفعله، قلت لها : أشكرك يا فاطمة. لديّ ميعاد في هذا الصباح، ما زلت لا أرغب في القول لأحد عن هذه الوظيفة. يوجد وقت لكل شيء.

"أتمنى أن تسير الأمور على خير ما يرام"، قالت وهي تقدم لي كوب الشاي.

"أشكرك يا فاطمة".

ولأنني رأيت الأتوبيس ما زال مزدحماً رغم اقتراب الساعة من العاشرة، قررت أن أذهب إلى المكتب بواسطة تاكسي. لا أرغب في وصولي إلى المكتب لإجراء المقابلة الشخصية وأنا غارقة في عرقي مثل ما حدث بالأمس. يمكنني القيام بهذه المخاطرة في رحلة عودتي إلى البيت. وصلت في الميعاد المحدد تماماً وانتظرت في القاعة مع عديد من الأفراد إلى أن نطق أحد الأشخاص أسمى بصوت عالٍ. طلب مني هذا الشخص أن أتوجه إلى حجرة المدير. كنت متوترة، لكنني شعرت بالهدوء بمجرد أن لمست سلوكه الظريف والمهذب تجاهي. شرح لي باختصار ما هي

الوظيفة، وساعات العمل، والراتب. إنها شركة فرنسية للحاسب الآلي لها فرع تدعيم فني في تونس، لأنه كان من الأرخص أن يستخدموا العمالة التونسية عن العمالة الفرنسية. لقد سمعت كثيراً عن شركات بدأت في تقليل النفقات. كانت تونس موقعاً معقولاً ومنطقياً لعملياتهم بسبب استخدامنا اللغة الفرنسية الشائعة ولقربنا جداً من فرنسا، وذلك حد من وسائل الاتصال وتكاليفها.

عقد المدير المقابلة وأجراها باللغة الفرنسية كاملة، وكان منبهراً لأنني كنت أتناوب معه في اللغة بطلاقة، كان هذا مطلباً مهماً للوظيفة. لقد أخبرني بأنه إذا وجد في عملي جدية واجتهاداً فسوف يكون هناك العديد من الترقية والعلاوات. بالرغم من أن كل هذا جعلني منفعة وأثاري، إلا أنني أخبرته بأن أهم شيء بالنسب لي هو تأدية عملي بصورة جيدة. يبدو أنه كان مسروراً بإجابتي وردي عليه ثم سألني عن الساعات التي أحب أن أعمل خلالها . لقد زادت دهشتي حينما عرفت أن لي حق الاختيار في ساعات العمل فأخبرته في الحال بأن الفترة الصباحية ستكون مناسبة لي جداً. ثم ناقشنا بعض التفاصيل الصغيرة، ثم قال إنني حصلت على الوظيفة إذا كنت أرغب في ذلك، فأجبت أنه بأمري موافقة وأنه يشرفني أن أعمل في هذه الشركة. لذا كان علي أن أبدأ من يوم الاثنين.

وعندما غادرت مكتبه كنت كمن يسبح في الهواء لكن وجدت السكرتيرة تستوقفني وتعيدني مرة أخرى إلى الأرض عندما طلبت مني أن أملاً بعض الاستثمارات. لقد ابتمت للآخرين المنتظرين دورهم في المقابلة الشخصية وأخذت هذه الاستثمارات إلى منضدة صغيرة لأبدأ عملية الملء عندما

أوشكت أن أملأ النموذج الأول أمسكت نفسي وأغلقت عيناى ورفعت قلبي
قائلة:

"أشكرك أيها الرب يسوع من أجل هذه الوظيفة. ليتك تباركني من
خلالها وتساعدني أن أكون بركة للآخرين. أعطيك كل الشكر والحمد
والمجد من أجل كل هذا. آمين". ثم أكملت ملء الاستثمارات وقمت
بتسليمها للسكرتيرة ثم غادرت المبنى. الآن أصبحت موظفة.

لم أستطع الانتظار دون أن أخبر بسمه، لذلك، فبدلاً من الرجوع إلى
منزلي أخذت الأتوبيس وتوجهت إلى منزلها. ومن دواعي سروري أنني
وجدتها في البيت. أحضرت لي كوب كولا وجلسنا في حجرة المعيشة.

"أريد أن أعرف كل شيء".

"لقد حصلت على الوظيفة؟"، قلت لها وأنا أصرخ.

"إنني سعيدة جداً من أجلك يا إيمان".

"أشكر الرب يا بسمه، لقد فتح الباب حقاً أمامي وجعل الطريق سهلاً
جداً لأحصل على هذه الوظيفة. لا أستحق ما يفعله معي وما يفعله من
أجلي".

"لا أحد منا يستحق ما يفعله الله يا إيمان، لكننا نخدم إلهاً كريماً سخياً
في العطاء. أخبريني عن الوظيفة".

"إنها شركة كمبيوتر فرنسية. هذه الشركة تستخدم التونسيين للرد على مكالمات العملاء الذين يطلبون الدعم الفني، تمنح مرتبات جيدة كما أن بها فرصاً كثيرة للترقية".

"هذا رائع جداً. متى ستبتدئين؟".

يوم الاثنين. سأعمل من الساعة 7 - 2 كل يوم عدا الأحد".

"هذا عظيم"، تعجبت بسمه: "بالرغم من أن الساعة 7 وقت مبكر جداً بالنسبة لي".

"نعم، إنه وقت مبكر لكنه يترك لي وقتاً للخدمة وللكنيسة".

"إنني واثقة أن الله سيساعدك لتحافظي على مثل هذه الساعات. لا بد أن نحتمل هل أخبرتي والديك؟".

"كلا سأخبرهم اليوم. إنني أريد أن أقدم لهما الأمر بطريقة توضح تدبير الله من أجلي، لكنني لا أريد أن أكون متفخرة على أُمي".

"أعرف أن الله سوف يعطيك الكلمات التي تستخدمينها، إنه يعرف قلبك".

أدركت أنني سوف استلم عملي لكن بسمه ما زالت لا تجد عملاً لها. فجأة، شعرت بالخجل لأنني إنسانة أنانية ومتمركزة حول ذاتي.

"ما أخبارك يا بسمه؟ هل لديك أي شيء يقودك للعمل؟".

"مجالتي ليس من السهل فيه العمل، لكنني ما زلت أبحث عن فرصة. على أي حال، الدراسة شيء والعمل شيء آخر. الخريجون في مجالتي

يضطرون إلى العمل في نفس المجال دائماً، هناك احتمالات أخرى بالنسبة لي. لست في عجلة، إنني أعلم أن الله سيكشف أمامي الطريق".

"أعرف أيضاً أنك تمتلكين مواهب كثيرة وتستطيعين عمل أي شيء تضعينه في ذهنك. سوف أصلي معك بخصوص هذا الموضوع. إننا نحتاج واحدتنا للأخرى".

"هذه هي الحقيقة، وهذا جمال الحياة في المسيح. أشكرك أيها الأخت العزيزة"، قالت بسمة وهي تحتضني حضناً حاراً: "الآن هيا نحفل".

قضيت باقي الفترة مع بسمة في منزلها. قمنا بطهي وجبة الغداء لأمها واستمتعنا بوقتنا في الحديث. وبعد ذلك، وبينما كنا نسترخي على الأريكة، أخرجت كتابها المقدس وقرأت لي هذه الكلمات: "وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ فَأَعْمَلُوا مِنْ الْقُلُوبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالَمِينَ أَنْكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لِأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ".

"كما تعرفين، هذه الكلمات كانت موجهة للخدام الذين اختاروا أن يتبعوا المسيح، لكنها تصلح لنا أيضاً، رغم أننا نعمل في وظائف ونحصل على أجور. فكل ما نفعله، لا بد أن نفعله وكأننا نفعله للرب. وليس للبشر. عندما نعمل بهذه الطريقة سيرى الناس عملنا الصالح والجيد ثم يمجدون الله. أعلم أنك ستكونين مثلاً رائعاً للآخرين يا إيمان".

"أثق أنه سيعطيني القوة والحكمة لعمل هذا، أليس مذهباً أن يكون الكتاب المقدس عملياً بهذه الصورة؟ من السهل جداً أن نعرف كيف نعيش وكيف نعمل. هل يمكنك تخيل الحالة التي سنكون عليها لو أن الكل أدوا

أعمالهم بهذه الطريقة لإرضاء الله وليس لإرضاء البشر؟، سيكون هذا فكراً ثورياً ناهضاً".

هذه هي الحقيقة، ابدأي هذه الثورة، ثورة المرأة العاملة".

ثم عدت إلى المنزل بعد ظهر ذلك اليوم وأنا سعيدة جداً وممتلئة توقعات لما أراد الله أن يفعله من خلال هذه الفرصة الجديدة. مازلت أسير فوق السحاب عندما عاد أبي وأمي إلى المنزل في المساء. لم أتردد في أن أقوم بتحيتهما ومشاركتهما بأخباري الجديدة.

"لدي بعض الأخبار السارة التي أريد أن أشارككما بها الآن".

"ما هي يا إيمان؟"، سأل والدي.

"لقد أعطاني الرب اليوم وظيفة!".

"وظيفة؟ حقاً؟" اندهش والدي، أما أمي فكانت صامتة: "هيا أخبرينا عن وظيفتك الجديدة".

"سوف أعمل كأخصائية فنية في شركة فرنسية للحاسب الآلي. الراتب جيد وساعات العمل ممتازة".

"بلا شك سيكون هذا في مجال تخصصك، وسوف يعطيك خبرة رائعة وعظيمة"، قال والدي وهو يشجعني.

"ألا تعتقدين أن العمل لدي شركة تونسية كان من الأفضل لك يا إيمان؟"، سألت أمي لكنها لم تكن منفعة مثل أبي.

"الشركة التونسية ستكون أكثر ثباتاً. لا تستطيعين أن تعرفي كم طول المدة التي ستبقى فيها هذه الشركات الأجنبية. إنها تأتي وتذهب سريعاً".

"حتى لو كان الأمر هكذا"، قلت لها: "سوف تمنحني الشركة الفرنسية خبرة عظيمة، وسيكون هذا عملاً عظيماً في سيرتي الذاتية عند رغبتني في البحث عن وظيفة فيما بعد. هل يمكن أن تسعدي من أجلي، يا أمي".
وصُدمت أمي لقولي هذا دون أن أدري.

"أنا دائماً مسرورة بك يا إيمان"، أجابتنني: "لا أريد سوى شيئاً ما أساسياً لك".

"أعلم ذلك جيداً يا أمي، لكن أحياناً يكون للرب طرقه الخاصة لتعليمنا بأن نبدأ بعلم صغير ونعمل بأكثر جدية حتى نتطور. لو أنني حصلت على وظيفة ممتازة من البداية لشعرت بالملل المبكر".
"لقد حصلت على مركز هام يا فوزية"، هذا كل ما قال والذي.

"أتمنى أن تتذكري هذا اليوم عندما ترجعي إلي باكية تطلبين مساعدتك للحصول على فرصة أفضل".

"دائماً سأذكر هذا اليوم يا أمي"، ولم أرغب في إضافة ما كنت أفكر فيه.

"ألف مبروك يا إيمان"، قال والذي بصوته العذب.

"أشكرك، يا والدي"، وانحنيت وقبلته برقة في خده. ورأيت وجه أمي وهو يزداد احمراراً عندما فعلت ذلك. تركت الحجرة قبل أن أعطيها فرصة لأي تعليق آخر.

الفصل الثامن والثلاثون

كان اليوم التالي هو يوم الخميس، وقد علمت أن مجدي ينتظر مكالمتي. كان يوجد الكثير لتحدث عنه، ولم أستطيع الانتظار حتى سماع صوته. ذهبت إلى أقرب مكتب تليفون من منزلنا واتصلت به. بالرغم من عدم وجود أحد في منزلنا إلا فاطمة فلم أخاطر بمكالمة مجدي من المنزل حتى لا تسمع فاطمة.

كان مجدي سعيداً لسماعه هذه الأخبار، وبسرعة رتبنا ميعاداً للمقابلة في مقهى بجوار البحيرة.

عندما فكرت في أول رحلة لي إلى هذا المكان (المنتزه)، ضحكت على حركات هروبي أنا وليلي. أما الآن، أصبحت امرأة ناضجة خريجة جامعة وسأحصل على أول وظيفة لي. لقد كنت بالفعل مخطوبة، حتى وإن لم يعرف أحد! يا له من تغير كبير وعظيم ورائع في حياتي. أخذت الأتوبيس إلى البحيرة وجلست في الكافتيريا حيث كان الجو رطباً. لم أضطر إلى الانتظار طويلاً إلى أن يأتي مجدي. طلبنا كولا وبدأنا نتحدث عن الأيام الماضية القليلة. سألته أولاً عن أيامه الماضية في موناستير ورحلة عودته.

كان كل شيء على خير ما يرام وكان بالفعل يتطلع إلى العودة إلى العمل، مازال هناك أسبوع على عودة الجامعة مرة أخرى، وكان لديه الكثير ليجهزه أثناء ذلك الوقت.

لم يكن صبوراً حتى يعرف ويسمع مني عما حدث معي منذ العودة إلى البيت. "لدي خبران سعيدان سوف أشاركك بهما"، هكذا بدأت كلامي: "اليوم لا توجد أخبار سيئة!".

"يعجبني ذلك"، أجابني: "أخبريني من فضلك".

"الخبر الأول السعيد هو أنني تكلمت مع أبي وأمي وعرفتتهما أنه أصبح لدي عديد من الأصدقاء وأريد تقديمهم لهما. بالطبع، ستكون أنت أول شخص سأقدمه لهما، وربما تكون الأخير! لكن لابد أن أرتب الميعاد وفقاً لجدولهما. يبدو أننا مستعدين لمشاركتهم أخبارنا".

"هذا فوق الرائع"، قال مجدي متعجباً: أنا جاهز في أي وقت".

"وهو كذلك، من ثم سأرى ما الوقت المناسب لهما وسأخبرك بذلك".

"عظيم، الآن ما هو الشيء الرائع الثاني؟".

"إنك تنتظر الآن إلى سيدة لديها وظيفة!".

"ماذا؟! حقاً؟ متى؟!".

"كل شيء حدث سريعاً. لقد فتح الرب الأبواب". شاركته بكل ما حدث معي بخصوص الوظيفة، بداية من الإعلان وحتى القبول. رأيت عينيه تشعان بالسعادة والسرور.

"إنني سعيد جداً يا إيمان. الرب صالح ويدبر كل شيء. إنني أعرف أنه يمكننا أن نعيش على مرتبي فقط، لكن كنا سنعيش في بعض من

الجفاف. أما الآن فيمكننا أن نعيش حياة أحسن وأفضل كما يمكننا التوفير للمستقبل".

"تلك هي أفكارى بالضبط. يمكن أن نعيش بمرتبتك، لكن بوجود مرتبتي يمكننا الادخار أيضاً".

"حقاً أخبار سعيدة يا إيمان، لا بد من تقديم الشكر لله لأجل كل هذا". ثم أخذ يدي، وعيوننا مفتوحة، وصلى الصلاة التالية: "أبي السماوي ، إنك إله قدير. لقد أتيت أنا وإيمان إليك في هذا المكان بقلب متضع من أجل تدبيرك الرائع. نشكر لأنك فتحت أمامها الباب مع والديها. ليتك تجهز قلوبهما يا رب وذهنهما والوقت لنا حتى نتقابل معاً. أشكر من أجل هذه الوظيفة العظيمة التي منحتها لإيمان. من فضلك يا رب، باركها من خلال هذه الوظيفة وأعطنا معرفة وحكمة في كيفية استخدام هذه الأموال التي ستحصل عليها إيمان لمجد اسمك. كل ما نملكه هو ملكك يا رب. أشكر من أجل الوقت الرائع الذي قضيناه معاً. في إسم يسوع، آمين".

ضغط مجدي على يدي بينما كان ينهي صلاته. لم يكن هناك شيء غير عادي أن يُرى شاب وفتاة معاً في مثل هذا المكان، لذلك لم يسأل أي شخص ماذا نفعل ونحن نمسك بأيدي بعضنا. بجانب أن الموسيقى كانت صاخبة فلم يستطيع أحد أن يسمعا إلا الله. لقد شكرت الرب من كل قلبي لأجل الحرية التي كانت لنا أن نصلي في أي مكان وفي أي وقت.

بينما واصلنا الحديث معاً، قررنا أنه من الأفضل لي أن أعمل عدة أيام قبل أن يأتي مجدي ليتعرف على عائلتي. كما قررنا أيضاً ما سنقوله عن علاقتنا. ولأننا تعرفنا على بعضنا البعض بالجامعة فكان هذا هو الأساس

العام لمقابلتنا ومشاعرنا النامية الواحد تجاه الآخر. وعندما تقابلنا في موناستير خلال هذا الصيف، ربما كان تخطيطاً من الله أن يجمعنا معاً، هذا هو الواقع.

ثم تحدثنا عن الاجتماع الذي كان سيعقد في منزل مجدي في الليلة التالية. بما أن الجميع قد عاد إلى المدينة، قال مجدي أنه سيتصل بالجميع ليجتمعوا. أما أنا فأخبرته بأنني سوف أجد طريقة حتى أستطيع الحضور مع بسمه. كان من الرائع أن نعبد الله كجسد واحد. كان لدي الكثير والكثير لأشارك به وأفرح وأبتهج مع العائلة.

استطعت بسهولة أن أرتب لزيارة بسمه يوم الجمعة. لم تعد عائلتي للتحقيق معي في الخروج معها. والآن، بعد أن تخرجت في الجامعة وأصبحت موظفة، اعتقد أن عائلتي فهمت أنني أصبحت سيدة ناجحة وأستطيع أن أدير حياتي الخاصة. كان شعوري بالحرية في بيت أسرتي جميلاً.

لقد سمحت، أم بسمه، أن نأخذ سيارتها للذهاب بها إلى اجتماع مجدي. لقد أصبحت سيدة عجوز وصحتها كانت ضعيفة فالسيارة على أي حال تعتبر سيارة بسمه. بالرغم من ذلك، لم تأخذ بسمه السيارة دون إذنها. في الطريق ونحن في المدينة، مررنا على بعض الأفراد في المجموعة ليأتوا معنا بالسيارة. إنه امتياز عظيم أن تمتلك سيارة في تونس، وكانت ترغب بسمه في أن تشارك الآخرين في بركتها حتى يتجنبوا تكاليف المواصلات العامة. أخيراً وصلنا إلى مجموعة سعيدة لاجتماع المساء.

تقابل مجدي معنا على الباب ورحب بنا بحرارة. الآن، وبصرامة أصبحت خطيبته، لقد شعر بالحرية ليعبر عن مشاعره وآماله أمام المجموعة، وقبلني في خدي الأيمن والأيسر بحرارة. دخلت المطبخ حتى أهدئ من روعي وخجلي أمام المجموعة، وأجهز بعض المشروبات التي سنتناولها بعد الاجتماع. لقد أحضرنا معنا بعض المشروبات، فوضعتها في الثلاجة. أخرجت أيضاً زجاجة مياه مثلجة من الثلاجة ووضعتها بجانب بعض الأكواب أمام الجميع بسبب حرارة الجو.

بمجرد أن استقر كل شخص في مكانه، بدأنا عبادتنا بالصلاة وبعض الترانيم. كانت هناك ترنيمة جديدة بالنسبة لي، لكن كلماتها كانت موجهة لي من قبل الله مباشرة خلال هذا الأسبوع:

1- هل يستطيع الرب بي أن يصنع العجايب
وإن طلبت تكريسي هل يستجيب الطلب

القرار

نعم نعم، نعم يقول ربنا
غداً سأعمل بكم في وسطكم
2 - هل يستطيع الرب أن
يقـدس ذا الجسد به يحل للمدى
مع ضعفه وإثمه
3 - هل يستطيع الرب أن
يشـغل مـواهي لمجد من أحبني
مقدساً عواظي
4 - هل يستطيع الرب أن
يبارك في خدمتي

مكرساً لمجده كلي له بجماتي

بينما كنا نرنم العدد الأخير من الترنيمة كنت أصرخ بصوت مرتفع قائلة: "نعم نعم"، لأن هذا ما قاله الله لي بالفعل. إنني أعلم أن الله يجهز أشياء عظيمة لي ولمجدي. لقد غمر الفرح قلبي.

لشعورنا بأن الروح يتحرك بيننا كمجموعة، بدأت بسملة تصلي بعد أن انتهينا من الترنيمة وقالت: "أبي السماوي، الآن يا رب نسمع صوتك بوضوح من خلال كلمات هذه الترنيمة. وإن كنا يا رب نعيش ومعنا تساؤلات كثيرة حول استحقاقنا لخدمتك من عدمه، فلا نسمع العالم بل نسمع صوتك يقول لنا "نعم". أشكرك أيها الآب من أجل "نعم" التي لنا منك بيسوع، ومن أجل القوة التي يضعها فينا لنخدمك بأقصى ما لدينا من مقدرة بالروح القدس. نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا. شكراً يا رب، لأنك وهبتنا أن نخدمك للمنتهى. استخدمنا، يا رب بين عائلتنا، وفي أعمالنا، وفي دراستنا لنعطيك المجد والكرامة. العالم يعيش فقط لخدم ذاته، أما نحن فنريد أن نحيا، لنخدمك، ولنقدم لك كل المجد لأجل ما فعلته، ونقدم لشخصك الكرامة. أشكرك يا يسوع، لأنك جعلت هذا ممكناً لنا. في اسمك أصلي، آمين".

استمرت الصلاة لدقائق عديدة فكان الواحد يصلي بعد الآخر، وكنا نعلن أفكار هذه الترنيمة. كان من الرائع أن نلاحظ كيف كان الجميع متأثرين بالروح ومتشجعين بغض النظر عن وضعهم في الحياة أو حالتهم الاجتماعية. كان البعض بدون عمل، أو يعاني الاضطهاد من والديه، لكن مهما كانت الحقيقة والواقع، كان لديهم الرغبة والرجاء المتواصلان في طلب الرب وطلب المعونة منه لأنه هو الله الذي قال "نعم".

قضينا وقتاً رائعاً في التسبيح والصلاة، لدرجة توقفنا عن الخدمة هناك، لكنني عرفت أيضاً أن كلمة الله سوف تواصل كشفها لنا عن مدى عظمة الله. لقد حان الدور على مجدي ليشارك من الكتاب المقدس فاختار فقرة من رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: "وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلَامُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ. 16 لِتَسْكُنَ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِنِعْمٍ، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، بِمِزَامِيرٍ وَتَسَابِيحٍ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. 17 وَكُلُّ مَا عَمَلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللَّهَ وَالْآبَ بِهِ." بعد ذلك، بدأ مجدي يشارك ببعض الأفكار عن هذه الآيات: "أعتقد أننا رأينا كيف يملأ الله قلوبنا ونفوسنا بينما كنا نصلي ونسبح معاً. لقد تباركت بالفعل الليلة بفترة التسبيح والصلاة. إنه إحساس بالسلام والشكر يحيطنا جميعاً، لأننا قد رأينا ما فعل الله من أجلنا، لذا فنحن ندعو باسمه ليساعدنا في صراعاتنا وشكوكنا. إنه إله آمين ويسدد احتياجاتنا ويقوينا لنفعل مشيئته. أريد أن نفكر كثيراً في الطريقة التي بها نكلم بعضنا كمؤمنين في المسيح؟. من السهل جداً في هذا العالم أن نقدم رأياً أو نصيحة. كل شخص حولنا حر في أفكاره وآرائه ووجهات نظره فيما هو صواب أو خطأ في العالم وفي حياتنا. بالرغم من ذلك، فإن كلمة الله تخبرنا بأن ما ترنمنا به الليلة لم يأت من فراغ، لكن جاءت بوحى من كلمة الله. هذا يوضح كيف أنها تبيننا وتشجعنا لنكون مخلصين وأوفياء في مسيرتنا مع الله. هل الكلمات التي تخرج من أفواهنا تخرج بنفس التأثير أم أنها من الجسد؟ عندما نقضي وقتاً كل يوم في قراءة ودراسة وحفظ كلمة الله، فسوف تتعكس على ما نقوله بعضنا لبعض. عندما يطلب مني شخص معرفة رأيي، لا أريد أن يكون رأي مجدي، أريد أن يكون الله هو

الذي يتكلم من خلالي للشخص السائل. بذلك يتمجد اسم الله ويقترب منه الناس أكثر فأكثر. عندما نحفظ الآية الأخيرة ونطبقها فعلياً في حياتنا، أوؤمن بأننا سنبدأ نرى الله يفعل أشياء عجيبة في هذه الدولة. إن الله يدعونا لنكون مختلفين عن العالم. كيف نصير مختلفين إن لم نتغير طريقة كلامنا وأعمالنا وحياتنا؟ ما هي أفكاركم بخصوص هذا الفقرة؟ هل لدى أحكم كلمة شهادة ليعلمها؟"

بهذين السؤالين، بدأت فترة المناقشة بصورة جدية. يمكنني القول بأن هذه الفقرة قد جعلتنا نواصل مناقشة الفقرة لأكثر من ساعة. لم يمل أحد، لكنها كانت فترة جميلة ليتعلم الواحد من الآخر. بينما كنت أصغي، كنت أقدم شكري للرب على مثل هذه التجربة العظيمة مع المؤمنين الآخرين في المسيح.

كانت الليلة طويلة، لكننا استمتعنا سوياً، وحتى بعد انتهاء المناقشة وبحلول وقت تناول المشروبات لم يغادر أحد المكان بل ظللنا نتسامر معاً. كان كل منا مسروراً بزيارة الآخر. بينما ركبت مع بسمه سيارتها ومعنا صديقة أخرى كنا نتكلم جميعاً عن الوقت الرائع الذي قضيناه معاً. علمت أن السماء سوف تكون مثل هذا الاجتماع ومثل هذه الصحبة. ليست أفكار الناس هي الفردوس الحقيقي بل العلاقة الحقيقية مع الله الخالق: العبادة المستمرة والجميلة في محضر جميع المؤمنين من رجال ونساء. لم يوجد أي فكر أناني عما سأستفيده، بل عن التسبيح والحمد الذي سأقدمه إلى الله.

الفصل التاسع والثلاثون

مر الأسبوع بسرعة ووصل يوم الاثنين صباحاً. لم أُنم جيداً تلك الليلة من الخوف لئلا لا استيقظ مبكراً على صوت المنبه. استيقظت باكراً وأخذت حماماً وارتديت ملابسني وقصدت أن أغادر المنزل قبل أن يخرج والدي من حجرتهما. لم أنتظر الأتوبيس طويلاً بل جاء خلال عشر دقائق.

قبل أن نبدأ، أنا والموظفون الجدد والآخرين في قسم الدعم الفني والإمداد، كان لابد أن نحضر لمدة أسبوعين دراسة عن البرنامج وكيفية الإجابة على الأسئلة. كان ذهني يجمع كل المعلومات التي أحتاج إلى معرفتها. لقد بذلت كل ما في جهدي حتى أتعلم وأدرس هذا البرنامج باستمرار في الليل. لقد وجدت أن المعلمين متعاونون جداً وقد عاملونا بكل احترام وتقدير. هذا دفعني إلى العمل بأكثر جدية حتى أصبح عاملة ماهرة وممتازة.

كان معي سبع فتيات وستة شباب آخرين يعملون في نفس الفترة مثلي. كان بعضهم حديث التخرج في الكلية، مثلي، بينما كان الآخرون حاصلين على تعليم متوسط، لكن لديهم خبرة في العمل طويلة. استمتعت بالتعرف على الفتيات أثناء أوقات الراحة وبدأت أصلي من أجلهن عندما عرفت أسماءهن واحتياجاتهن. تأكدت أن الرب سوف يستخدمني في هذا المكان لأساعد البعض على قبول المسيح كما حدث معي.

شاركت مجموعتي في اجتماع الجمعة بوظيفتي الجديدة وطلبت صلاتهم. كان بيت مجدي مزدحماً في تلك الليلة ولم يكن لدينا وقت كثير لتحدث سويًا، لكننا قررنا أنني لابد أن أناقش مع عائلتي الليلة والميعاد الذي يمكنه فيه زيارتنا في المنزل.

تحدثت مع أمي بخصوص هذا الموضوع يوم الأحد، عندما كنا في أجازة من العمل جميعاً وكنا نتناول وجبة الإفطار في وقت متأخر.

"أمي"، بدأت حديثي وكلي تردد: "هل لديك، أنت ووالدي، وقت في أي مساء خلال هذا الأسبوع؟".

"لماذا يا إيمان؟" سألتني قبل أن تجيب.

"هل تتذكرني تلك المرة التي أخبرتك فيها بأن لدي أصدقاء منذ الصيف وأريد أن أقدم بعضهم إليك وإلى أبي؟ أحد هؤلاء الأصدقاء سيأتي ليزورنا خلال هذا الأسبوع إذا كان من الممكن".

"ما اسمها؟"، سألتني مرة أخرى دون إجابة سؤالي.

"اسمه الأستاذ مجدي"، أجبتها، وحاولت أن يكون الحديث عنه بأسلوب رسمي.

"اسمه؟" سألتني ، وهي تحمق في بعيونها: "لماذا يريد أن يزورنا؟".

أعلم أنني بدأت أدخل في المياه الخطيرة والعميقة، لذلك أخذت نفساً عميقاً، وقمت ب صلاة سرية سريعة وحاولت أن أواصل حديثي معها بهدوء: "إنه يريد أن يتعرف عليك وعلى والدي. لقد أخبرته كثيراً عنكما وعن كيف

أُستمتعا عملكما الخاص. أعتقد أن والدي سوف يستمتع برفقته". صليت أن كلامي هذا يرضيها.

"أعتقد أن من الأفضل لنا أن نعرف أصدقاءك بدلاً من التساؤل عنهم، أعتقد أن لدينا وقتاً في مساء الثلاثاء. تحدثي مع والدك وتأكدني من ذلك. يمكنك دعوة الأستاذ مجدي على الشاي الساعة الثامنة مساءً".

"أشكرك يا أمي، سوف أناقش ذلك مع والدي الآن". لقد هربت تماماً من أمامها وأنا منفعلة وأشعر بالراحة لعدم اضطراري إلى كشف أي شيء أكثر من هذا بخصوص نوايا مجدي. أما والدي، ذلك الشخص السهل التعامل معه أكد بسرعة أن لديه وقتاً يوم الثلاثاء.

ذهبت إلى الصلاة واتصلت بمجدي. عندما بدأ مجدي يرد على التليفون، حاولت أن أتكلّم معه بأسلوب رسمي خوفاً من أن يسمعنّا أحد: "الأستاذ مجدي، أنا إيمان. أتمنى أن تكون بصحة جيدة؟".

جاءني الصوت من الطرف الآخر قليلاً وأجاب: "نعم، يا آنسة إيمان، إنني بصحة جيدة. لقد فهمت أن مكالمتك هذه من المنزل أليس كذلك؟".

"حقاً، إن كلامك صحيح"، أجبتّه وواصلت الكلام: "أستاذي الفاضل، إن والديّ يسرهما دعوة سيادتكم لزيارتنا وتناول كوب شاي معنا يوم الثلاثاء الثامنة مساءً، هل هذا يناسب سيادتكم؟".

"نعم، إنه يناسبني تماماً. إنني لا أستطيع الانتظار حتى أن أقابلهما".

"إنهما شغوفان لرؤياك أيضاً".

"علينا أن نصوم ونصلي في ذلك اليوم، أليس كذلك؟"، كان هذا اقتراح مجدي.

"أعتقد أن هذا اقتراح جيد. لذلك، سوف نرى سيادتكم يوم الثلاثاء".

"إلى أن يأتي الثلاثاء. أحبك".

"نعم وأنا أيضاً. إلى اللقاء، أستاذي الفاضل".

"إلى اللقاء يا أنسة إيمان".

وضعت سماعة التليفون ونظرت حولي لأرى هل كان أحد منصتاً لحديثي أم لا. لم يكن أحد منصتاً، لذلك بدأت أتمالك نفسي ورجعت إلى المطبخ.

"أمي، الثلاثاء سوف يكون مناسباً لوالدي ولأستاذ مجدي".

"وهو كذلك عزيزتي"، أجابت دون عاطفة.

تركتها مرة أخرى، لكن في خطوات بطيئة هذه المرة، ثم رجعت إلى ملجأّي الداخلي في حجرتي. جلست على سريري وصليت شكراً لله لمساعدته لي في كل هذه الأمور: "أشكرك يا رب على الخطوة الثانية. أشكرك يا رب من أجل مساعدتك. الآن يا رب سيكون يوم الثلاثاء هو القفزة الكبرى في حياتي وحياة مجدي، هل أطمع في معونتك ومساعدتك لنا؟ أطلب منك أن تنتشلني. ليتك تجهز قلب أمي وأبي لطب مجدي. ساعدهما، يا رب، ليوافقا وبياركا زواجنا. إن لم يتم هذا، ليتك تكشف لي عما يجب أن أفعله في الخطوة القادمة. في إسم يسوع أصلي آمين". كنت

سعيدة ومسرورة جداً لحصولي على وظيفة وسأذهب إليها يوم الاثنين. لقد استطعت أن أوقف ذهني عن التفكير في يوم الثلاثاء. واصلت حضور التدريب ولم أنق أي طعام منذ يوم الاثنين حتى أجهز ذهني وقلبي لزيارة مجدي. كما كانت بسمه في تلك الفترة متعاونة جداً معي لتعلمني المعنى الحقيقي للصوم أثناء أيامنا التي قضيناها معاً في وقت التلمذة.

أول أهم الأشياء التي جذبت انتباهي في الصوم هو أنه ليست عملية أتفاخر بها أو أذيعها بين الناس، بل الصوم هو عملية تحدث في صمت بين القرد والله. ليس هناك وقت معين عند المؤمنين للصوم، لكنه نظام يستخدم ليساعدنا على التركيز على الله بطريقة خاصة. عندما لا نأكل يمكننا أن نضع ذهننا بالكامل في الرب. تماماً كما قال يسوع: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله". الصوم مهم جداً عندما نكون في حاجة إلى معرفة توجيه الله وإرشاده لحياتنا أو عندما نكون في حاجة إلى اتخاذ قرار كبير ومهم. لقد عرفت الآن أنني بحاجة إلى أن أضع كل طاقتي في سماع صوت الله والصلاة من أجل ذلك المساء. لم أفكر أبداً في الطعام، لكنني شربت المياه فقط خلال النهار.

بعد رجوعي من عملي قضيت باقي النهار في حجرتي بمفردتي، أقرأ الكتاب المقدس وأصلي. عرفت أن مجدي كان يفعل نفس الشيء وأن الله سوف يعطينه الكلمات التي يقولها في محضر والدي والديتي. حينما حان ميعاد وصوله، كنت أجلس في حجرة المعيشة أقرأ الجريدة. كان والدي معي، بينما كانت أمي في حجرتها تغير ملابسها. عندما سمعت فاطمة جرس الباب، ذهبت لتفتح الباب الساعة الثامنة وخمسة دقائق. لقد بدأ قلبي السباق.

نهضت من مكاني، كما فعل والدي أيضاً، لكي نرحب بمجدي بينما قادته فاطمة إلى حجرة المعيشة.

"مساء الخير يا أستاذ مجدي"، قلت له ومددت يدي لأصافحه.

"مساء الخير يا آنسة إيمان"، جاء رد مجدي العذب: "أشكرك لأجل دعوتك لي".

"أستاذ مجدي، هذا والدي، فتحي بن رجب".

بعد أن استدار إلى والدي، صافحه مجدي وقال: "إنه من دواعي سروري أن أقابل حضرتك، سيدي".

"مرحباً بك في منزلنا يا أستاذ"، قال والدي: "تفضل بالجلوس".

"أشكرك".

وبمجرد أن جلسنا دخلت أُمي الحجرة، فنهضنا جميعاً مرة أخرى: "هذه أُمي، مدام فوزية، وهذا الأستاذ مجدي".

"مرحباً بك في منزلنا يا أستاذ مجدي"، قالت أُمي: "تفضل بالجلوس".

"إنه لشيء لطيف أن أقابلك يا والدتي"، قال مجدي، وجلس مرة أخرى. هل تعيش مع أسرتك هنا في تونس؟"، سألته أُمي بلا براءة.

"كلا، يا ماما، عائلتي تعيش في طبرق".

"لذا فأنت تعيش هنا مع عائلة أم مع أصدقاء؟"، أعتقد إنها كانت تدفعه إلى الكلام لتحصل منه على معلومات.

"كلا، لقد باركني الله بأنه جعلني قادراً على امتلاك شقة بالقرب من جامعتي".

"ليس من السهل الحياة وحيداً".

"إن هذا شيء رائع بالنسبة لي، لأن بعض عناء اليوم كله مع الطلاب في الجامعة والعمل الشاق والضوضاء، أحب أن أعود إلى الهدوء والاسترخاء في منزلي".

انتهاز مجدي الفرصة ليلقي لمحة في اتجاهي. أعتقد أن هذه النظرة شجعت بداخله شيئاً جديداً من الفكر. "ألم تخبرك إيمان بأنها كانت طالبة في قسم الكمبيوتر، وكنت أقوم بالتدريس لها؟".

"كلا، لم تخبرني بأي شيء. هل كانت طالبة جيدة؟".

"كانت طالبة ممتازة، وكانت تعمل بجد لتحسن أداءها".

"لذلك، كان هذا السبب في تعارفكما؟"، سألته أمي.

"نعم، بالرغم من عدم معرفتي بها جيداً. أما بعد هذه السنوات فقد عرفت عنها الكثير من خلال أصدقائها القريبين لها". شعرت بأن يدي تتصببان عرقاً بينما كان يواصل حديثه: "إيمان"، قالت أمي فجأة، هل يمكنك الذهاب إلى فاطمة وتطلبي منها أن تحضر الكعكة والمشروبات؟، ماذا تحب أن تشرب يا أستاذ مجدي؟".

"أود أن أشرب قهوة، من فضلك، ملعلقتان من السكر مع قليل من اللبن"، أجاب مجدي بطريقة مؤدبة. نهضت لأتوجه إلى المطبخ لأبلغ

الأمر لفاطمة. ثم توجهت إلى الحمام حتى أغسل يدي قبل العودة إليهم. عندما دخلت وجدت أن مجدي مازال يتكلم: "لقد أخبرتني ابنتك الكثير عنك".

"أتمنى أن تكون أخبرتك بأشياء جيدة"، قالت أمي بشكها الواضح.

"بالتأكيد، إن إيمان تحترمكما كثيراً جداً، وهي دائماً فخورة بالطريقة التي أسستما بها عملكما وحياتكما. إنها تعلم أنكما تعملان بجد من أجل الأسرة كلها".

"إننا نعمل كل ما نستطيع عمله"، جاءت الإجابة من والدي بكل تواضع.

"أريد أن أسمع المزيد عن عملك منك بنفسك يا سيدي، إن لم يكن لديك مانع؟".

من هنا بدأ والدي يشارك مجدي قصة كفاحه الطويلة ودخوله مجال العمل. بالرغم من أن الشك كاد يقتلني بخصوص موقفي، بينما كنت استمع إلى والدي، عرفت أشياء كثيرة عن حياته لم أكن أعرفها بالفعل، كنت أزداد إعجاباً به أكثر مما سبق كلما عرفت الكفاح والصراعات التي اجتازها في بداية حياته، وكيف استطاع التغلب على عوائق كثيرة حتى يحقق النجاح. لقد كنت مذهولة جداً عندما عرفت أنه أعطى ضماناً لأمي لتجلب حساباتها في الشركة والمحافظة على كل شيء في وقت كان يموج فيه الاقتصاد وكانت الأوقات صعبة جداً. حقاً، كانت قصة رائعة جداً للنجاح العالمي والأرضي. لقد شكرت الرب من قلبي أن عملهما الشاق وفر لنا حياة كريمة.

بينما كان الوقت يمر وأنهى والدي قصته، أدركت أن مجدي أراد أن ينتقل بالمناقشة إلى موضوع زواجنا. لقد ارتعشت خوفاً وفزعاً وأنا على مقعدي حينما سمعته يبدأ: "والدي الفاضل، إن قصة حياتك هي قصة نادرة الحدوث بالفعل في تونس، وأعرف أن الرب باركك بغنى في عملك وفي عائلتك. الآن، أود أن أشاركك بهدف من زيارتي هذه، فهو هدف مزدوج".

"ماذا تقصد يا بُني؟"، سأله والدي.

"اليوم أردت أن أقابلك مع مدام فوزية. كما قلت لحضرتك إن إيمان أخبرتني بالكثير عنكما، وعرفت أنكما متميزين جداً. إنني أقدر قيمة انفتاحكما معي الليلة واستقبالي. لقد تعلمت أشياء كثيرة من القدوة والمثل الطيب الذي ضربته لي الليلة. لكن أريد أن أقول أيضاً لأبد أن تعرف، كما قلت سابقاً، إنني أعرف إيمان منذ وقت طويل بالكلية ومن خلال أصدقائنا، رأيت فيها بعض الصفات والمميزات الخاصة التي لا توجد في أي فتاة سواها".

"إنها فتاة متميزة"، أجاب والدي دون أن يكون واثقاً ماذا يقصد مجدي.

"الدافع الثاني الذي يكمن وراء زيارتي هذه هو إن أمكن أن تسمح لي بطلب يد إيمان من حضرتك للزواج".

"ماذا؟"، صرخت أمي.

"إن هذا الموضوع جاء فجأة يا أستاذ"، قال والدي: "إننا لا نعرف عنك أي شيء حتى جاءت إيمان تطلب منا ميعاداً تزورنا فيه".

"اعلم يا سيدي، ليس لدينا أية نية أو قصد في أن نخفي عنكما أي شيء. كما قلت لحضرتك، إنني وإيمان تعارفنا وكنا نجلس سوياً مع مجموعات من الأصدقاء، لذا لم تكن إيمان في حاجة إلى مشاركتكما بأي شيء، لأن علاقتنا لم تكن حميمة. إن مشاعري هي التي تطورت بينما رأيتهما مع صديقاتها، إنني أثق أن حضرتك سوف تفهم جيداً وتبارك زواجنا".

"فتحي، كيف تسمح لمثل هذا، أن يجلس هنا يطلب منك ذلك؟"، قالت أمي وقد ارتفع صوتها وفقدت السيطرة على نفسها: "من أنت؟ نحن لا نعرفك! كيف تتوقع أن نوافق على الزواج من ابنتنا؟".

"من فضلك يا أمي"، حاولت أن أفعل شيئاً لكن لم أستطع.

"ماذا؟ هل تريدني أن أكون هادئة يا بنت؟ كيف تفعلين هذا يا إيمان؟، إن مثل هذا الزواج أقل منك، وأقل من عائلتنا في المستوى. لدينا خطط عظيمة بالنسبة لك".

"أمي، أريد أن أقول شيئاً واحداً. ألا تعتقدي أن لي الحق، في اختيار الشخص الذي أتزوجه؟"، ولم أصدق أن هذه الكلمات خرجت من فمي.

"أنت تعلمين جيداً أن ليس لك الحق. إنه حق العائلة في قرارها، وأكثر من هذا فهو حق والدك".

"اعتقد أنك ينبغي أن ترحل الآن، يا أستاذ مجدي"، قال والدي برقة وأدب مما أذهلني.

"سيدي هل تعني ليس لدي فرصة للزواج من ابنتكما؟"، سأل مجدي بإخلاص حقيقي. أجاب والدي: "هذا صحيح".

"إنني آسف جداً لهذه الطريقة، يا سيدي. لابد أن أقول لك سواء باركت أو لم تبارك زواجنا، فأنا وإيمان سوف نتزوج".

"ماذا؟!؟" صرخت أمي: "كيف تجرؤ على قول مثل هذا!".

"هناك قوة أعلى منك في حياتنا، وهو الله القدير. نؤمن بأنه جمعنا معاً، ولهذا السبب، قررنا أن نتزوج بموافقتكما أو بدونها، كان يسعدنا أن نحصل على موافقتكما، وإنني أثق في الرب الذي سيدفعكم لمنحنا بركة هذه الموافقة".

"لن يحدث أبداً، من فضلك ارحل الآن".

"سوف أرحل"، قال مجدي وهو يقف: "أشركما على وقتكما. إلى اللقاء يا إيمان".

"مع السلامة يا مجدي".

"لا تتكلمي معه. اذهبي إلى حجرتك"، صرخت أمي. بينما استدرت لأذهب إلى حجرتي، ورأيت والدي يسير مع مجدي إلى الباب. أما أمي فكانت جالسة على الأريكة تكلم نفسها بغضب. لقد عرفت أنني لم أسمع نهاية هذا الموضوع بعد.

الفصل الأربعون

بمجرد أن أغلق باب المنزل، سمعت والدي ووالدتي يتناقشان في الصلاة الأمامية. "كيف تسمح لشخص مثل هذا يطلب يدها يا فتحي! كان عليك أن تستدعي الشرطة!".

"الآن اهدئي يا فوزية. في الواقع لا يبدو سيئاً لهذه الدرجة. ما هو اعتراضك؟".

"لا أستطيع أن أصدقك"، صرخت أمي: "أليس لديك أية طموحات لابنتنا؟ هل تريدها أن تجلب العار والخزي على عائلتنا بمثل هذا الزواج المنحط؟".

"أعتقد أنك محوٍ كل طموح لديها. إذا كنت تريدين أن تزوجها شخصاً أفضل، فلا بد أن تجدي هذا الشخص. أما الآن، فإنك تحتاجين إلى أن تنهي هذه العلاقة".

"سوف أفعل هذا"، أجابت أمي، وسمعت صوت أقدامها وهي آتية إلى حجرتي. لقد انفتح باب حجرتي بدفعة قوية. "إيمان، ما معنى هذا؟ هل تريدين أن تجعلي من الدمية التي يسخر منها الجيران؟ منذ متى تعرفين هذا الشخص؟ ما مدى علاقتك به؟ كيف تجرئين على الزواج من شخص في حالة متدنية وفقيرة مثل هذا الشخص؟".

في ذلك الوقت بدأت الدموع تتدفق من عيني. أردت أن أكون قوية، لكنني لم استطع السيطرة على نفسي. لقد منعني بكائي وتشنجاتي من

القدرة على إجابة أي سؤال من أسئلتها، ربما كان هذا للأفضل. كل ما استطعت أن أقوله: "أنا آسفة يا أمي".

لقد أدركت أمي أنها لن تحصل على أي شيء مني تلك الليلة، لذلك رحلت عني وهي تقول: "هذه ليست النهاية"، ورحلت وجذبت الباب خلفها.

في تلك الليلة، نمت بملابسي، التي ابتلت من دموعي. لم أفهم لماذا جمع الله بيني وبين مجدي ثم أغلق أمامنا طريق الزواج عن طريق والدي ووالدتي. لقد كنت مشوشة جداً.

لم يكن من السهل الاستيقاظ مبكراً في الصباح التالي، لكن بطريقة ما استطعت أن أخرج من المنزل. لقد تجنبنا مقابلة والدي ووالدتي قبل مغادرتي المنزل. حضرت التدريب ذلك اليوم، لكن لم يكن ذهني في العمل. في فترة الراحة الخاصة بالغداء ذهبت إلى التليفون واتصلت بمجدي، عندما سمعت صوته، بدأت أبكي.

"إيمان، إيمان"، توسل إليّ: "لا تبكي من فضلك. ستكون كل الأمور على ما يرام، أهم شيء هل أنت بخير؟ ماذا حدث بعد أن غادرت المنزل؟".

"لقد صرخت أمي فيّ، لكنني لم أنطق بكلمة واحدة لأنني كنت أبكي بشدة، ولم أرها هذا الصباح".

"ربما كان هذا سيئاً جداً"، قال لي محاولاً أن يهدئ من روعي: "نحن عرفنا أنه لم يكن من السهل على عائلتك قبول هذا الأمر. إن ما علينا الآن هو مجرد أن نقف وننتظر ما ستفعله يد الرب، وكيف يريدنا الرب أن

نتجارب مع الأحداث. اطمئني وكوني هادئة الآن. يمكننا أن نتكلم أكثر عن هذه الأمور يوم الجمعة".

"هذا لو سمحا لي بالخروج من المنزل يوم الجمعة".

"إيمان إنك فتاة ناضجة الآن، لا أتخيل أنهما يستطيعان أن يمنعاك من رؤيتي".

أعتقد أنك على حق. لم يستطيعوا أن يمنعونني في الماضي حينما كنت صغيرة".

"لقد أحببت والدك"، قال مجدي بنغمة عذبة.

"إنه شخص جميل ولطيف". ووافقت على كلامه. "لكن، لم يكن الأمر مناسباً مع أمي".

"سنحتاج لأن نصلي من أجلها كثيراً. الآن، اسمعي، لا بد أن ترجعي إلى عملك ولا تضعي الموضوع في ذهنك. إنني متيقن أن الرب سيعلم لنا عن الطريق الذي سنسلكه. نحن في يدي إله صالح، لا بد أن تتذكري ذلك".

"سوف أفعل ذلك، أشكرك يا مجدي، إنني أحبك".

"وأنا أحبك أيضاً يا إيمان. إلى اللقاء".

"إلى اللقاء".

وضعت سماعة التليفون واتصلت ببسمة. أخبرتها بما حدث. بدأت تشهق وتكلم نفسها وبدأت التعليقات، لكن، أخيراً أكملت لها القصة وسألتها

لو ستكون في البيت بعد الظهر، فأجابت بأنها سوف تنتظرني ووجهت لي الدعوة لزيارتها. ثم وضعت السماعة، متطلعة إلى وقت ما مع المرشد الروحي. لقد استطعت أن أعود إلى العمل ووضعت كل ذهني في دراساتي الآن التي شاركت حملها مع الآخرين. ما كان يبدو أنه جيد هو الشعور بكوني جزءاً من جسد المسيح، ولن أضطر إلى الكفاح بمفردي. دائماً كنت أعرف أن هناك شخصاً ما يصلي معي ويسير معي عبر الأوقات المظلمة.

كان من الرائع أن أكون مع بسملة في ذلك الوقت، واستطعت أن أشغل أفكارى بينما كنا نتكلم معاً. لقد أخبرتها بما شاركنا به منصف (أنا ومجدي) على الشاطئ عن أهمية أن نكرم الوالدين، بالرغم من إنه ليس من الضروري أن أرتبط بكلمتهما.

"إنني لا أستطيع أن أفهم كيف أتزوج مجدي دون أن أسبب لهم عاراً، تساءلت بصراحة.

"حقاً، إنني أعلم أنه من الصعب جداً أن تفكري في أن زواجك يسبب كارثة لهما، لكن ربما يقبلون هذا الزواج أخيراً. لكن السؤال الرئيسي هو: هل ستستمرين في طريق هذا الزواج حتى دون موافقتهما؟".

"هذا هو السؤال الكبير، أليس كذلك؟".

"إنني أوافقك".

"من فضلك. يا بسملة، صلى لكي يوضح لي الرب ما أفعله".

"سوف أفعل هذا يا إيمان. إنك أختي، وأنا لا أريد سوى إرادة الله الكاملة لك ولمجدي".

"أصعب جزء في كونك مؤمنة بالمسيح هو أنك بمجرد اتباعك للمسيح قد تؤذين الآخرين".

"أعتقد أن هذا ما يقوله الكتاب المقدس عن كيفية محبة الله أكثر من محبة آبائنا وأمهاتنا. إنني أعيد قراءة هذه الفقرة في إنجيل متى"، وفتحت الكتاب المقدس وبدأت تقلب فيه.

ها هي أسمعي ما يقول الكتاب المقدس: «لَا تَنْظُرُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَلْقِي سَلَامًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأَفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالْإِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبَا أَوْ أُمَّ أَوْ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلَيبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا".

"هذا صعب جداً"، كان هذا كل ما استطعت قوله.

"إن اتباع مشيئة الله لا يكون دائماً هو الطريق السهل، لكن علينا أن نثق بأننا لا نسير هذا الطريق بمفردنا. إن الله يسير أمامنا ويساعدنا في اجتيازه. إنه الوحيد الذي يوضح لك كيف تتجاوزين هذا الطريق الشاق مع عائلتك".

"هل تعتقدي أنه إذا اخترت هذا الطريق الصعب والشاق، بالفعل سيأتي الله بعائلتي إليه؟".

"لا أعلم ماذا سيكون مستقبل عائلتك، لكنني أعلم أنه لو كنت تعيشين حياة تمجد الله، ولو كنت أمينة في مشاركة الآخرين في سبب رجائك، من ثم لا يمكنهم منعك، بل قد يتأثرون ويتخذون قراراً لحياتهم".

"أود معرفة ما سيفعله الله لأمي!".

"إيمان، لا بد أن تصلي أن تكون والدتك مؤمنة بالله، ليس مجرد أن تصبح سيدة أفضل".

"هذا حق، أنا آسفة. الأمر ليس سهلاً".

ثم تركت منزل بسمه في ساعة مبكرة حتى لا أتأخر ويعود والدي ووالدتي قبلي. لقد شعرت بأنه من المهم أن أظهر لهم أنني ما زلت ملتزمة بالمنزل لفترة ما.

الفصل الحادي والأربعون

لم تكن الأيام القليلة التالية سهلة، حيث كان على أمي أن تثق أنني أخذت محاضرة ممتازة عن الزواج في كل مرة تقابلني فيها. حاولت أمي أن تجد طريقة لتمنعني من مقابلة مجدي أو حتى رؤيته، لكنها عرفت أن عملية وجودي داخل حجرتي وإغلاقها عملية مؤقتة وبلا أمل. لم تبقى أمي بالمنزل فترة كافية، كما أنني كنت كبيرة بدرجة تكفي بأن أطالب ببعض الحقوق، لذلك كانت تتركني كل يوم مع تهديد يومي حتى أظل بعيدة عن مجدي، وأن أنساه، وأن أفكر في فرصة أفضل للزواج.

أخي، الذي كان خارج المنزل يوم زيارة مجدي، سمع تقريراً شاملاً عن الموضوع من أمي أيضاً. لقد استغلت أمي الفرصة وأخذتني مثلاً سيئاً حتى تحت أخي على أهمية البحث عن زوجة مناسبة. لم تعلم أنه يعرف كثيراً من الفتيات في وقت واحد. لقد تحول إلى روميو بالفعل. بالرغم من ذلك كان والدي ووالدتي كثيري النسيان لمغامراته وأعماله الطائشة، وطالما عمل بجد ونجاح مع والدي، كانا يتجاهلان حياته الشخصية. لقد تساءلت عن الزوجة التي قد ينتهي به المطاف إليها. لم يكن له رأي في موضوع زواجي أو مستقبلي إلا من أجل بعض الملاحظات الخبيثة.

وافقت بسمة على أن تأخذني إلى شقة مجدي قبل الاجتماع بفترة قصيرة حتى يكون لدينا فرصة للتحدث معاً. بعد أن أوصلتني إلى هناك، عادت مرة أخرى لتحضر بعض أفراد المجموعة. لقد احتضنتني مجدي

طويلاً بمجرد أن كنا بمفردنا، ثم جلس بجواري على الأريكة وقال: "قبل أن نتكلم ونخطط، ليتنا نصلي".

"فكرة جيدة".

ثم أحنينا رؤسنا ونطق كل منا بشهوات قلبه ورغباته أمام الرب. كان رائعاً أن يكون لدينا وقت طويل وممتد للصلاة معاً. لقد افتقدت هذا منذ أيامنا على الشاطئ. علمت أنه بينما كنا نصلي كان الله منصتاً لنا وسوف يوجهنا.

بعد الانتهاء من صلاتنا قال لي مجدي: "فكرت كثيراً فيما حدث من والدك ووالدتك. فكرت أيضاً فيما قاله منصف لنا في موناستير. ورجعنا إلى بيوتنا منذ شهر أما منصف فقد طلب منا الانتظار لمدة شهرين على الأقل قبل أن نخطو أية خطوة. ولأن والديك معارضان للزواج، أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظر الرب لفترة ما".

كان اقتراحه هذا مفاجأة لي. هل ما كان يقوله يعني أنه يريد أن ننسى هذه العلاقة التي بيننا؟ لم أفهم ما كان يقصده وبلا شك قد ظهر ذلك على وجهي الذي كان يبدو غير مستريح لهذه الفكرة.

لا تقلقي يا إيمان، قال مجدي آخذاً بيدي: "إنني لا أقول بأننا لن نتزوج. فقط أريد أن أعمل ما اتفقا مع منصف عليه. لقد قلنا سوف ننتظر لمدة شهرين، وعلينا أن نفعل هذا. ربما هذا يجعل الأمور تهدأ أمام والدتك ووالدك. ربما يتحول رأي والدك في خلال تلك الفترة ويوافق. وإن لم يتغير موقفه في نهاية الشهرين، وظل غير موافق، علينا أن نتكلم مع منصف ثم نخطو الخطوة الثانية".

"ماذا تعتقد أن تكون الخطوة الثانية؟"، سألته وأنا أريد التأكد من أنه لن يهرب مني، فقال:

"لا أريد أن أفكر في ذلك الآن. سوف نترك هذا للرب وحده. هل توافقين على ذلك؟".

"نعم يا مجدي، هذا جيد، أعتقد أن والدي يحبك إلى حد ما. إن لم يكن لأمي رد فعل ضخم مثلما حدث، ربما وافق زواجنا".

"نصلي أن يعمل الرب في قلوبهما معاً". تحدثنا عن مزيد من التفاصيل الخاصة بعملتي وجدول التدريس الخاص به قبل بداية وصول أفراد المجموعة إلى مكان الاجتماع، وقمت بوضع زجاجات المياه والأكواب على المنضدة وكنا نرحب بكل شخص يصل إلى المكان. حقاً، لدينا مجموعة لطيفة ورائعة للعبادة. ومرة أخرى استمتعنا بوقتنا معاً.

مضى الشهر التالي بأسرع مما كنت أتصور، حيث انتهى التدريب وبدأنا العمل الفعلي. لقد بدأت وظيفتي الحقيقية وهي الحديث مع العملاء عبر الهاتف ومساعدتهم في مشاكل أجهزة الحاسب الآلي الخاص بهم. في البداية، كنت خائفة جداً في بعض المرات القليلة، لكن بعد ذلك، وبسرعة، اكتشفت أن معظم الناس لديهم مشاكل مشابهة، لذا كنت أطور من طريقة ردي على العملاء. لقد اعتد على النظام المتبع كل يوم، وبدأت أتدرب عليه، وحتى لو أنني نمت في ساعة متأخرة، فلا توجد أية مشكلة في الاستيقاظ المبكر في اليوم التالي. لم يكلفني هذا سوى فترة زمنية من التعود والنظام من جانبي. كما كنت استمتع بعملتي وسعدت جداً عندما حصلت على أول راتب شهري.

بالرغم من امتلاكي لأموال كثيرة حصلت عليها من والديّ، إلا إن هذا الراتب الأول كان يعني الكثير حيث إنه كان أول مال أكسبه بعد عملي فهو ثمر التعب والكفاح. أول شيء فعلته هو أنني أخذت جزء من الراتب ووضعتُه جانباً للرب. بعد أن بدأت الذهاب إلى شقة مجدي للغداء، وجدت أن هناك صندوقاً موضوعاً من أجل العشور والتقدمات. عندما رأيت هذا الصندوق أولاً، لم أعرف ماذا يعني، فشرح منصف لي وساعدني أن أفهم الهدف من وجود هذا الصندوق فيما بعد. كان ذلك من خلال حديث منصف الذي قضى الاجتماع كله وهو يشاركنا عن العشور. من خلال الآيات التي شارك بها، أدركت أنه من المهم أن نقدم العشور لله من أموالنا. لقد عرفت أنه عندما أقدم جزءاً من أموالي، سيبارك الله فيما يتبقى حتى لو كان قليلاً، وسيسد كل الاحتياجات. كنت شغوفة أن أختبر هذا بالفعل. سيكون هذا أمراً مهماً في حياتي من الآن فصاعداً.

بسبب عدم خروجي كثيراً خلال هذا الشهر، هدأت أُمِّي بالتدريج من ناحية مجدي أخيراً ولفضولها قالت لي: "أرى أنك قد نسيت كل ما يخص مجدي كما قلت لك. إنك فتاة ممتازة".

"لم أنس أي شيء عنه، يا أُمِّي، لكنني قد وضعت الأمر بأكمله بين يدي الرب. الله وحده فقط هو الذي سينظر في الأمر".

"وما يعني هذا الكلام؟". سألتني وهي في حالة ضجر من برودي في الرد، إذ بدا أنه رد غير محترم. قلت لها: "أعنى أنه إذا أراد الله لنا الزواج، فهو الذي سيدبر كل شيء".

"منذ متى أصبحت متديّنة؟".

"إنني أؤمن بالله دائماً"، أجبتها ببرود.

"سوف تحتاجين الله بجانبك إذا كنت بعد ترغيبين في الزواج من هذا الولد".

"بالطبع يا أمي"، قلت لها ببساطة.

"لم تحاول أمي دفع الموضوع إلى أية ناحية أخرى، وأعتقد أن السبب هو أنها لم تعرف ماذا تفعل معي. لقد كنت عائناً كبيراً أمامها كالعادة، وبدأ أنه من الأسهل لها أن يبقى هذا العائق بعيداً عنها.

بعد نهاية الشهرين، رأيت والدي في مكتبه وانتهزت الفرصة حتى أجس نبضه وأعرف شعوره بخصوص مجدي.

"والدي، هل أزعجك الآن؟". سألته عند دخولي إلى الحجرة.

"كلا، يا إيمان، ماذا تطلبين".

"والدي، أريد أن أسألك مرة ثانية، هل حقاً لا توافق على زواجي من مجدي؟". كنت جريئة في سؤالي لكنني لم أجد طريقة سوى هذه للحصول على الإجابة التي احتاجها.

"من الرائع والعظيم أن أمك لم تسمع السؤال. ادخلي وأغلقي الباب، يا ابنتي". دخلت ثم أغلقت الباب خلفي وجلست على كرسي أمام مكتبه.

"إيمان، الأستاذ مجدي إنسان رائع جداً. لقد كنت مبهوراً جداً بما كان يفعله في الجامعة وأن لديه شفته الخاصة، هذا يبين قدرته على العمل الشاق، وهذا شيء ممتاز. لكن عندما تتزوجين من أستاذ بالجامعة. لا بد

أن تتقي أنك لن تكوني أفضل عما كنت عليه سابقاً. لن توجد أي فرصة لتعليم أفضل. كذلك أعتقد أنه لن يستطيع أن يوفر لك حياة كريمة مثل التي نوفرها لك. وأيضاً ماذا لو حدث ذلك ولديكما أطفال؟ هل تستطيعين حقاً أن تعيشي على راتبه فقط؟ أنا وأمك لنا أحلام كبيرة بالنسبة لك يا إيمان. لقد أبليت بلاءً حسناً في الدراسة، وأنت الآن تعملين. إنك تمتلكين الكثير لتقدميه لرجل ذي ثروة. لا تضيعي ما تمتلكينه على شخص لا يمكن أن يعرف قيمته. أريدك أن تتزوجي شخصاً أفضل منك وليس أقل منك".

"لا أرى أن مجدي أقل مني يا والدي".

"أعرف أنك لا ترين أنه أقل منك، لكن ستشعرين بهذا يوماً ما، وسيكون الأمر قد انتهى. اتركي مجدي وراء ظهرك، وانظري إلى مستقبل أفضل".

"سأفعل ما يريده الله، يا والدي"، قلت له دون أن أظهر أنني موافقة أو غير موافقة على ما يقوله.

"أعلم ذلك جيداً. ابنتي العزيزة، أنت فتاة رائعة".

تركت مكتب والدي وقلبي سقيم. الآن، علمت أنني لا بد أسير ضد مشيئة أبي، لكن كان لدي أمل أن يقبل مجدي. لقد قال إنه يحبّه. وهذا في حد ذاته يعتبر شيئاً جميلاً".

الفصل الثاني والأربعون

قام مجدي بعمل الترتيبات التي يجب أن تتم حتى نتقابل مع منصف في منزل أخته لمناقشة المستقبل. ذهبت إلى بسمه في منزلها يوم السبت بعد الظهر مباشرة بعد خروجي من العمل. كما كان على مجدي ومنصف مقابلتنا في منزل بسمه. دخل منصف وقدم التحية لوالدته، التي كانت في فراشها. ثم دخل إلى الصالون ليقابلنا، حاولت بسمه الانسحاب من وسطنا، لكنني صممت أن تكون معنا لأنه من الأحسن أن يكون معنا سيدة أخرى تبدي رأيها في الأمور.

قبل البدء في الكلام، طلب منصف منا أن نقضى وقتاً في الصلاة لنطلب من الرب أن يمنحنا حكمة وأن يوجهنا ويرشدنا. لقد عرفنا أنه (الله) سوف يعطينا وحدة في الذهن والروح ونحن نطلب مشيئته وإرادته. وبمجرد الانتهاء من الصلاة، بدأ منصف أن يسألنا عن شعورنا الآن وبعد انقضاء مدة الشهرين.

أؤمن أن الله ما زال يريدنا أن نتزوج يا منصف"، أجب مجدي.

"وما هو شعورك يا إيمان". سألني منصف.

"نفس الشعور والإحساس، وهو شعور يتزايد داخلي بقوة".

"وما رد فعلك عائلتك يا مجدي؟".

"تحدثت مع أُمِّي في التليفون"، أجاب مجدي: "والدي متوفي وأُمِّي تحبني، لذلك فهي ستكون سعيدة من أجل أي شيء أفعله. لقد قلت لها إنني تقابلت مع فتاة لطيفة وربما تكون هي الزوجة التي أبحث عنها، فقدمت لي التهنئة وكانت تريد أن تتأكد من أن إيمان إنسانة ممتازة كما قلت لها. قلت لها إنها تعرف الله. وهذا ما جعلها سعيدة".

"الآن: إنني في حاجة إلى صنع قرار. إذا كنتما تؤمنان بأن الله يريدكما أن تكونا معاً، أستطيع أن أقول لكما أيضاً إنني مذهول من حبكما الواحد تجاه الآخر، ومعجب بسلوككما. أعلم إنه ليس من السهل لكل شخص منكما، أن ينسى الماضي، لكنني أعرف أن التغيير الذي في حياتكما أحدثه يسوع المسيح. إنني أقدر مدى صبركما وانتظاركما لمدة شهرين أمام الرب. بسمه، هل ترين سبباً للانتظار أكثر؟".

"كلا، لا أجد سبباً للانتظار. إن عائلة إيمان لن توافق أبداً، وكذلك بما أن مجدي لديه شقة بالفعل، فلا أرى أي داعي للانتظار. وكما قلت يا أخي، من الأفضل ألا تكون فترة الخطوبة طويلة، حتى نستطيع أن نحمي أنفسنا من التجربة".

ابتسم منصف لأخته، ثم قال: "لا أرى أي سبب يمنعني من مباركة زواجكما وأن أوافق عليه. يا ترى من الذي تحباه أن يقوم بمراسم زفافكما وأين ومتى يجب أن يتم هذا".

نظر مجدي إلي وأجاب، أننا لا نستطيع أن نفكر في أي شخص أفضل منك ليرتب الاحتفال. أنت مرشدنا ومعلمنا. سنكون مباركين لأنك ستتم كل شيء".

"هذا شرف كبير لي، يا أخي".

"أما بخصوص المكان، كنا نفكر في منزل يوسف، إنه كبير ويكفي لأصدقائنا، كما أنه موافق على استضافتنا".

"هذا شيء رائع، هل حقاً وافق؟"، قال منصف بصوت مرتفع.

"لقد سألته، إذ تزوجنا وكنت أنت موافقاً، هل يمكن أن يتم الحفل في بيته، فأكد ذلك"، أجاب مجدي.

"الآن، متى ترغبان في أن يُقام حفل الزواج؟"، ونظر إليّ.

"ما رأيك في أن يكون في الليلة الأولى من عيد رمضان؟"، عرضت هذا الرأي: "سيكون ذلك بعد 40 يوماً وسيكون مجدي في إجازة من التدريس لمدة أسبوع على الأقل في ذلك الوقت".

"هل هذا سيوفر وقتاً كافياً للتخطيط للزفاف؟"، سألتني بسمّة.

"أعتقد أنه لا يوجد الكثير لنخطط له. سوف أحتاج إلى فستان وبعض المشروبات والمأكولات للضيوف، لكن لا يوجد أكثر من هذا، أليس كذلك؟".

"في الواقع، لا يوجد"، قال منصف: "فعلاً، إنني أشجع أن يكون الحفل بسيطاً".

"ليس من الحكمة أن ننفق أموالاً كثيرة على الحفل. إنني أعرف عائلات كثيرة غاصت في أعماق الديون بسبب حفلات الزفاف، ونحن لسنا على استعداد لعمل هذا"، قال مجدي.

"هل يمكنك مساعدتي يا بسمّة؟"، سألت صديقتي.

"تعلمين أنني سوف أساعدك، كما أن هناك بعض السيدات الأخريات سوف يقمن بمساعدتك أيضاً. سيكون ذلك ممتعاً وأيضاً تدريباً جيداً لي!".

"أرجو ألا تقوليني إن هناك خطبة ستتم قريباً يا أختي"، تعجب منصف.

"اطمئن يا منصف، إنني أمزح فقط".

"لا أثق في مثل هذه النكات. إنني كأخ لك، آخر من يعلم دائماً".

ضحكنا جيمعاً ثم بدأنا نتكلم بالتفصيل عن كل ما سوف يحدث.

كان علي أن أجد طريقة حتى أنقل بها أشيائي ومتعلقاتي من منزل أسرتي، لكن بهدوء وببطء. عندما يعرف أهلي أنني قد تزوجت، ربما لا يسمحون لي بالرجوع إلى المنزل أبداً. لذلك كان لابد أن أجهز الأمر مقدماً وأن أنقل كل ما أستطيع نقله. جلست أنا وبسمّة نفكر سوياً في كيفية نقل الأشياء من منزلي إلى منزل بسمّة حتى يتم الزواج، وقد وضعنا نظاماً رائعاً.

خلال الشهر القادم، سوف أقوم بارتداء ملابس أكثر مما أرتدي كل مرة ثم أذهب إلى منزل بسمّة بعد الظهر. هناك توجد حقيبة ملابس كبيرة سأضع فيها كل ملابس الشخصية. كان يبدو علي أنني ممثلة جداً ومحشوة بالملابس، لكن لم يشك أحد في الأمر لأن الجو كان بارداً. كان كل اهتمامي هو فاطمة. كنت أخشى إما أن تلاحظني أو تلاحظ دولا ب ملابسي الذي يصيح فارغاً. لقد أدركت أنها بدأت تشك حينما جاءت يوماً ما وقالت لي: "آنسة إيمان، هناك بعض من ملابسك لا أجدها".

"كان يجب علي أن أخبرك، يا فاطمة، لقد أخذتها إلى منزل بسمه ولن أسترجعها".

"نعم، يا آنسة؟". لقد عرفت وفهمت أن ردي لم يقنعها، لكنني كنت أعرف أنها لن تخبر أحداً. إنها لا تحب أن تسبب أية متاعب لي أو لنفسها.

كما كانت إلين متعاونة جداً معي في العثور على فستان للزفاف، حيث كان لدى إحدى صديقاتها فساتين فأخذتني وساعدتني على اختيار أحدها. كما كان يوجد معه قلادة مزركشة بالخرز وكان الفستان كله مطرزاً ومنظره فوق الرائع. عندما رأيتي بسمه أرتدي فستان الزفاف، بدأت تصرخ.

"إنك جميلة جداً"، قالت بسمه وهي تحتضنني بقوة.

"إن عينيك هما الجميلتان". أجبتها: "أشكرك، يا بسمه، على كل ما تفعله معي ولأجلي. إنني أعرف إن هذه عملية خطيرة عليك".

"أبدأ"، قالت بسمه: "لأنني أعرف أن الله معك أنت ومجدي، أعلم أنه سوف يحمينا جميعاً".

"أعرف أن معك كل الحق. إنني مجرد خائفة.

لا يوجد ما يخيف. كل شيء سيكون على ما يرام". الآن انتهينا من الفستان، نحتاج فقط إلى الانتهاء من تجهيز الورود حتى نزين بها المنزل.

لقد باركني الله جداً بأصدقاء يصنعون من يوم زفافي يوماً خاصاً جداً. كانت بسمه خلقة ومبتكرة فكنا نعمل معاً أنا وهي وزوجة يوسف حتى

نصنع الورود والزهور من الأقمشة والورق الموجود في المنزل. طلبت باقة من الورد لي ثم وردة واحدة لبسمة لأنها ستقف بجواري. أما مجدي ويوسف، فسيكون في جاكيت كل منهما وردة.

الفصل الثالث والأربعون

بدأنا نخبر الأصدقاء عن زواجنا قبل الحفل بأسبوع. لم يبلغ مجدي أمه عن الحفل بسبب الموقف ووضع عائلتي. لذا قرر مجدي أنه بمجرد أن نتزوج سنقوم برحلة إلى طبرق لنزور أمه ونقيم احتفالاً هناك. بهذا ستصبح الأمور سهلة لكل الأطراف.

قمنا بدعوة العديد من الأصدقاء من الجامعة، وبعض من زملاء مجدي في العمل. أيضاً، كان معظم الضيوف من جماعة المؤمنين المشاركين في مجموعتنا. بينما كنا قد أعدنا القائمة التي تحتوي على أسماء الذين سنوجه لهم الدعوة للحضور، خطر اسم ليلي فجأة على بالي. لم أرها منذ سنوات عديدة، لكن بينما كنت أخطط لحفل زفافي تذكرت زواجها السري من عوض. لذا سألت مجدي عنهما فعرفت أنه لم يتصل بهما منذ أن بدأ يعمل في الجامعة. "هل تعتقد أنهما ما زالوا يعيشان في نفس المكان"، سألت مجدي.

"هل تريدان أن تذهبي وتكتشفي؟".

"نعم، سأفعل هذا". خططنا لنذهب إليهما في اليوم التالي لنحاول العثور عليهما. لم تحدث تغيرات كثيرة للمنطقة عما كانت عليه خلال زيارتي لها المرة الأولى. ما زالت الشوارع غير ممهدة ومعظم المباني لم تكتمل. وصلنا إلى المنزل وطرقنا الباب، بعد دقائق قليلة وجدنا سيدة عجوز تفتح لنا.

"هل يمكن أن أساعدكما"، سألتنا تلك السيدة.

"مرحباً، اسمي مجدي، إنني أتساءل هل ما زال صديقي عوض يسكن هنا مع زوجته ليلي أم لا؟".

"ياه، تفضلاً بالدخول، قالت السيدة بحرارة. أعتقد إنني أتذكرك".

"نعم، يا أمي، لقد أتيت إليهما مرات عديدة"، قال مجدي.

لم يعد عوض وليلي يعيشان هنا منذ فترة طويلة، لقد انتقلا إلى مكان آخر منذ سنتين". تغيرت وجوهنا وبدأنا نتخبط مع أمواج الشك في العثور عليهما بعد سماع هذه الأخبار. ربما لا نعثر عليهما. "ألا تعلمين أين يقيمان الآن؟"، سألتها.

بالطبع أعرف!. قالت السيد العجوز بحماسة. لقد قاما بشراء شقة من تلك الشقق الجديدة التي بُنيت على جانب الطريق الرئيسي من هنا، لقد قدما لي الدعوة لزيارتهما مرات كثيرة".

"هذا رائع جداً!". تعجب مجدي: "هل يمكنك أن تعطينا العنوان؟".

"يسرني هذا"، قالت السيدة: "إنهما زوجان لطيفان ولديهما أطفال ممتازين".

"أطفال؟"، قلنا معاً.

نعم لقد أنجبت ليلي طفلين آخرين بعد زيارتكما لها. إنها تحب أطفالها جداً".

"لا بد أنها تحبهم"، قلت في دهشة.

أخذنا العنوان ورقم التليفون من هذه السيدة وودعناها بكلمات الحب والثناء والتقدير. لم تكن الشقة الجديدة بعيدة. لقد تكلمنا عن التغيرات التي سنجدها في عوض وليلى وكيف سيفاجأون بزيارتنا لهما.

أخيراً وصلنا إلى الشقة - قام مجدي بالضغط على الجرس فتحت ليلى الباب. ثم وقفت على الباب ناظرة إلينا في دهشة وذهول، وأكثر ما عبر عن ذلك كان وجهها، فلم أعرف هل كانت سعيدة أم حزينة لرؤيتنا. ظننت أنها فقدت صوتها. وعندما بحثت عنه وجدته صرخت: "سبحان الله إيمان! ومجدي! كيف يحدث هذا؟ يا لها من مفاجأة سعيدة تفضلاً بالدخول ... تفضلاً!" دخلنا المنزل بعد كفاح شديد حيث كانت ليلى تعانقنا وتحضننا وتقبلنا معاً في وقت واحد. كانت سعيدة جداً برؤيتنا، كما كنا نحن سعداء أيضاً بها وبرؤيتها مرة أخرى. ثم أخذتنا ليلى إلى حجرة معيشة صغيرة بها أريكة بسيطة وكرسي ومكتب مصنوع من البلاستيك. وبمجرد أن جلسنا وجدنا طفلين صغيرين دخلاً إلى الحجرة جرياً إلى أمهما.

"هل تتذكران محب". قالت ليلى، بينما كانت تضع يدها فوق رأس الطفل الأكبر.

"ياه، إنه صبي كبير الآن"، تعجب مجدي.

نعم لقد أصبح رجلاً الآن، أجابت ليلى بفخر. "وهذه إيمان، طفلتنا الثانية.

"إيمان"، كررت الاسم مرة أخرى لدهشتي.

لقد أطلقت على ابنتي اسم إيمان، تلك الإنسانية التي يرجع لها الفضل في معرفتي بعوض وكانت سبباً في التقائنا سوياً وزواجنا". نظرت ليلي إلى وجهها تملؤه ابتسامة عريضة.

"هذه أخبار رائعة يا ليلي"، ثم نهضت لأحتضنها مرة أخرى. لقد انحنيت إلى إيمان حيث كان عمرها أقل من ثلاث سنوات وقلت لها: "مرحباً يا إيمان. هل تعرفين اسمي؟".

"كلا"، أجابت الطفلة، وهي تتعلق بساق أمها.

"أنا اسمي إيمان أيضاً".

"ياه.....!"، أجابت الطفلة بوجه يعلوه الخجل مع الابتسامة. ثم نظرت إلى وجه أمها. "حبيبتي، لقد أطلقت عليك اسم إيمان لأن أحسن صديقة لي هي إيمان، والآن أنت تريينها. هل يمكنك أن تعطيها قبلة؟".

اتكأت إيمان الصغيرة على وجهي ووضعت خدها بجوار خدي بتردد، ووضعت ذراعي حولها ثم قبلتها مرة أخرى في جبهتها. "إنها جميلة ولطيفة يا ليلي".

بينما تحركت لأجلس بجوار مجدي، بدأت ليلي تتكلم: "أتوقع حضور عوض إلى البيت في أي وقت ليتناول الغداء معنا. سوف يكون سعيداً جداً لرؤيتكما مرة أخرى".

"ماذا يعمل الآن؟" سألها مجدي. "يبدو أن الظروف قد تحسنت معكما لأنكما الآن تمتلكان شقة خاصة بكما".

"نعم، لقد باركنا الله بالفعل، يا مجدي، كما تتذكر جيداً أن في بدايتنا كان عوض يعمل مع نجار محلي وقضى معه عاماً يتعلم فيه أساس الدخول في هذا العمل وكيف يطور من نفسه وموهبته ومهارته. ثم بدأ بتصنيع الأثاث قطعة، قطعة. بهذه الطريقة، استطاع عوض توفير بعض المال فاستأجر محلاً صغيراً. ثم خطوة بخطوة وبالعدة البسيطة بدأ عوض الدخول في سوق العمل وبدأ مشروعه المستقل. ولأن عوض كان ماهراً في صناعته للموبليا استطاع أن يبيع هذا الأثاث للعملاء بأموال كثيرة. الآن معظم شغله وصناعته مطلوبة منه بصفة خاصة. إنه يصنع الأثاث بناءً على طلب العميل، وهذا يساعد في الحصول على دخل أكثر. وهكذا أصبحت قادرة على الإقامة في المنزل مع أطفالي الذين أحبهم".

"إنني سعيدة جداً بسبب حياتك هذه، يا ليلي".

"أنتما لم تريا طفلنا الثالث بعد. تفضلا، إنه نائم في المؤخرة." نهضنا من أماكننا وتبعناها إلى حجرة نوم صغيرة، حيث وجدنا ولداً صغيراً جميلاً نائماً.

"اسمه وهبة، لأنه جاء هدية وعطية من الله لنا".

"إنني أحب أسماء أبنائك"، قال مجدي برقة: "هذه الأسماء تعلن عن أهمية الله في حياتكما".

ثم تبعنا ليلي مرة أخرى إلى الصلاة.

"بدون قيادة الله لنا وإرشاده، لم نكن قد فعلنا هذا بمفردنا، أو بقوتنا"، قالت ليلي: "ماذا تقصدين"، سألتها ولدي فضول لمعرفة معاني كلامها.

قبل أن تقدم ليلي أية إجابة، سمعنا الباب يُفتح، وكان القادم هو عوض. أسرع ليلي جرياً إلى الباب وأمسكت بيد عوض: "اتبعني إلى حجرة المعيشة، يا عوض، عندنا ضيوف".

"من هم هؤلاء الضيوف؟"، سأل عوض بينما كانت ليلي تجذبه خلفها إلى الحجر. وعندما شاهدناه ونظر إلينا أضاء وجهه من شدة الفرح والسعادة، وظهرت ابتسامة عريضة على شفثيه. "مجدي! إيمان! لا أصدق هذا، يا إلهي، لنا فترة طويلة لم نر أو نقابل بعضنا البعض! ثم قام باحتضان مجدي وتقبيله ثم رحب بي بكل محبة ومودة. ثم بدأت نشارة الخشب من محل النجارة الذي يمتلكه، تتساقط وتنتشر في الحجرة.

"أليس هذا جميلاً أن نراها مرة أخرى يا عوض؟"، سألت ليلي بابتسامة.

"حقاً، لنا مدة طويلة لم نتقابل"، أعلن مجدي كلماته هذه كموافقة على كلام عوض: "لا أعلم ماذا حدث. الحياة هي وحدها التي أبعدتنا".

"نعم"، لكنها أعادتنا مرة أخرى: "قال عوض: 'وأنتما لا تزالان معاً'".

"قريباً سنكون معاً بطريقة طبيعية ورسمية"، قال مجدي.

"ماذا تقصد يا صديقي؟"، سأل عوض.

"سوف نتزوج أنا وإيمان يوم السبت".

"ألف مبروك!"، تعجب عوض وكذلك ليلي معاً. قامت ليلي لتقبلني مرة أخرى، كما قام عوض بتقبيل مجدي: "هذا شيء رائع"، قال عوض.

"هذا سبب حضورنا الآن"، بدأت أشرح لهما: "نريد أن تكونا معنا في حفل زفافنا. يجب ألا نسمح لصداقتنا أن تتوقف، ونأسف ونعتذر عن ذلك. ما زالت لكما مكانة خاصة في حياتنا". "وأنتما أيضاً"، قالت ليلى.

"حقاً، هذا جعلني أتذكر شيئاً ما"، دخل مجدي في الحديث: "ليلى، كنت تقولين لنا وتحكي عن كيف كان الله معكما خلال السنوات الماضية القليلة. آسف، يا عوض، لكننا بالفعل نريد أن نسمع ما حدث لحياتكما. لقد افتقدناكما كثيراً، أعني، أن لكما ثلاثة أبناء الآن!".

"هذا شيء حقيقي"، قال عوض: "لا أعرف ماذا كانت تقول ليلى، لكن هناك الكثير الذي تغير في حياتنا، إن الله صالح جداً. سأسمح لها أن تخبركما، إنها تحب أن تنتهز الفرصة لتخاطب البالغين! إنها تقضي وقتها طوال اليوم مع الأطفال، وهي تحتاج إلى المحادثة مع أشخاص كبار بالفعل. واصلتي الحديث يا ليلى".

"أشكرك كثيراً جداً، يا عزيزي"، ردت ليلى على كلام عوض: "كنت تقول لهما إن الله كان صالحاً جداً. وبدون الله لم نكن قد استطعنا عمل أي شيء. بالفعل بدأ كل شيء عندما كنا نعيش مع أم بسام. لقد كانت امرأة فاضلة وقد عاملتنا كأبنائها. حقاً، لقد أدهشنا حبها لنا.

"نعم، إنها الوحيدة التي أخبرتنا بمكانكما الجديد. إنها تتكلم بصورة رائعة عنكما"، هذا ما تدخلت به في الكلام.

"إنها أمانة الروحية"، استمرت ليلى: "عندما سكنا في منزلها، لم نرغب في البداية التدخل في حياتها الشخصية. على أي حال، من حقها أن يكون لها حياتها الخاصة وأمورها السرية. كان لها ابن واحد يعيش معها. أدركنا

أن هناك شيئاً ما يحدث في منزلها كل أسبوع حيث كانت تأتي مجموعة صغيرة من الناس لزيارتها. لم نعتقد أن ميعاد زيارتهم لها كل أسبوع كان ثابتاً ومقصوداً. في كل مرة جاءوا لزيارتها كنا نغلق باب حجرتنا لكن كنا نسمعهم يغنون لكن كانت هذه الأغاني غريبة جداً. كل هذه الأغاني كانت تتكلم عن الله".

"حقاً؟"، قال مجدي، ثم نظر إلي نظرة عميقة وابتسم.

"نعم، وأنتما تعرفان كمسلمين أننا لا نغني مثل هذه الأغاني لله بهذه الطريقة. الأغاني التي كنا نعرفها كان أغاني دنيوية عن الحب والرومانسية والعشق والهيام والغرام وخلاف ذلك. أما أن نسمع أغاني تعطي المجد لله كان شيئاً جديداً على آذاننا وأذهاننا. لذا وجدت نفسي أفتح النافذة الموجودة بجبرتي حتى أسمع أغانيهم جيداً. ثم بدأت أكتب هذه الأغاني وأردها فيما بعد مع نفسي. عندما فتحنا النافذة، بدأنا نسمع ما يقولونه. ثم أدركنا أنهم يقرأون من كتاب لا نعرفه".

"من أي كتاب كانوا يقرأون؟"، سألته.

"الكتاب المقدس، كتاب المسيحيين".

"هل كان هؤلاء الناس مسيحيين؟ يجتمعون في منزل أم بسام؟"، سأله مجدي.

"نعم، لكن الشيء الغريب هو أن جميعهم كانوا من التونسيين. كنت لا أعتقد أن أجد خلاف المسلمين في تونس".

"وماذا فعلت؟".

"يجب أن نعترف أن فضولنا ازداد. أعتقد أن ما زاد إعجابنا بهم وجذبنا إليهم هو الموسيقى، كما لم يصرخ أحد في الآخر أبداً"، أضاف عوض. "نعم، هذا صحيح"، وافقت ليلي على كلام عوض.

"كنا أحياناً نختلس النظر إليهم وهم خارجون من حجرة الجلوس يحتضنون بعضهم البعض ويضحكون كثيراً معاً. لم نر مجموعة من الناس مثل هؤلاء. لقد كانوا طبيين وودودين، ومن عائلات مختلفة ومستويات مختلفة من الحياة. هذا كل ما نستطيع أن نقوله".

"دعني أكمل القصة يا عوض"، قالت ليلي.

"أنا آسف، استمري يا ليلي".

"كما قلت لكما، كان لدينا الفضول أن نعرف هؤلاء الناس؛ سألت أم بسام عنهم، فقالت إنهم مجموعة من الناس، يتبعون تعاليم عيسى المسيح ويجتمعون معاً ليقدموا صلاة وعبادة معاً لله. لقد قبلت منها هذا التفسير والشرح بسهولة. بعد ذلك وجدت أن أم بسام تدعوني لزيارتها مرة معهم أنا وعوض إذا كنا نرغب في ذلك. وافقنا، ومرة أخرى، وجدنا أن هؤلاء الأشخاص غير عاديين".

"ألم تخافا لئلا تؤدي هذه الزيارة وهذه المجموعة إلى تغيير دينكما؟"، سألتها.

"إنه شيء غريب، يا إيمان"، أجابت ليلي: "لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة. لقد تربيت وكبرت في منزل مسلم منفتح. كنا نصلي من وقت لآخر ونصوم رمضان. لكن كان هذا كل شيء. لم أر أي شخص في

أسررتنا يأخذ الدين باهتمام وجدية. أعتقد أن هذا السبب هو الذي جعلني أحب الطريقة التي كان يتعامل بها أفراد المجموعة في اجتماعهم معاً. لقد كانوا ثابتين في عبادتهم ومخلصين جداً. على أية حال، قررنا أن نجتمع معهم في الأسبوع التالي. عندما بدأ الناس يأتون إلى المنزل كانت أم بسام تقدمنا لكل واحد منهم. لقد كانوا محبين لنا جداً ولم يترددوا في أن نكون معهم، كنا نصغي إليهم وهم يقومون بالصلاة، كما أنني استطعت أن أقول بعض الأغاني معهم، لأنني قد حفظتها، ثم بدأ شاب من المجموعة يقرأ الكتاب المقدس ويشارك بما جاء فيه". هنا توقفت ليلي، ثم قالت: "عوض، لماذا لا نخبرهم من أين كانت هذه الفقرة؟".

"وهو كذلك"، استجاب عوض لها: "كان الدرس في ذلك اليوم من رسالة كتبها الرسول بولس إلى مجموعة من الناس. كان يخبرهم أنه كان يتوق أن شعبه وأهله من اليهود يخلصون. لقد أعلن أن اليهود كانوا غيورين على عمل الله، لكن غيرتهم لم تكن مبنية على المعرفة. ثم أخذ نفس الفقرة وشارك بقوله إنه يشعر بنفس شعور بولس بخصوص شعبه في هذا القطر، الكثير غيرون ومتحمسون لله، لكنهم يعتقدون أن بإمكانهم الوصول إلى الله عن طريق الشريعة. عن طريق قوتهم وأعمالهم الصالحة، تماماً كما كانت تقول الفقرة، إن البر يأتي عن طريق الله وليس عن طريق الشريعة، لكن من خلال الإيمان بالمسيح، يمكننا تحقيق هذا البر أو الوضع السليم مع الله، باعتراف بسيط وهو أن يسوع هو الرب مؤمنين في قلوبنا أن الله أقامه من الأموات. بهذا يمكننا أن نخلص".

"ماذا كان رأيك فيما قيل يا عوض؟"، سأله مجدي.

"مجدي، قد تعتقد أو ربما تظن أنني مجنون، لكنني رأيت أن ما قيل هو الحق. لقد عرفت بقلبي أن ما أسمعه هو كلام حقيقي. لم أسمع أبداً أن مسلماً يقول إنه يثق في حقه بالوقوف أمام الله، أو يقول إنه واثق بأنه سيكون في الجنة. بالطبع كان لابد أن أسأل بعض الأسئلة، وهم سمحوا لي بذلك. لقد تعاونوا جداً معي حتى يوضحوا بعض النقاط عن يسوع وعن المسيحية، لكن في النهاية قبلت الحق وما زلت أعيش به إلى وقتنا الحاضر".

هل تقصد أن تقول لي أنك أصبحت مسيحياً؟"، استفسر مجدي.

"إننا نفضل القول بأننا أتباع يسوع المسيح"، أجاب عوض: "لكن في مصطلحات بسيطة تقول نعم".

"لا يمكننا أن نكون أبداً أسعد من كوننا في هذه اللحظات!"، تعجب مجدي.

"ماذا؟"، كان هذا تعليق ليلي وردّها.

"نحن أيضاً أتباع يسوع!"، أنا قلت.

"لا أصدق هذا، غير معقول!" صرخ عوض.

"إن ما يذهلني هو أنني لم أسمع عن مجموعتكم"، قال مجدي.

كثير من الكنائس تعرف بعضها وتحاول الاجتماع معاً كل شهر، لكننا لم نعرف عن المجموعة التي تجتمع في منزل أم بسام".

"نحن أيضاً لم نعرف أن هناك مسيحيين آخرين في المدينة!"، تعجب عوض. هل سمعت عن هذا يا ليلي. يوجد الكثير منا!".

"نعم، إنه شيء رائع. إنني لا أطيق الانتظار حتى أخبر المجموعة".

الفصل الرابع والأربعون

واصلنا الحديث وأهملنا وتجاهلنا الوقت، وغمرنا شعور شديد بالفرح لمعرفة أننا أتباع يسوع المسيح. كان لدينا الكثير نتحدث عنه. كما شاركنا بقصة تحولنا من الظلمة إلى النور ومن الشهوة إلى الحب، وكيف أن الرب الآن أعطانا قوة لنسيطر على شهواتنا الجسدية إلى أن نتزوج. أيضاً تكلمنا عن الكنيسة التي نقيمها في شقة مجدي وكيف باركنا الرب. ثم طلبنا من عوض وليلى أن يشاركونا اجتماعنا في الأسبوع التالي، ثم وضعنا خططاً لكنيستهم حتى تحضر معنا الاجتماع الكبير من المؤمنين خلال شهر. كان أمراً مذهلاً أن يقود الله عوض وليلى إلى معرفته. كما قادنا نحن أيضاً - لكن بطرق مختلفة. لقد امتلأ الجميع بالفرح وغمرتنا السعادة.

كان من الصعب جداً أن نترك عوض وليلى وعائلتهما الكريمة ذلك اليوم. هذه المرة حينما ودعت صديقتي كنت أعلم أنها ليست آخر مرة أراها فيها. لم أعد أنانية وأخجل من ظروف حياتها كما حدث مني سابقاً. نظرت إليها فقط من خلال عيني يسوع المسيح فوجدتها امرأة جميلة وأماً صالحة، لقد عرفت أن المستقبل يبدو مشرقاً أمامي مع مجدي. كنت سعيدة جداً لأنها ستحضر حفل زفافي.

كانت هناك أشياء كثيرة لابد أن نقوم بها قبل يوم السبت المحدد للزفاف، أهم شيء من بين هذه الأشياء هو زواجنا الشرعي في المحكمة. قررنا أن نوقع على أوراق الزواج يوم الخميس. كما أن بسمه ومنصف سيكونان معنا كشاهدين على الزواج، لن يعرف أحد آخر، حتى لا تتعرض

الأمر للخطر. لقد اقتربت من أن أنقل كل ملابسي ومتعلقاتي الشخصية إلى منزل بسمه. كانت حجرتها ممثلة جداً بكل ما أحضرته من متعلقاتي التي تكدست في ركن من أركان الحجرة. ورغم كل هذا، لم تلاحظ أمي أي شيء، حيث إنها لم تدخل حجرتي، شكراً لله.

قابلت مجدي وبسمه ومنصف يوم الخميس بعد الانتهاء من العمل في مكتب حكومي حتى نوقع على عقد الزواج. كنت خائفة لكن كنت واثقة من الخطوة التي كنا نخطوها. لقد قدمنا بطاقتنا الشخصية للمسئول وقمنا بملء الاستمارات اللازمة ووقعنا عليها. أحد الأشياء الجميلة في القانون التونسي هو إنه أساساً قانون علماني (دنيوي) بالطبيعة، فالزواج لا يحتاج إلى شيخ مسلم، بالرغم من أن أوراقنا وكل عقودنا تحمل عنوان: بسم الله الرحمن الرحيم. حقاً، إن الله هو الرحمن الرحيم، لا أمانع في ذلك. لقد أعلن رحمته العظيمة لي، وكنت أقدم له شكري من أجل عمله هذا كل يوم. بمجرد أن انتهينا من أوراقنا، أخذ مجدي النسخة الخاصة بنا وقام بطيها بعناية وحرص ووضعها في حقيبتها. عندما خرجنا من المبنى أخذنا منصف إلى جانب الطريق وقال لنا: "الآن، أنتما زوج وزوجة شرعياً. وطبقاً للقانون التونسي، وبما أنكما وقعتما على عقد الزواج، فأصبح لكما حق ممارسة الزواج الشرعي. لكنني أعتقد أنه من الأفضل أن تنتظرا حتى تحتقلا بزواجكما أمام جسد المسيح".

"إننا نؤمن بنفس الشيء يا أخي"، وافق مجدي: "بالنسبة لنا، هذه أشياء رسمية. لن نتزوج إلا عندما نقف أمام الله ونقطع عهودنا".

"إنني سعيد جداً لأنك ترى الموضوع بهذه الطريقة"، قال منصف:
"سننقابل غداً".

"شكراً يا منصف، شكراً يا بسمه"، قلت لهما ونحن نقبل بعض لنودع
بعضنا البعض.

"بسمه، سوف أتكلم مع مريم حتى تقوم بعمل فورمة خاصة لشعري من
أجل الزفاف، أعتقد أن هذا آخر شيء نحتاج إليه قبل زفافنا".

"نعم، سأكلمك فيما بعد، إلى اللقاء"، قالت بسمه بينما رحلت مع
أخيها. توجهت مع مجدي إلى أقرب محل سندوتشات، حيث اشترى بعض
السندوتشات للغداء. بينما كنا نجلس على منضدة لنتناول الطعام، سألني
مجدي: "يا ترى، ما هو شعورك الآن؟".

"إنني منفعة جداً"، كانت إجابتي.

"لقد انتهينا من الموضوع يا إيمان".

"أعرف ذلك يقيناً، إنني لا أستطيع تصديق ذلك. يا لها من أشياء لا
تعرفها أمي!".

"أتمنى أن تخبريها بكل شيء يوماً ما"، قال مجدي وهو ينظر لي
بقصد.

"لا أعلم هل هذا ممكن أم لا يا مجدي، ربما تصيبها أزمة قلبية".

"الله سوف يبين لك كيف ومتى تخبريها".

"ربما"، قلت له، متسائلة ومتعجبة على طلبه الغريب.

ذهبت إلى الاجتماع يوم الجمعة، لكن لم أمكث طويلاً. كان على القيام بعمل بعض الأشياء الباقية القليلة. كنت أفكر أيضاً في طريقة أودع بها أسرتي. كانت مشاعري وعواظي تجري وتتدفق بقوة بينما كنت متجهة إلى منزل أسرتي تلك المرة. هل ستسمح عائلتي لي بالعودة إلى ذلك المنزل مرة أخرى؟ هل ستبحث عني أسرتي؛ وتبلغ الشرطة، هل سأستسبب في فضيحة لهم؟ كان وجهي يكشف عما يدور بداخلي وعما أفكر فيه، لأنه عندما فتحت فاطمة الباب وشاهدت وجهي، سألتني: "هل أنت بخير يا آنستي؟".

"نعم يا فاطمة، أنا بخير".

"يبدو أنك حزينة جداً"، حاولت فاطمة مرة أخرى.

"نظرت إليها، لكنني لم أقل لها أي شيء حتى لا أكتشف عن خططي. لم أرد أن أعرضها للخطر مع أُمي: "سيكون كل شيء على خير ما يرام. لا تقلقي يا فاطمة، ربنا سيتولى كل شيء".

"وهو كذلك يا آنستي"، ثم عادت إلى عملها.

لقد أدركت، بينما دخلت إلى حجرتي التي تبدو فارغة، أنني ما زلت احتاج إلى مزيد من الوقت للصلاة. بسبب عملي وكل الاستعدادات الخاصة بالزفاف لم يكن لدي وقت كافٍ لقضائه مع الرب. الآن، أعرف أنني في احتياج إلى قوته ليعتني بي في الأيام القادمة. لقد أغلقت باب حجرتي بهدوء وركعت على سريري.

"ربي وإلهي، أنت ترى الحالة التي أعيشها الآن. إن مشاعري متذبذبة، فتارة مرتفعة وتارة أخرى تهبط. لأن أشياء كثيرة رائعة قد حدثت. أنت الذي جهزت استعدادات هذا الزواج ليمر بسلام وهدوء، أعطيتنا المكان، والملبس والمأكل والأصدقاء الذي سيحضرون. لقد سمحت لنا بأن نتقابل ثانية مع ليلي وعوض، كما منحتنا يا رب بركة إضافية بمعرفتنا بأنهما من أتباع يسوع المسيح. كيف أستطيع أن أسبح اسمك بصورة كافية؟ الآن، يا رب، لقد سمحت لي بأن أكون زوجة شرعية لرجل رائع. حقاً، إنك إله كريم ومحِب، أنت تعطي بسخاء أكثر مما نستحق. أشكرك يا رب، من أجل الفداء الذي حصلت عليه بيسوع المسيح. أشكرك يا رب لأنك أخذت الإناء المكسور والمتسخ وأعدت تشكيله مرة أخرى واستخدمته كألة وأداة لمجدك. الآن يا رب أسألك أن تساعدني خلال اليوم التالي. ليتك تعمي عيون عائلتي عن رحيلي وعن خططي. ليتك تجعل زواجي يمر بسلام. ساعدني يا رب أن أكون الزوجة التي يحتاجها مجدي. إنني أحبه كثيراً وهو يحبني كثيراً، مثلك كما أحببتي، بالرغم من خطاياي، واختارني كشريكة لحياته، اجعل بيتنا ملجأ وملاذاً للجميع، يشعرون فيه بمحبتك بمجرد دخولهم، وأن ينتعشوا عند رحيلهم. يا رب، ليتك تجعل قلب أمي وأبي في سكينة عند سماعهما خبر زواجي، وساعدهما على الاستجابة لي والتجاوب معي. يا رب أسألك أن تساعد أمي بصفة خاصة أن تهدأ وأن تقبل قراري. يا رب لا تسمح أن تدخل فاطمة في متاعب بسبب أفعالي. يارب، إنني أطلب منك الكثير. اليوم أحتاج إلى معونتك في أشياء ومجالات كثيرة. املأني بروحك حتى أتحرك من خلال الروح الأيام القادمة بنعمة وسلام. أشكرك يا رب، أشكرك من أجل يسوع. أشكرك من أجل محبتك، في اسم يسوع أصلي. آمين".

ظلمت على ركبتي في هدوء في حجرتي، وسمحت لسلام الله يأتي إلي، لإنني وضعت كل أحمالي أمامه. ثم نهضت حتى أستعد لمواجهة آخر ليلة في منزل أسرتي. فتحت باب حجرتي بهدوء وخرجت حتى أكتشف الموجودين بالمنزل. لم أجد سوى والدي، مرة أخرى في مكتبه. طرقت الباب برقة قائلة: "هل تأذن لي بالدخول؟".

"إيمان"، قال والدي، ناظراً إلي: "لم أعرف أنك موجودة بالمنزل".

"أين أمي وخالد؟" سأله بينما أدخل إلى المكتب.

"أعتقد أن والدتك قد توجهت إلى الكوافير، أما خالد فقد خرج إلى مكان ما. لا أستطيع أن أتابع هذا الولد".

"إنه شخص ممتاز يا والدي إنني أعرف إنه يساعدك كثيراً في عملك".

"نعم، بالفعل. إنه ظريف ومبتكر وممتاز جداً في معاملاته مع العملاء".

"إنه يتعامل بطبيعته"، قلت له بكل أمانة، وعندما لم يقدم والدي أية كلمات أخرى للحوار، قلت له: "سوف أتركك بمفردك الآن، أتيت فقط لأقدم لك التحية. إنني أحبك جداً يا أبي".

"وأنا أيضاً، يا عزيزتي".

ثم عدت إلى حجرتي، سعيدة جداً لأنني سأرحل بعد أن سمعت مثل هذه الكلمات من والدي. وكنت أتمنى من كل قلبي أن يكون بمقدوره أن ينطق بهذه الكلمات فيما بعد.

لن أرى أُمِّي ثانية. استيقظت مبكراً في الصباح حتى أذهب إلى العمل. وكان عليها أن ترحل بعد بفترة قصيرة. عندما رجعت إلى البيت بعد الظهر ذلك اليوم، كانت فاطمة وحدها في المنزل. لقد وافقت بسمه على أن تمر بسيارتها لتأخذني خلال نصف ساعة، لذلك وضعت آخر متعلقاتي في حقيبة صغيرة وانتظرت حتى تصل بسمه، كما عرفت أيضاً أنه إذا ذهبت إلى المطبخ، ربما تشعر فاطمة بأن ثمة شيئاً ما هناك، لذلك مكثت في حجرتي أتأمل في حوائطها الأربعة، وفي سريري، ومكتبي، ودولاب ملابسي، ورجعت بذاكرتي سنوات كثيرة إلى الوراء لأتذكر ما حدث معي في منزل أسرتي، خاصة تلك الحجرة التي عشت بها أيام طفولتي وشبابي. كانت تثور بداخلي عواطف ومشاعر مختلطة وكنت أشعر ببركاناً هذه المشاعر الحلوة العذبة والمشاعر المرة يكاد ينفجر في داخلي بينما كنت على أهبة الاستعداد للرحيل من منزل وموطن طفولتي. كان منزلنا هو وطني الصغير، فكان من الصعب أن أهجره وأرحل إلى مكان آخر وأترك موطن ذكرياتي بخلوها ومرها.

لم يُوقظني من أفكاري سوى صوت سيارة بسمه. خرجت بسرعة جداً وصرخت في اتجاه المطبخ: "فاطمة، إنني ذاهبة إلى منزل بسمه". ثم أغلقت باب المنزل خلفي قبل أن ترى فاطمة أي شيء وقبل أن تخرج من المطبخ. أسرع الخطوات وقفزت داخل السيارة. نظرت إلى المنزل ووجدت فاطمة تقف في مدخل البيت. لوحت بيدي إلى فاطمة وذهبتا.

الفصل الخامس والأربعون

"كيف حالك؟" سألتني بسمه بينما كانت تقود بسرعة حتى تبعد عن منزلنا.

"أنا بخير، لكن إن لم تقللي السرعة فسوف نواجه متاعب كثيرة!".
آسفة"، قالت بسمه، وبدأت تقلل من سرعة السيارة: "أعتقد إنني قد أزعجتك. هل واجهت أية مشكلات؟".

"كلا، لا يوجد أحد في المنزل سوى الخادمة، حقاً، لم أر أُمي وأخي بالأمس. يبدو أنني أشعر بأنني سأحترق لأنني لم أستطع توديعهما بطريقة أو بأخرى".

"إنني متأكدة أنك ستريهم مرة أخرى. الله سوف يجهز طريقة لذلك".
"نعم، ربما يحدث ذلك". إتكأت للخلف ثم أخذت نفساً عميقاً: "سأبدأ حياة جديدة يا بسمه، لا أصدق هذا".

ستكونان - أنت ومجدي - رائعين. إنني أثق أن الله سوف يستخدمكما بطريقة عجيبة".

"أتمنى هذا".

"أولاً، لنبدأ مشوار زواجكما! مريم في منزلي ومعها أدوات المكياج والشعر".

"ياه، إنني خائفة جداً!".

سوف نستمتع! لقد رأيت منزل يوسف في هذا الصباح. لقد نظفته عائشة وقامت بترتيب الأثاث ليتناسب مع الجمع".

"إنها رائعة جداً لأنها سمحت لنا بأن نستخدم منزلها. لا بد أن أفكر في طريقة أشكر بها أولئك الذين قدموا لنا يد العون".

"ياه، أنت!", لقد صرخت: "دعوني أتزوج أولاً!". إن التفكير في الأطفال وضع في جسدي قشعريرة، وعدت بالذاكرة إلى الطفولة الأولى. لقد سامحني الله كثيراً إذ كنت أحاول أن أمتع نفسي بالغفران.

كانت الساعة تقترب من الرابعة عندما وصلنا إلى منزل بسمه. لقد كانت أم بسمه معنا وتعلن سرورها بخصوص هذا اليوم: "سوف تكونين أجمل عروس"، قالت وهي تقبلني.

"أشكرك يا مدام سعيدة"، أجبتها: "أشكرك لأنك سمحت لي أن أستخدم منزلك للاستعداد للزفاف. إنك إنسانة كريمة جداً".

"إنها سعادة لنا وبركة عظيمة لمنزلنا".

"الآن، يا أختي"، قاطعتني بسمه: "يجب أن تدخلني لتأخذي حماماً، أما أنا فسوف أحاول إعداد فستاني. وعندما تبدأ مريم في وضع المكياج لك، سوف آخذ حماماً وأستعد".

"هذا شيء رائع"، قلت لها بلطف.

كانت مريم تعمل وكأنها أحد الجراحين وهي تضع أدوات المكياج على السرير لتضعها على وجهي. لم أستخدم أبداً مساحيق كثيرة، لذلك لم أستطع تمييز ما الذي يستغرق وقتاً طويلاً. بالرغم من ذلك، لم تكن النتيجة النهائية كما كنت أتوقع، بالطبع أضافت اللون المطلوب إلى وجهي. ثم بدأت بعد ذلك في شعري. جففته وبدأت تلفه حول الفرشاة وقامت بفرده فأصبح طويلاً ومستقيماً. كان شيئاً غير عادي أن أرى شعري المجدد بصورة طبيعية وقد أصبح أملس ومستقيماً. بدلاً من الحجاب، شدته إلى الخلف بعيداً عن وجهي واستخدمت عصا الرأس المرصعة باللؤلؤ والأحجار البراقة. وعندما أصبح شعري مستقيماً وصل الآن إلى وسطي. ورغم كون شكل شعري بسيطاً، إلا أنه بدا أنيقاً لدرجة أنني كنت سعيدة به. كان حفل الزفاف سيبدأ الساعة السابعة مساءً. لقد اتصل منصف بالفعل بمنزل والدته مرتين ليتابع إتمام كل شيء. كان مجدي يستعد للزفاف معه في منزل يوسف. لقد تمت بسمه على إعداد المشروبات، وتأكدت أن كل شيء في مكانه السليم وأن الموسيقى جاهزة. كان كل شيء يسير بصورة جيدة، فارتديت فستاني الساعة السادسة والرابع. لم أصدق نفسي حينما وقفت أمام المرأة. حقاً، كنت عروساً بالفعل. يا له من شعور رائع. لقد أخذت مريم عدة صور لي بمفردي ثم أخذت عدة صور لي مع بسمه. هذه الصور سوف تكون ذكرى جميلة ورائعة.

أخذنا السيارة جميعاً الساعة السابعة إلا الربع حتى نعبّر المدينة. بالرغم من أننا كنا نعرف أننا سوف نتأخر دقائق قليلة، لكن هذا كان متوقعاً. الضيوف لا تأتي أبداً في الميعاد، وكان من الأفضل للعروس أن تتأخر بدلاً من أن تتزوج دون أن يوجد ضيوف. كان المرور مزدحماً

وكانت بسمه حريصة في قيادتها في حدود السرعة الآمنة والمسموح بها. كنا جميعاً عصبين لأننا لم نأخذ وقتاً كافياً. أخيراً، حينما رأينا منزل يوسف عن بعد، طلبت بسمه من مريم أن تصلي لنا قبل الوصول.

كانت عيوننا مفتوحة بينما كانت مريم تصلي فبدأت قائلة: "أبي السماوي، نسلم لك الآن هذا الوقت الخاص بمجدي وإيمان، بارك زواجهما واحفظه ليتم بأمان وتسير كل الأمور بسلام. يارب، ليتك تبارك حياتهما معاً. استخدم زفافهما لتلمس قلوب كل الذين لم يعرفوك كمخلص لحياتهم. في اسم يسوع آمين".

عندما وصلنا إلى منزل يوسف، وبمجرد خروجنا من السيارة، قامت النسوة باستقبالنا بالزغاريد والهتافات، كما وجدنا الأصدقاء في انتظارنا خارج المنزل. عندما هبطت من سيارة بسمه حاط بي الجميع، لكن عائشة أخذتني في يدها بسرعة إلى حجرة نومها انتظاراً لميعاد الحفل. ساعدت مريم في إعداد المقاعد لكل حتى يكون هناك هدوء. كثير من الناس كانوا يققون بجوار سور المنزل لأن عدد الكراسي لم يكن كافياً. وبدأ شريط الموسيقى الذي أعدناه للحفل.

لقد فحصت بسمه كل شيء خاصة شعري وفستانني بينما كنا نجهز نفوسنا للدخول. خرجت عائشة من الحجرة عندما أعطت مريم الإشارة. دخلت بسمه ببطء إلى الحجرة تمسك في يدها وردة وكانت تتبسم. ثم أغلقت عيناها وأخذت نفساً عميقاً، ثم بدأت في الدخول بناءً على إشارة مريم.

لقد شعرت أن كل العيون تركز النظر علي بينما كنت أسير ببطء من خلال مدخل الباب وعبر الحجرة. جاءت عيناى في عيني مجدي فوراً فابتسمت له بمجرد أن رأيته وترسم على وجهه ابتسامة القبول. من خلال نظرتي عبر الحجرة وجدت كثيراً من الأصدقاء في الكنيسة وزملاء العمل. أيضاً رأيت عوض وليلى وكان وجههما يلمعان من الفرح. ثم رجعت إلى تركيزي وتقدمت للأمام بينما جاء مجدي ليقف بجواري أمام منصف. وبدأت مراسم الاحتفال.

"أحبائي الأعزاء"، قال منصف بصوته الجهوري: "اجتمعنا اليوم هنا في محضر الله وأمام هؤلاء الشهود لنحتفل بارتباط أختنا مجدي وأختنا إيمان برباط الزواج".

سمعت ما قاله منصف في تلك الليلة، لكن كل شيء كان يبدو مثل الحلم. لقد تمت مراسم الاحتفال. تكلم منصف أولاً عن معنى الزواج المسيحي، وكيف جعل الله الزواج منذ البداية بين رجل واحد وامرأة واحدة، ولا يوجد أي انفصال أو طلاق بينهما. هذا هو الزواج الذي شرعه الله منذ البداية. لقد بني الزواج على الحب، كما أعطى لنا المسيح بنفسه مثالاً في علاقته بالكنيسة. لقد أعجبتني الكلمات المدونة في رسالة أفسس التي قرأها منصف: "كَذَلِكَ يُحِبُّ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يَبْغِضْ أَحَدَ جَسَدِهِ قَطُّ بَلْ يَفُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضاً لِلْكَنِيسَةِ. لِأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَداً واحداً".

ارتفعت زغاريد المجموعة وتصفيقهم للتهنئة. ثم وضع مجدي زراعه حول كتفي بينما جاء الناس ليهنئوني أنا ومجدي. كنت مغمورة جداً ومنبهرة عندما وجدت أن هذا الفرع الذي نعيشه نشارك به الآخرين الذين حضروا. كان بالحفل كثير من زملاء مجدي في العمل وصافحوه بالأيدي وقبلوه. كما سمعت البعض منهم يقول إن هذا كان أحسن حفل زفاف يحضرونه. أدركت بالفعل أن الله يفتح الأبواب أمام قلوب كثيرة. كانت ليلى وعوض أول من وصلوا إلينا. لقد احتضنتني ليلى بشدة ودموع الفرع تتدفق من عينيها وتنزل وتتساقط على خديها.

"هل تعتقدين أنه يمكننا أن نحظى، أنا وعوض، بمثل هذه الخدمة، حتى لو كنا قد تزوجنا منذ سنوات عديدة؟".

"لا أرى أي مانع"، أجبتها وأنا أحتضنها مرة أخرى: "أعتقد أن هذا سيكون مثلاً رائعاً للمؤمنين الذين تزوجوا قبل الإيمان. سوف نتحدث مع منصف عن هذا الموضوع".

"أشكرك يا إيمان. إنني فخورة بك. إنك عروس جميلة".

"إنني مسرورة لوجودك معي هنا"، كاد قلبي ينفجر من العاطفة.

استمرت التهاني لفترة طويلة، ثم تحركنا لنستمع بما سنأكله ونشربه ونتحدث به. كما بدأت الكاميرات تصور يميناً ويساراً، وذلك لرغبة بعض الأصدقاء في الاحتفاظ ببعض الصور للذكرى. إن الزواج بين المؤمنين بالمسيح في تونس لا يزال نادر الحدوث وكل حفلة سوف تكون مثلاً وقوة لعروس ولعريس المستقبل. لقد حاولنا أن تتم كل المراسم ببساطة حتى تظهر للناس أن الزواج الشريف وبهذه الطريقة لا يكلف كثيراً من الأموال.

أخيراً، استطعت أن أعرف أن مجدي كان مستعداً لنرحل حينما أشار لي وقال: "نرحل من هنا الآن". ابتسمت له وأشرت برأسي. ثم ذهبت إلى بسمه وقلت لها إننا سوف نرحل الآن.

"سيقود منصف السيارة ليصل بكما إلى شقتكما". قالت بسمه: "لقد وضعت حقيبتك في سيارته".

"أشكرك، يا بسمه"، كان ردي عليها بينما كنت أقبلها: "لم أكن أستطيع عمل شيء بدونك".

"إنني لا أريد سوى أن تكوني سعيدة".

"إنني سعيدة جداً الآن، أريدك أن تسعدي مثلي".

"ربما يأتي وقتي قريباً". قالت بخجل.

"هل انتظر الدعوة قريباً؟". لقد عرفت مؤخراً أن رياض كان ودوداً جداً معها.

"الرب وحده يعلم"، ردت بابتسامة.

"دعيني أعرف عندما يخبرك الرب بذلك".

"ستكونين أول من يعرف. الآن يمكنك التحرك من هنا!".

أسرعت ورجعت بجانب مجدي وأخذت بيده. ثم بدأ يلوح بيده عالياً لكل الموجودين بالحجرة وقال: "أشكركم جميعاً لمجيئكم! الرب يبارككم جميعاً".

مرة أخرى امتلأت الغرفة بالزغاريد والتهاني ونحن نتقدم للأمام تجاه الباب. كان منصف في انتظارنا بالسيارة. لقد وضع شخص ما باقة ورد صغير على المرأة الجانبيه. كان منظرًا رائعاً ولمس قلبي.

فتح مجدي الباب أمامي فدخلت وأفسحت له مكاناً ليجلس بجواري، وتجمع أصدقاؤنا حتى يقومون بتوديعنا، عندما بدأ منصف يسير بالسيارة بعيداً قال: " الآن يمكنك أن تقبل العروس!".

مال مجدي بجواري وقبلني قبلة قوية مملوءة حباً على شفتي. كانت قبلة رائعة! وقال: "وأخيراً تزوجنا! مرحباً بك يا زوجتي".

ابتسمت له وانحنيت على كتفه: "أنا سعيدة جداً يا مجدي"، هذا كل ما استطعت أن أقوله.

بسرعة أدركت أننا لسنا في طريقنا إلى بيت مجدي. "إلى أين تأخذنا يا منصف؟" سأله في استغراب.

"إنني أذهب بكما إلى حيث طلب مني زوجك يا مدام"، رد على بلغة السائق.

"مجدي ما هذا؟".

"لابد أن نقضي شهر عسل، أليس كذلك؟".

"نعم، لكن يمكن قضاء ذلك في المنزل"، أخبرته.

"ليلة واحدة في فندق لن تفسد شهراً كثيراً، ولن تكلفنا كثيراً، لا أعتقد ذلك. بالإضافة إلى أنني أريد أن تكون الليلة الأولى في زواجنا ليلة خاصة لنا كزوج وزوجة".

"لكنني لم أضع في خطتي هذا لذلك لا توجد معي ملابسني!".

" لا تقلقي، لقد أعدت بسمه كل شيء".

"بسمه؟، هل رتبت هذا أيضاً؟"، قلت في تأثير عميق: "بين الحين والآخر لم أعرف كم عدد المفاجآت التي كنت أتلقيها!".

الفصل السادس والأربعون

استغرقنا وقتاً طويلاً بالسيارة عبر المدينة حتى وصلنا إلى الشاطئ. أخيراً توقف منصف أمام فندق صغير يطل على المياه مباشرة، خرجنا من السيارة وأخرج منصف أمتعتنا من حقيبة السيارة وقبلنا وودعنا ثم غادر المكان وقال: "التاكسي الذي سيقلكما سيصل إلى هنا غداً في تمام الساعة الثانية ظهراً. ألف مبروك".

"شكراً جزيلاً يا منصف لأجل كل ما فعلته معنا"، قال مجدي، بينما كان يحتضنه بحرارة: "لقد كنت بركة لنا".

"نعم، شكراً يا منصف". أعلنت هذا بصوت رقيق: "الآن عُذْ أدرجك إلى البيت وخذ قдрاً كافياً من الراحة. إنني أثق أن إلين زوجتك تقتدك كثيراً".

"سوف يحدث هذا بالفعل، ليبارككم الرب. طابت ليلتكما".

"طابت ليلتك"، قلنا له بصوت واحد.

رأيناه يغادر المكان بالسيارة فاتجهنا إلى الاستقبال في الفندق. بعد التأكد من الحجز والانتهاء من الإجراءات توجهنا إلى غرفتنا، فقام مجدي بجذبي تجاهه وقال: "لقد جعلت مني أسعد رجل في العالم".

"وأنا كذلك، أسعد امرأة".

"إيمان، لقد فكرت كثيراً في هذه الليلة. لا يمكننا أن نخدع أنفسنا ونقول لا نعرف ما الذي ننتظره أو نتوقعه. بالرغم من ذلك، فإن هذه الليلة تختلف تماماً، وهذا الاختلاف هو ما أريده وأسعى إليه. إنني أريد أن نبدأ زواجنا وأن يكون الرب في وسطنا بكل تأكيد. هل يمكننا أن نصلي ونسلم مستقبلنا للرب؟ أعتقد أنه إن لم نفعل ذلك، فسوف نجد نفوسنا أسوء مما كنا عليه سابقاً. ما رأيك؟".

"أوافقك 100%، دعنا نصلي الآن".

أخذ مجدي بيدي واتجهنا إلى جانب السرير، وركعنا وأحسينا رؤسنا، وبدأ مجدي صلاته قائلاً: "أبي السماوي، لا نستطيع أن نقدم الشكر الكاف، لأنك جمعتنا معاً مرة أخرى كزوج وزوجة. يا رب، أنت تعلم أنه كان لنا ماضي معاً، تعلم أننا كنا نعيش في الخطية من قبل سوياً قبل أن نعرف يسوع المسيح. أشكرك يا رب لأجل الغفران الذي حصلنا عليه من خلال تضحية يسوع على الصليب. إننا نريد أن نبدأ حياة جديدة في المسيح الواحد مع الآخر. نريد أن تكون علاقتنا سبباً في تمجيد اسمك، يا رب. أشكرك من أجل إيمان. يارب، ساعدني لأكون زوجاً صالحاً لها، وأن أحبها كما أحببتنا يارب، نطلب بركة لزواجنا، في اسم يسوع".

بنفس الطريقة واصلت أنا أيضاً الصلاة: "وأنا يا رب أريد أن أقدم لك الشكر لأنك إله الفرصة الثانية. بالفعل يا رب قد أفسدنا علاقتنا الأولى فحاولنا أن نحب بعضنا البعض دون وجود المسيح في حياتنا. يا رب، نفهم كم هو صعب أن نحب بدون أن ندرك. ونعرف ما هي المحبة الصالحة. أشكرك يا رب لأنك أعلنت حبك لنا من خلال يسوع المسيح.

أشكرك لأنك سمحت لنا أن نتذوق ونختبر الحب الحقيقي. يا رب، أشكرك لأجل مجدي، أشكرك لأنك وهبته حباً غير عادي لي. ساعدني حتى أكون زوجة تستحقه وتشرفه وتباركه. أشكرك يا رب من أجل هذا اليوم الرائع. في اسم يسوع أصلي آمين".

لف مجدي يده حول كتفي وضممني بشدة. لم يقل أي أحد منا أي شيء لكن ظللنا ساجدين نتأمل فيما فعله الله معنا وفيما ومن خللنا، وكان كلانا مذهولاً حيث أصبحنا الآن زوجين بالفعل.

أخيراً، نهض مجدي وأخذ يدي برقة لأقف بجواره: "الآن يا زوجتي العزيزة"، قالها وهو يجذبني إلى جواره: "أريد أن استمتع بك".

ابتسمت ثم تركته ودخلت إلى الحمام حتى أستطيع تغيير ملابسني. بالرغم من أننا مارسنا المتعة الجنسية معاً سابقاً، إلا أن تلك الليلة كانت تفوق أي شيء آخر استمتعنا به سابقاً. فبالنسبة لي، قد استمتعت بمعرفتي أن أسلم نفسي وجسدي بالكامل للشخص الذي سأقضي معه بقية حياتي. لقد عرفت أنه لن يوجد ما يمكن أن يجعلني أشعر بالذنب في صباح اليوم التالي، ولن يكون هناك ندم. هذا ما قصده الله بين الزوج والزوجة. العلاقة الحميمة في الزواج يجب أن تكون علاقة ممتعة ومثيرة، وقد كانت بالفعل.

كان ذلك الأسبوع شاقاً وكان يوم الزفاف مرهقاً، لذلك نمنا الواحد في حضن الآخر وبين ذراعيه، لم نستيقظ إلا في وقت متأخر من الصباح اليوم التالي. بعد أن أخذ كل منا حماماً وارتدينا ملابسنا، توجهنا إلى مطعم الفندق لنتناول الإفطار. بينما كنا نأكل كنا نشارك بالتفكير في طريقة نخبر بها أبي وأمي. لم نستطع أن نقرر أيهما أفضل، أن نتصل تليفونياً

ونخبرهما أم نذهب إليهما وجهاً لوجه. لقد أجلنا الحديث في هذا الموضوع إلى أن نصل إلى منزلنا، لكن كنا نعلم أنه لابد من عمل هذا في ذلك اليوم.

جاءت بسمه لتأخذنا من الفندق. ألقت علينا تحيتها بحرارة وقالت إن لديها جزءاً عظيماً من متعلقاتي في حقيبة سيارتها. لذا وضعنا حقائبنا الصغيرة بجوار مجدي في المقعد الخلفي، بينما جلست في المقعد الأمامي بجوارها. وبينما كنا في طريقنا إلى شقتنا، شاركتنا بما حدث في حفل الزفاف بعد أن رحلنا عنهم بالأمس. لقد كانت أحداثاً شيقة.

فقالت:

"لدي أخبار سارة لابد أن أنقلها لكما".

ما هذه الأخبار؟"، سألتها.

زميلتك في العمل، حبيبة، سلمت حياتها للمسيح الليلة الماضية وقامت بالصلاة معلنة اتباعها ليسوع".

"هللويا..."، صرخ مجدي بأعلى صوته: "كيف حدث هذا؟".

"جاءت لمسة الله إليها عندما حضرت مراسم الحفل ولاحظت الحب الذي ظهر بيننا جميعاً، ثم بدأ رياض الحديث معها منتهياً إلى أن أعلن لها الحق عن يسوع المسيح، لقد كان قلبها جاهزاً وطلبت من يسوع أن يكون رباً ومخلصاً لها".

"هل سمعت ذلك يا إيمان؟"، قال مجدي بإثارة في صوته. "لقد كسبت السماء نفساً جديدة في زواجنا. هل تتخيلي هبة وعطية أفضل من ذلك في زواجنا؟".

"لا أرى أفضل من ذلك يا مجدي"، تجاوبت معه: "إنني سعيدة جداً".

"أيضاً، كان لدي وقت عظيم فيه عرفت صديقتك ليلي يا إيمان"، استمرت بسمه في حديثها: "إنها وزوجها شخصان متميزان. لقد اندهش الجميع عندما عرفنا أنهما من أتباع المسيح. وأن لهما مجموعة في منطقتهم. لم نعرف عن هذه المجموعة أي شيء. لكن منصف ورياض حددا ميعاداً لزيارة اجتماعهما الأسبوعي القادم".

"هذا شيء مشجع جداً"، قلت لبسمه متجهة إلى الخلف وابتسمت إلى لمجدي. "يا لها من أخبار سارة نبدأ بها يومنا".

وصلنا إلى شقتنا ثم قمنا بتفريغ السيارة من كل الأشياء. تفضلني لتشريني معنا أي مشروب يا بسمه"، طلبت من بسمه بمجرد أن انتهينا من كل شيء.

"شكراً، لن أستطيع. فهذا اليوم الأول لكما في بيتكما. استمتعا بوقتكما. سأراكما فيما بعد".

"شكراً جزيلاً يا بسمه"، قال مجدي.

"أشكرك يا أختاه. حقاً نقدر كل ما قمت به معنا".

"سأكون على اتصال بكما"، قالت بسمه بينما خرجت من الباب: "ألف مبروك".

"الرب يباركك أيضاً مثلي"، قلت لها وهي تهبط السلم.

"آمين"، سمعتها وهي تحيب على صلاتي.

أغلقت الباب وأنا أضحك واستدرت فوجدت مجدي خلفي تماماً فقفزت . "مرحبا بك في بيتك يا حبيبتي"، قال مجدي وهي يحيطني بذراعيه.

"أشكرك يا حبيبي". ثم قبلته برقة: "والآن يا زوجي، هل يمكنك مساعدتي في أداء بعض واجباتي الزوجية وتحمل معي الحقيبة الممتلئة بالملابس إلى حجرة النوم؟".

"فهمت لقد بدأت بالفعل الواجبات الزوجية". قال مجدي.

"سوف أكافئك على هذه الخدمة"، قلت له بعذوبة وأنوثة. واصلت العمل معه في ترتيب الشقة. كنت أعلم أن تنظيم الشقة سوف يحتاج إلى وقت ليس بقصير حتى يتم. كان الأمر صعباً في البداية حيث أنني اعتدت على المعيشة بمفردي في حجرة عندما كنت مع أسرتي. لذلك كان أمامي وقت حتى اعتاد على غير ذلك.

وبينما كنت أرتب الشقة وأنظّمها، كان مجدي على التلفون. عندما انتهيت من تنظيم الشقة سألته مع من كان يتكلم. "كنت أتكلم مع منصف وأطلب منه النصيحة بخصوص إعلان زواجنا لأسرتك".

"ماذا كان رأيه؟"، سألته.

"إنه يعتقد أن أفضل شيء هو أن نكون مباشرين ونخبرهما وجهاً لوجه. الآن نحن متزوجان قانونياً، لذلك لا يستطيعان أن يفعلوا أي شيء حتى يفسدا هذا الزواج. أسوأ ما يمكن أن يفعله هو طردنا من منزلهما. هل تعتقدان أنه بإمكانك أن تتعامل مع هذا الموقف؟".

"أعلم أنني لا أستطيع أن أتعامل مع هذا الموقف، لكني أعرف أن الله سوف يساعدني لاجتياز هذه العقبة".

"إذاً من الأفضل أن نذهب الآن قبل حلول الظلام ويصبح الوقت متأخراً، ربما تكون عائلتي في حالة قلق بسببي".

كان ذلك أول أيام عيد رمضان، لذلك كانت الشوارع مهجورة. عندما اقتربنا من المنزل، بدأت أتساءل هل والدي في المنزل أم أنهما قد خرجا حيث كنا نذهب مرات كثيرة إلى منزل عمي في العيد. بينما كنا نسير بسيارة مجدي، أدركت أن تلك ليست هي القضية.

كان عدد كبير من السيارات يقف أمام منزلنا، وقد عرفت أنها سيارات أقاربنا. "مجدي"، قلت له بخوف: "أعتقد أن هناك جمعاً كبيراً".

"ربما يكون هذا أفضل. أمك لن تقتلك أمام هذا الحشد الكبير، أليس كذلك؟".

"إنك لا تعرف أمي أبداً"، قلت له وكلي شك.

دخلنا من البوابة ووقفنا على الباب الخارجي. بالرغم من أنني كنت أستطيع الدخول مباشرة إلا أنني وجدت نفسي أضغط على الجرس. سمعت الصوت بالداخل. إنه أخي خالد الذي فتح لنا الباب.

"أنت؟"، تعجب خالد: "أين كنت يا إيمان؟ لقد كانت أمك وأبوك في قلق شديد عليك".

"هاي خالد"، أجبته: "أحب أن أعرفك على مجدي، زوجي".

"ياه... يا إلهي"، قال خالد في دهشة منطوقة، بينما عاد إلى الخلف ودخل المنزل. "أبي، إنها إيمان".

اندفع والدي إلى الباب: "إيمان أين كنت؟". وعندما رأى مجدي توقف عن الكلام للحظة، ثم بعد ذلك سأل: "ماذا تفعل هنا يا أستاذ؟".

"سيد فتحي"، قال مجدي: "جئت مع إيمان إلى هنا حتى نخبركما بأننا تزوجنا بالفعل".

"ماذا؟"، تعجب والدي: "كلا، قل لي لا يا إيمان".

"آسفة جداً يا والدي"، قلت له برقة: "إنها الحقيقة، لقد تزوجت أنا ومجدي بالأمس. عرفت أنكما لن توافقا أبداً، لكننا نعلم أن هذه هي مشيئة الله لنا".

"مشيئة الله، مشيئة الله"، صرخ والدي: "هل يريد الله شيئاً لا يوافق عليه والديك. كيف تقولين هذا؟".

"لن نريد أن نزعجك يا والدي، عرفنا أنكما ستكونان في قلق بسببي لذلك أتينا لتعرفا أين أنا وحتى أخبركما عن زواجي وأنتي بصحة جيدة وأعيش مع مجدي في شقته بالمدينة".

قبل أن يرد والدي بأية كلمة أخرى، جاءت أمي إلى الباب، لابد أنها سمعت الأخبار من خالد، لأنها دفعت والدي ونحن إلى المدخل الخارجي للبيت ثم أغلقت الباب.

"كيف تجرئين على أن تأتي إلى هذا المنزل بهذه الأخبار يا إيمان، ونحن لدينا جميع أقاربنا هنا؟". وتحول وجهها إلى اللون الأحمر من الغضب الشديد.

"أتيت إلى هنا لأنني أعلم أنك سوف تسألين...". قاطعتني قبل أن أنتهي من جملتي.

"كان على أن أعرف أنك ستفعلين شيئاً مثل هذا، حتى تخزلينا، الآن، أرى أنك لا تهتمين بأي شيء بخصوص العائلة أو سمعتها. إذا كنت تصرين على أنك زوجة لهذا الرجل، فلا يمكنك أن تبقي معنا مطلقاً".
"فوزية لا تنتهوري"، حاول أبي التدخل.

"لا تقف هنا وتقول لي إنني متهورة. من المتهور؟ إنها ابنتنا، سوف تعيشين وتندمين أشد الندم، يا إيمان بسبب هذه الفعلة الحمقاء. لا أريد أن أرى وجهك ثانية في هذا المنزل، وعندما تسوء بك الحياة، لا تفكري في العودة إلى والدك ليساعدك. لن يساعدك أبداً. اخرجا معاً، إنني مخزولة جداً، لقد أهنتينا جميعاً وعلبت علينا العار"، ولوحت بيدها بغضب شديد حتى نرحل.

"أمي أنا آسفة جداً لأنني جعلتك تشعرين بهذه المشاعر. ما زلت أحبك، في يوم ما سوف تفهمين ذلك".

"أنا لست أمك، ارحلي من هنا".

"نظرت إلى عيون والدي متوسلة إليه، لكنه هز برأسه وأحنى وجهه. عندما بدأت أُمي تصرخ فينا مرة أخرى وضع يديه حولها وأخذها في اتجاه الباب. لقد أخذ مجدي بيدي وقادني في طريقي. بدأت سيول الدموع تتدفق من عيني. استدرت مرة أخرى للوراء لألقي نظرة أخيرة على منزل أسرتي، ذلك المكان الذي تركت كل ذكرياتي فيه. لقد أغلق الباب وانتهى كل شيء.

الفصل السابع والأربعون

أحاطني مجدي بذراعه وأنا أبكي ونحن في طريق عودتنا إلى السيارة: "كل شيء أصبح على خير ما يرام يا إيمان"، قال ليطمئنني: "لقد فعلت ما كان يجب أن تفعله. سوف يفهمون يوماً ما".

"إنها تكرهني الآن أكثر من أي وقت مضى يا مجدي"، قلت له بين شهقات بكائي: "سوف تمحو اسمي من ذاكراتها".

"الأم لا يمكن أبداً أن تنسى أبنيتها".

"إنها ليست أمّاً عادية".

حاولت أن أمسح دموعي بينما كان مجدي يقود السيارة عبر المدينة. عندما دخلنا الشقة ثانية، عرفت أن هذا هو بيتي إلى الأبد. لا رجوع مرة أخرى إلى منزل عائلتي، ثم ذهبت إلى الحمام وغسلت وجهي. عندما خرجت طلب مني مجدي أن أتوجه إليه في حجرة المعيشة.

"اجلسي يا إيمان"، قال مجدي: "إننا في حاجة لأن نصلي".

عندما أمسك مجدي بيدي رفع صلاة رائعة لم أسمع أبداً مثلها. لم تكن من أجلي، ولم تكن من أجل حياتنا الخاصة معاً، بل كانت من أجل والدي. قدم شكره للرب لبركته لي بالدين استطاعا أن يوفر لي حياة كريمة وجيدة وقد سددا كل احتياجاتي الجسدية.

حتى وإن لم يسددا احتياجاتي الروحية، إلا أنهما كانا أفضل والدين بالمعنى الدنيوي. ثم بدأ يصلي أن يلين قلوبهما بخصوص زواجنا وتجاه الرب. ثم شكر الرب لأنه لا شيء مستحيل على الله، حيث أن هناك رجاء في المسيح. بمجرد انتهاء مجدي من الصلاة، بدأت الدموع تتدفق ثانية من عيني، لكن هذه المرة لم تكن دموع الحزن، بل دموع الحب والتقدير اللذين أكنهما لمجدي. لقد تأكدت أنني لم أكن قادرة على الزواج من شخص أفضل منه. "مجدي، هذا يعني لي الكثير جداً"، قلت له بينما كنت أحتضنه بشدة.

"مهما يكن شعورهما تجاهنا الآن، لا بد أن نحتفظ بحبنا لهما وأن نرفعهما امام الرب، يجب ألا ننسى أبداً أن نصلي من أجل عائلتك ومن أجل عائلتي، من أجل هذا الموضوع".

"نعم، بالمناسبة"، أجبته: "متى سوف نخبر أمك؟".

"لنأخذ فترة راحة لعدة أيام، قليلة، أعتقد أن أنسب ميعاد نذهب فيه إلى هناك هو أثناء العيد القادم، لذا لسنا في حاجة إلى الاندفاع في أن نخبرها الآن".

"أنت تعرفها جيداً". ونهضت لأدخل المطبخ قائلة: "إنني جائعة. ما رأيك في إعداد أول وجبة لنا؟".

"هذا رائع"، قال مجدي بشغف: "ما الذي تستطيعين طهيه؟".

"ليس كثيراً لكن بالتأكيد لديك بعض من البيض".

"نعم لدي".

"إذا، ما رأيك في أن أصنع عجة بالبيض مع بعض الخبز؟".

"وماذا أطلب أكثر من هذا؟".

وهكذا بدأت حياتنا الاجتماعية. كان علي أن أتعلم الكثير فيما يختص بشئون المطبخ، لكنني أخذت المهمة بفرح. أعرف أن مجدي كان يعيش سعيداً بمفرده لعدة سنوات. هناك بعض الرجال مثل مجدي يعرفون الطهي ويعيشون بمفردهم بصورة أفضل من الفتيات اللاتي يعشن مع أمهاتهن حتى الزواج دون أن يتعلمن عمل أي شيء. لقد كنت محظوظة بالفعل بمجدي.

كانت أيام الإجازة القليلة ممتازة لمجدي ولي، لأننا استطعنا أن نستريح ونقضي فترات حقيقية من شهر العسل. بين فترات استمتاعنا الواحد بالآخر جسدياً، كنت أقوم بتنظيف الشقة وترتيبها بالطريقة التي تساعد كل منا على الحياة فيها. كان مجدي دقيقاً ومنظماً في حجرة مكتبه وبالذات في الكتب التي كان يستخدمها في التدريس، لذلك تركت مكتبه، ولم أفعل أي شيء سوى تنظيفه من الأتربة التي كانت على الأرفف. بالرغم من أن المطبخ وحجرة النوم كانا اقل ترتيباً، كان مجدي كريماً في أنه ترك لي السلطة والسيادة على مثل هذه المناطق. كنت حزينة لعودتي إلى العمل يوم الخميس، لكن لأنني كنت أعرف أنه سيكون أسبوعاً قصيراً، لم أشعر بأن العمل سيء جداً. عاد مجدي إلى عمله بالتدريس على مضض لكنه كان سعيداً لأنه سيعود ليجدني في انتظاره في نهاية اليوم.

مرت شهور السنة الأولى بسرعة. ظللت سعيدة بعلمي، وطلبوا مني التقدم بطلب أن أكون مديراً مساعداً. ولأن رئيسي كان مسروراً من عملي، كنت أتمنى أن أحصل على الترقية إلى مدير مساعد.

مازال اجتماعنا يتم أسبوعياً في منزلنا، وقد تشجعنا بزيارة أعضاء الاجتماع بصورة منتظمة وثابتة. بعد ذلك أخذنا قراراً مؤلماً في أن نقسم المجموعة إلى قسمين وذلك لأن العدد في منزلنا قد ازداد جداً. كان هذا أيضاً تشجيعاً ليوسف وعائشة اللذين كانا في احتياج إلى عقد اجتماع في منزلهما لكنهما كانا يخشيان من الجيران، لكنهما اتخذتا هذه الخطوة وطلبا من الله الحماية وأن يكون جيرانهما سعداء. كان من الصعب علينا الافتراق، لكن الرب أضاف ثانية إلى عددنا مؤمنين آخرين وانضم إلينا إخوة وأخوات كثيرين.

جاءت ليلى وعوض لزيارتنا مرات عديدة، كان أولادهما ينمون ويكبرون بسرعة، وعرضت على ليلى أن أرعى أولادها عندما تكون في حاجة للخروج مع عوض لقضاء وقت ما بمفردهما. إن وجود ثلاثة أبناء يلعبون في البيت كان شيئاً غامراً بالفرح والبهجة وأيضاً بالتعب والإرهاق، لكنني كنت أستفيد وأتعلم من هذه التجربة. كما كان مجدي ممتازاً معهم أيضاً. إن كل ما كان عليه أن يفعله هو أن ينحني على الأرض ويقوم محب بالقفز فوقه صارخاً من الفرح والسرور.

بعد مرور عامنا الأول بفترة قصيرة، جاءتني رسالتان بهما أخبار سارة. الأولى وهي أن رياض طلب من بسملة الزواج. كنا جميعاً نلاحظ

هذا ونتوقع حدوثه، لكنه أخذ فترة كبيرة حتى تشجع وطلب ذلك. لقد اتصلت بي بسمّة وقالت لي عن هذا الخبر.

"هل تخمّني ماذا حدث يا إيمان؟"، قالت لي بمجرد أن قمت بالرد على التليفون.

"سوف تتزوجين؟"، أجبتها بثقة.

"كيف عرفت؟"

"هذا أول شيء كنت أتوقعه لك في أي وقت".

"هذا صحيح بالفعل"، قالت وهي أكثر هدوءاً.

"من الذي سيتزوجك؟"، سألتها.

"من تظنين؟"، كان ردها في سؤال.

"من ستتزوجين؟"، سألتها مرة أخرى حتى أتظاهر بعدم معرفتي.

"ياه، يا إيمان، أنت تعرفين، إنه رياض!".

"كنت أحاول أن أتأكد من ذلك! ألف مبروك! لأنه أخيراً جاء وطلب منك ذلك بالمناسبة، عندي أخبار سارة أيضاً.

"هل حصلت على الترقية؟"، سألتني بسمّة.

"كلا، أنا حامل".

"حقاً؟، إنني سعيدة جداً بك يا إيمان".

"وأنا أيضاً".

بعد الحديث مع بسمه جلست على الأريكة وفكرت في حياتي. سوف أكون أماً. كان كل همي أن أتزوج من رجل صالح. هناك أناس جدد تأتي إلى الرب كل أسبوع، بالرغم من أننا كنا أقلية في الدولة، لكن المكاتب الحكومية كانت تعترف بأن المسيحيين يتزايدون. في الواقع كنا مواطنين صالحين لأننا نتبع يسوع المسيح. لقد ابتهجنا كثيراً لأن الرب أعطانا نعمة في عيون السلطة.

لم أستطع أن أقدم الشكر الكاف للرب من أجل الأشياء الممتازة التي حدثت في حياتي، ثم بدأت أفكر في الماضي: خداعي لأمي وأبي، العلاقات الخاطئة، الحمل غير الشرعي وغير المرغوب فيه، وعملية الإجهاض التي نتجت عن ذلك الحمل، الكذب والجروح. كان خطاياي كثيرة. لكنني أدركت أنها لم تعد تحني ظهري. إنها لا تستطيع أن تقودني إلى الدمار. لقد حمل يسوع عني كل هذا على الصليب. لقد أعاد لي حياتي طاهرة مرة أخرى حتى أبدأ معه من جديد. هذا ما جعل من السهل علي أن أعلن إيماني للناس من حولي. لقد عرفت ماذا يعني الظلام. لقد اختبرت وعرفت معنى الحياة بدون الله. أيضاً عرفت ما الاختلافات التي صنعها الله في حياتي.

كنت أشارك بإيماني أكثر وأكثر في عالمنا اليوم. لقد أعلنت أن يسوع المسيح هو الحق نفسه مع جميع الناس الغرباء. لكن بينما كنت جالسة في البيت تذكرت أن هناك شخصاً واحداً لم أشاركه أبداً ولم أتكلم معه عن الحق بأي طريقة، هذا الشخص كان أمي. كيف أكون أماً دون أن أكون

أمانة ومخلصة صادقة مع أمي، لا بد أن أكرمها. لقد تذكرت كلام مجدي لي. عندما كنا نتمم زواجنا: "يوما ما أريدك أن تخبري أمك بكل شيء". لقد عرفت أنه مهما تكن أمي صعبة في أسلوب تربيته لي أو معاملته معي، لكنها لها حق في أن تعرف كل شيء عني وأن تسمع ما فعله الحق (يسوع) في حياة ابنتها. كما علمت أيضاً أنها لن تسمح لي بمقابلتها وجهاً لوجه لأشاركها بأفكاري، فكرت كيف أفعل هذا؟

ذهبت إلى مكتب مجدي وجلست على الكرسي وجذبت مجموعة من الأوراق وبدأت أكتب لأمي: "الحكايات القديمة، تلك الأساطير التي شاركت فيها في الأزمنة القديمة ... وكانت البداية كل الأشياء التي لم أخبر بها أمي أبداً.

قالت أمي: "الرجال دائماً لهم أفكار شريرة، ولا يمكنك أن تكوني حريصة بما يكفي." لم أفعل شيئاً سوى أن تمتمت بعدة كلمات: "نعم يا أمي،" بينما تقدمت أمي لتلبسني بلوزة تبدو قبيحة جداً، ذات أكمام طويلة، قاتمة اللون. كانت تلك البلوزة بها أزرار مغلقة حتى قمة رقبتني، كم كانت واسعة جداً وتصل إلى أسفل أردافي بقصد تغطية الجزء الأسفل بالكامل. وبينما كانت تنظر إلي، وقفت خلفي وقالت "الآن أنت أفضل بكثير."

